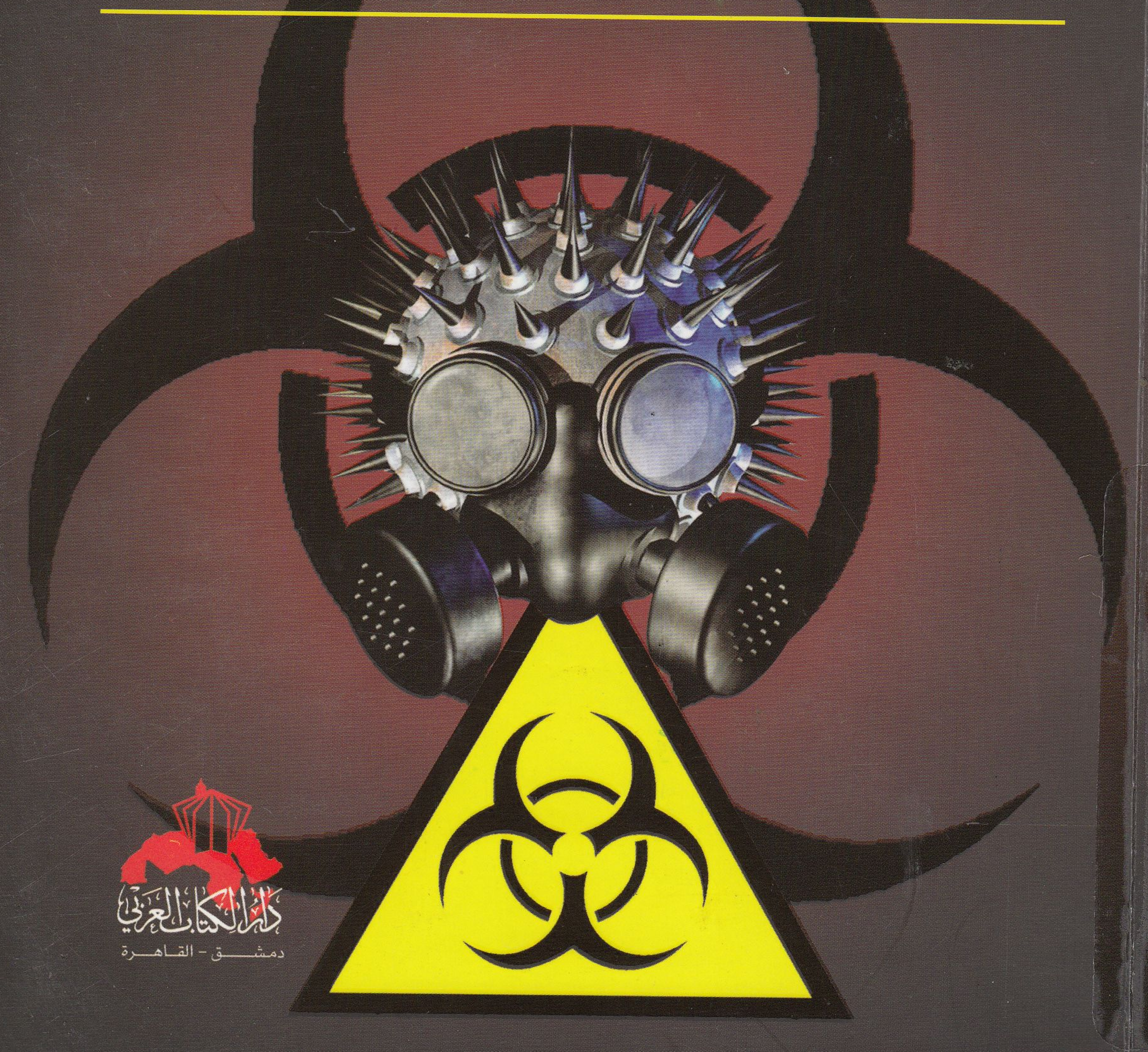
أحلام حسين

أنفلوانزا الخنازير فن صناعة الموت والحرب البيولوجية



دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

أنفلوانزا الخنازير

فن صناعة الموت
والحرب البيولوجية

اسم الكتاب : أنفلوانزا الخنازير فن صناعة الموت والحرب البيولوجية
اسم المؤلف : أحلام حسين
المراجعة اللغوية والتدقيق : طه عبدالرؤوف سعد
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ٢٠٠٩/٢٢٨٦٩
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 978 - 977 - 376 - 512 -4
التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف
الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف
الإشراف العام: أ. أسعد بكري كوسا

تطلب كافة منشوراتنا :
حلب : دار الكتاب العربى ـ الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين ـ ت: ٢٢٥٦٨٧٠
دمشق : مكتبة رياض العلبى ـ خلف البريد ـ ت : ٢٢٣٦٧٢٨
مكتبة النورى ـ أمام البريد ت : ٢٢١٠٣١٤
مكتبة عالم المعرفة ـ جسير فيكتوريا ت : ٢٢٢٨٢٢٢
مكتبه الفتال ـ فرع أول ـ ت: ٢٤٥٦٧٨٦
فرع ثانى ـ ت : ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠١٠



سوريا ـ دمشق ـ الحجاز ـ شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص. ب ٣٤٨٢٥ فاكس : ٢٢٤٧٢٩٧
مصر ـ القاهرة ـ ٥٢ شارع عبدالخالق ثروت ـ شقة ١١ تلفاكس : ٢٣٩١٦١٢٢
لبنان ـ تلفاكس : ٤٣٤١٨٦ / ٠٥ ـ تليفون : ٦٥٢٢٤١ / ٠٣ ـ ص. ب ٣٠٤٣ الشويفات

darelkitab@yahoo.com- darelkitab-nassif@hotmail:com

www.darketab.com - info@darketab.com

أنفلوانزا الخنازير
صناعة أمريكية !!

فن صناعة الموت
والحرب البيولوجية

◆

أحلام حسين

◆

الناشر



تقديم

بداية نحن لا نؤمن بنظرية المؤامرة فى تقييمنا للأحداث.. ولكن ليس علينا أيضا أن نتجاهل احتمالات وجود مؤامرة، ونحن نطالع عددا كبيرا من علماء أمريكا وأوربا واستراليا وهم يكشفون للعالم ـ تحت وطأة الشعور بعظم الكارثة أو بعض من وخز الضمير ـ أسرارا رهيبة، من شأنها أن تؤكد أن وباء «أنفلوانزا الخنازير» قد خرج كغيره من أوبئة فتاكة كثيرة، من مختبرات ومعامل الأسلحة البيولوجية السرية الأمريكية.

ومن أخطر ما يكشف عنه هؤلاء العلماء ـ وربما نسمع عما قريب أن بعضهم قد انتحر، أو قُتل، أو تم اغتياله، كما حدث مع آخرين كما سنطالع فى هذا الكتاب البحثى ـ هو وجود مافيا الدواء العالمية «الشركات الكبرى» فى الخلفية تجسيدا للحلف غير المعلن بين مختبرات الحرب البيولوجية السرية وهذه الـ «مافيا» التى تستغل تسريب أو تسرب «فيروس الوباء» لجنى مليارات أو ربما تريليونات الدولارات من بؤساء العالم ثمنا لأمصال ربما تكون معدة مسبقا!!

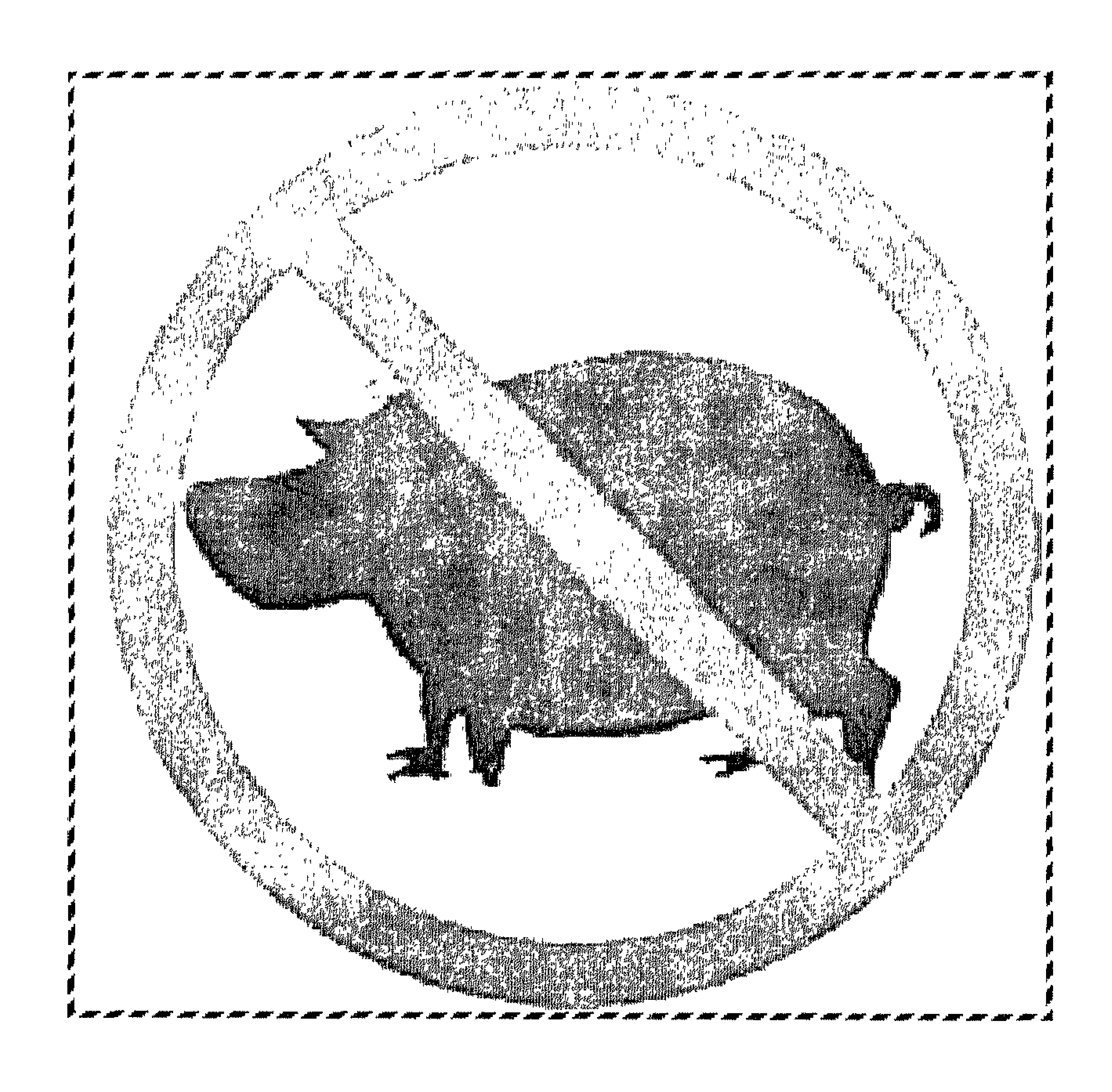
فى هذا الكتاب نكشف من خلال كل ما وصلنا إليه من تقارير وأبحاث وتصريحات ومقالات لعلماء وخبراء وصحفيين وباحثين أكاديميين من الشرق والغرب تتضمن كل ما ساقه العلماء والباحثون الأمريكيون وغيرهم لتدعيم تأكيداتهم بأن فيروس أنفلوانزا الخنازير ما هو إلا «صناعة أمريكية».

كما نستعرض ما حدث بالنسبة لأوبئة أخرى خرجت من المختبرات الأمريكية السرية، التى تجرى داخلها تجارب إنتاج الأسلحة الجرثومية، وأيضا سنستعرض فى جزء خاص كل ما يتعلق بالحرب البيولوجية،

تعريفها،خواصها، أسلحتها، الفيروسات المستخدمة فيها، وكذلك سنتعرف فى هذا الكتاب البحثى على ترسانة إسرائيل من الأسلحة البيولوجية، وأشهر عمليات الاغتيال أو الانتحار المرتبطة بعلماء أمريكيين كسروا حاجز الصمت الرهيب وكشفوا فواحش وجرائم أمريكا وإسرائيل فى مجال هذه الأسلحة القذرة!!

1

أنفلوانزا الخنازير..
بعد أنفلوانزا الطيور!!



لم يكد العالم يحتوى مرض أنفلوانزا الطيور الذى تفشى فى العالم، وتحول إلى وباء قاتل، حتى فوجئ بوباء جديد اسمه «إنفلوانزا الخنازير»، وكأن العالم فى الألفية الثالثة، لا يتقدم للأمام بقدر ما يتراجع للوراء.

كان المتصور أن الانفجار العلمى الذى يجتاح كوكبنا، وما تضمنه من طفرة هائلة فى مجال الحيلولة دون ظهور أوبئة وأمراض فتاكة، كتلك التى اغتالت فى الماضى مئات الملايين من البشر، كان هذا هو المتصور ، ولكن ما حدث كان هو العكس، فما لم يكتمل العقد الأول من القرن الحادى والعشرين، حتى ثبت للعالم أن الألفية الثالثة يمكن أن تكون «ألفية الموت» نتيجة هذه الهجمات القاتلة لفيروسات لا قبل للعالم بها، وخاصة فقراؤه الذين لا يملكون القدرة على احتوائها!!

وهكذا كان الحال مع ظهور الإصابات الأولى بهذا المرض فى المكسيك، وذلك ضمن ثلاث مواقع معلومة وَهى: العاصمة المكسيكية «مكسيكو ستى»، حيث أعلن عن وفاة ٢٠ شخصا جراء هذا المرض فى أول بيان صدر عن الجهات الصحية المكسيكية.

والموقع الثانى فى الوسط، وبالتحديد فى «سان لويس بوتوسى»، حيث أعلن عن ٢٤ إصابة، بينها ٣ حالات وفاة. والموقع الثالث فى مدينة «مكسيكانى»، الواقعة على الحدود المكسيكية الأمريكية.

وتسلل الفيروس من المكسيك إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث اكتشف فى البداية عدد من الحالات فى ولايات كاليفورنيا وتكساس ونيويورك.

وأظهرت التحاليل المختبرية، بأن نوعية الفيروس المسؤول عن المرض فى الولايات المتحدة هو نفسه الذى يسبب وباء أنفلونزا الخنازير فى المكسيك. ثم تواردت الأنباء عن حصول إصابات وحالات مشتبه بها فى كل من كندا ونيوزلندا وأسبانيا وبريطانيا وفرنسا والسويد والدانمارك

والبرازيل وبيرو وكولومبيا وإسرائيل وأستراليا وغيرها من الدول، قبل وصول الفيروس إلى معظم دول العالم.

وحذرت رئيسة منظمة الصحة، مارجريت تشان من أن انفلونزا الخنازير فى المسكيك والولايات المتحدة يمكن أن تتطور إلى وباء خطير.

وأضافت تشان أن انفلونزا الخنازير «تنطوى على سلالة من فيروس «إتش ١ إن ١» ويمكن أن تتحول إلى وباء متفش».

ودعت المنظمة دول العالم إلى توخى الحذر من تفشى فيروسات مشابهة بعد اكتشاف سلالات مرتبطة بالمرض فى كلا الجانبين من الحدود المكسيكية الأمريكية.

وأضافت أن المرض الذى ينتقل من شخص إلى آخر أصبح يشكل «وضعا خطيرا» يجب مراقبته جيدا.

وكان بعض العلماء قد حذروا منذ سنوات من احتمال ظهور أوبئة ناتجة عن فيروسات تخلط عناصر جينية من الإنسان والحيوانات.

وأرسلت منظمة الصحة خبرائها إلى المكسيك والولايات المتحدة بهدف العمل مع المسؤولين المحليين فى محاولة لاحتواء المرض.

من جانبها أعلنت السلطات الصحية الأمريكية عن سعيها لإنتاج لقاح للمرض، لكنها قالت إن انتاج مثل هذا اللقاح قد يتطلب عدة أشهر.

وحذرت منظمة الصحة العالمية من أن سلالة فيروس أنفلونزا الخنازير، تتغير بشكل سريع ويمكن أن تتحول لنمط أكثر خطورة.

وقررت حكومات مثل الصين وروسيا وضع أى شخص لديه أعراض الفيروس القاتل قيد الحجر الصحى، كما زادت معظم الحكومات إجراءات فحص واردات الخنازير من الأمريكتين أو فرضت عليها حظرا مؤقتا.

وتعيش معظم الدول الآسيوية حالة استنفار خوفا من تفشى الفيروس فيها خاصة فى الدول ذات الكثافة السكانية العالية مثل الصين والهند.

وأعلنت سلطات المطارات فى العالم خططا لفحص المسافرين لكشف أى أعراض للأنفلونزا.

يشار إلى أن فيروس انفلونزا الطيور كان قد أودى خلال السنوات الماضية بحياة المئات فى الدول الآسيوية فى مقدمتها اندونيسيا والصين.

من جهته قال بيتر كوردينجلى المتحدث باسم منظمة الصحة العالمية إن دول آسيا أكثر استعدادا للتعامل مع أى انتشار وبائى لانفلونزا الخنازير من خلال الخبرات التى اكتسبتها فى التعامل مع وباء سارس عام ٢٠٠٣ الذى أودى بحياة أكثر من ٨٠٠ شخص.

لكن خبيرا صينيا بارزا حذر من أن دولا مثل الصين والهند واندونيسيا ليست مستعدة جيدا لمواجهة تفشى أنفلونزا الخنازير بصورة وبائية.

وقال البروفيسور جوان يى الأستاذ بجامعة هونج كونج وأبرز من قاموا بدراسات على فيروس سارس إنه لايعتقد أن تفشى فيروس أنفلونزا الخنازير بين البشر يمكن احتوائه فى وقت قصير.

وأضاف أن هناك مشكلات حقيقية فى الصين والهند بسبب الكثافة السكانية وعدم كفاية الخدمات الصحية.

وفيما تحث دول العالم الخطى سريعا بهدف منع انتشار مرض «انفلونزا الخنازير» على أراضيها، وتكافح من أجل عدم امتداده وتفشيه بصورة وبائية، أصدرت مفوضة الصحة بالاتحاد الأوروبى تحذيرا من مغبة السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك بسبب المخاوف من مرض انفلونزا الخنازير.

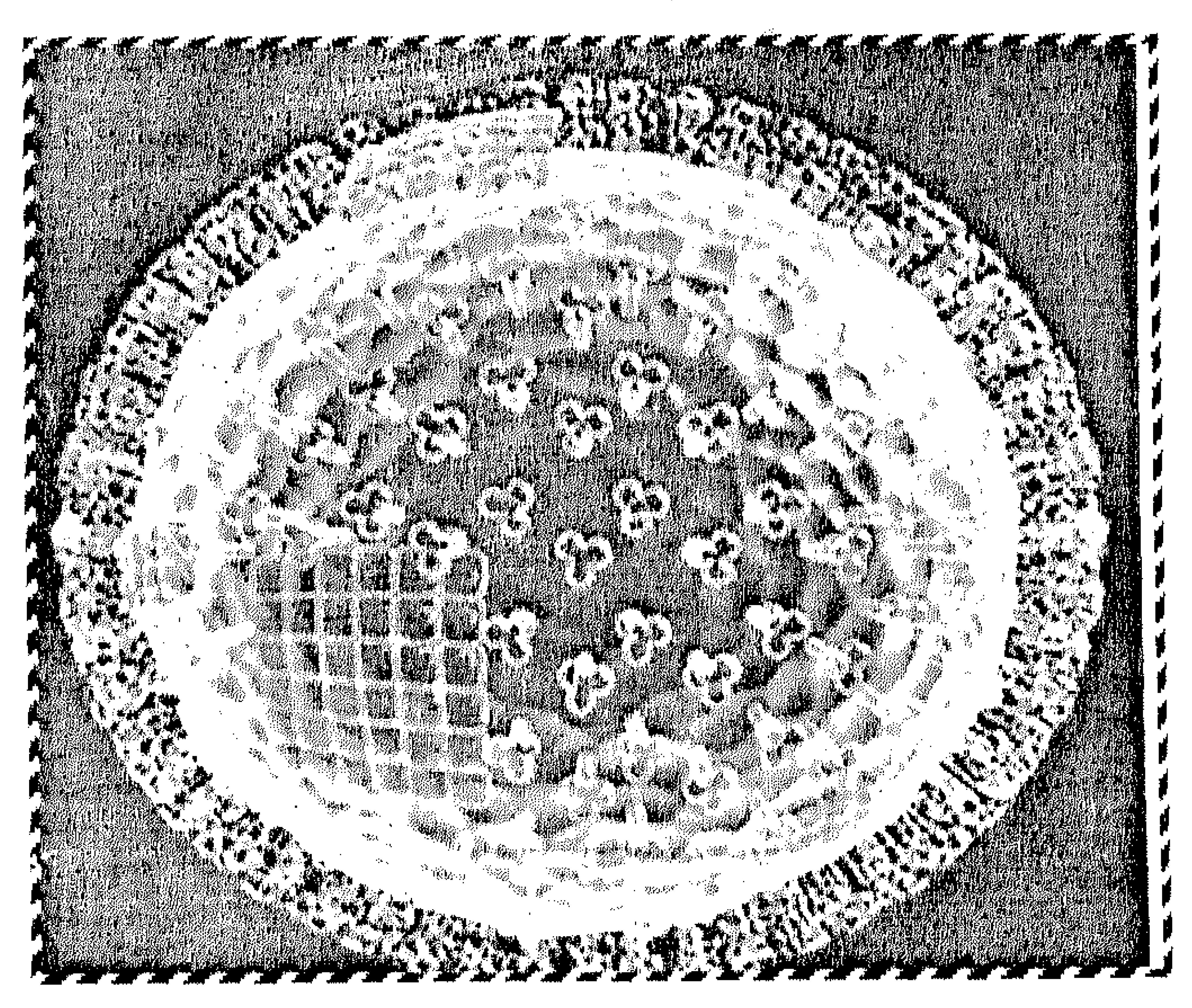
وقالت المفوضة أندورا فاسيلو: «ينبغى على سكان الاتحاد الأوروبى

تجنب السفر إلى الولايات المتحدة والمكسيك ما لم يكن الأمر ضروريا لهم».

على أن السلطات الصحية فى الولايات المتحدة عارضت مثل هذا التحذير، فقد قال نائب مدير مراكز الرقابة على الأمراض والوقاية منها، ريتشارد بيسر، فى تصريح لبرنامج «صباح أمريكى» الذى تبثه شبكة «سى. إن. إن» الإخبارية إنه لا يتفق مع التحذير من السفر إلى الولايات المتحدة.

وفى الأثناء، وصفت منظمة الصحة العالمية انتشاره بأنه «خطير». وحثت المنظمة العالمية، وعقب اجتماع طارئ لمناقشة الوباء، دول العالم على مراقبة أى تفشى «غير مألوف» لمرض الأنفلونرا، فيما يعكف الخبراء على تحديد كيفية انتقاله السريع من شخص لآخر.

وما هى فترة حتى قررت منظمة الصحة العالمية رفع مستوى الإنذار الى الدرجة الخامسة أو مرحلة ما قبل نهاية سلم الخطر السداسى الدرجات «المرحلة السادسة» بدرجة واحدة مما يعنى «ارتفاعا ملحوظا» فى خطر إمكانية تحوله إلى وباء عالمى.



فيروس أنفلوانزا الخنازير

وقال كيجى فوكودا وهو مسؤول كبير فى المنظمة خلال مؤتمر صحفى فى جنيف «بناء على نصيحة لجنة الطوارئ فى منظمة الصحة العالمية قررت المديرة العامة رفع درجة الخطر أو الإنذار».

وجاء قرار منظمة الصحة العالمية فى وقت ازداد فيه فى العالم عدد الإصابات بانفلونزا الخنازير ما أدى إلى تصاعد المخاوف من انتشار للمرض على نطاق العالم، فى ضوء تزايد سرعة انتشار الفيروس.

ومن هنا، شرعت دول كثيرة فى إجراء مراقبة صحية للمسافرين فى المطارات القادمين من المكسيك والولايات المتحدة، وفحص المسافرين بمعدات طبية خاصة للتأكد من خلوهم من أعراض الفيروس.

بل إن بعض الدول سارعت فى إصدار تحذيرات لمواطنيها بشأن السفر إلى المكسيك، وإضافة إلى إجراءات المراقبة الصحية فى المطارات والموانئ بدأت حكومات العالم البحث عن توفير مضادات الفيروسات بكميات كبيرة.

وقررت الحكومات وضع أي شخص لديه أعراض الفيروس القاتل قيد الحجر الصحى، كما زادت معظم الحكومات إجراءات فحص المسافرين القادمين من الأمريكتين بصفة خاصة.

وتعيش معظم الدول حالة استنفار خوفا من تفشى الفيروس فيها خاصة فى الدول ذات الكثافة السكانية العالية مثل الصين والهند ومصر وأندونيسيا.

والمعروف أن فيروس انفلونزا الطيور أودى خلال السنوات الماضية بحياة المئات فى الدول الآسيوية فى مقدمتها اندونيسيا والصين.

لكن خبراء بارزون حذروا من أن دولا مثل الصين والهند واندونيسيا ليست مستعدة جيدا لمواجهة تفشى انفلونزا الخنازير بصورة وبائية.

وقال البروفيسور جوان يى الأستاذ بجامعة هونج كونج وأبرز من قاموا بدراسات على فيروس سارس إنه لايعتقد إن تفشى فيروس انفلونزا

الخنازير بين البشر يمكن احتواؤه فى وقت قصير.

وأضاف أن هناك مشكلات حقيقية فى الصين والهند بسبب الكثافة السكانية وعدم كفاية الخدمات الصحية. وأكد ان الصورة الحقيقية لانتشار الفيروس لم تتضح حتى الآن.

وأعلنت منظمة الصحة العالمية أن انتشار فيروس «انفلونزا الخنازير» أمرا يدعو للقلق العالمى فيما يخص الصحة العامة، مشيرة إلى أنه لا يوجد أى لقاح يحتوى على فيروس انفلونزا الخنازير الراهن الذى يصيب البشر.

وقالت المنظمة إنه لا يعرف ما إذا كانت اللقاحات المتوافرة حاليا لمكافحة الأنفلونزا الموسمية قادرة على توفير حماية ضد هذا المرض، ذلك أن فيروسات الأنفلونزا تتغير بسرعة فائقة.



مصاب بإنفلوانزا الخنازير يتلقى العلاج

وحول الأدوية المتوافرة لعلاج هذا المرض، قالت المنظمة إن بعض البلدان تمتلك أدوية مضادة للفيروسات لمكافحة الأنفلونزا الموسمية وتلك الأدوية قادرة على الوقاية من ذلك المرض وعلاجه بفعالية.

وإذا كانت أعراض الأنفلوانزا العادية هى ارتفاع درجة حرارة الجسم، النحول العام، فقدان الشهية للطعام، صداع شديد وآلام فى العضلات والظهر، إضافة إلى التقيؤ والإسهال فى بعض الأحيان أو التهابات فى المجارى التنفسية تتميز بالسعال وضيق النفس، تظل لمدة أيام ثم يشفى الإنسان منها، إلا آن وجه الاختلاف بين إنفلوانزا الإنسان وإنفلوانزا الخنازير تتمثل فى آن الفيروس المسؤول عن إنفلونزا الخنازير، والذى يرمز له بـ «إتش١ إن١» قد تحور وأصبح بتركيبة جديدة غريبة، تحمل ثلاث صفات جينية، وهى: جينات فيروس إنفلونزا الطيور + جينات فيروس إنفلونزا الخنازير، وهى على نوعين + جينات فيروس إنفلونزا الإنسان!

هذه التركيبة الجديدة جعلت هذا الفيروس الهجين ذا شراسة وتأثير فتاك على الإنسان، حيث إن المصاب يشكو من أعراض أنفلونزا شرسة، تتسم بالتهابات رئوية حادة قد تودى بحياة المريض.

كما آن هذا النوع من الفيروسات الهجينة ينتقل من إنسان إلى إنسان، ويصيب حتى الشباب الذين يتمتعون عادة بمناعة قوية ولا يشكون من أى مشاكل صحية. وهذا ما يعطى إشارة تحذير حمراء، توحى بخطورة هذا المرض وإمكانية تحوله إلى وباء.

لقد صرح بهذا الصدد «داف دياغل»، مسؤول قسم السيطرة والوقاية من الأمراض فى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قال: «لأول مرة نرى فيروسا متحور يمتلك ثلاثة أصول متباينة»!

وكان السؤال: كيف تتم السيطرة على هذا المرض المعدى: إن السيطرة

التامة على مثل هذه الأوبئة ليست مهمة سهلة، وكما أشارت رئيسة منظمة الصحة العالمية حيث قالت: «إننا قلقون، فالموقف خطير ويتطلب الإسراع فى احتوائه والسيطرة عليه».

وإنفلونزا الخنازير هى مرض صدرى حاد شديد العدوى يصيب الخنازير، ينتج عن واحد من الفيروسات العديدة لإنفلونزا الخنازير من النوع «أ»، وتعتبر نسبة انتشار المرض عالية، بينما تنخفض نسبة الوفيات (١ ـ ٤٪).

وتنتشر الفيروسات بين الخنازير عن طريق الرذاذ، والاتصال المباشر وغير المباشر، والخنازير الحاملة للمرض التي لا تظهر عليها الأعراض.. تقوم العديد من الدول بشكل روتينى بتحصين الخنازير ضد إنفلونزا الخنازير.

وفيروسات إنفلونزا الخنازير هى فى العادة من النوع الفرعى «أتش ١ إن ١»، لكن أنواعا فرعية أخرى تنتشر بين الخنازير (على سبيل المثال: «إتش ١ إن ٢»، و«أتش ٣ إن١»، و«أتش ٣ إن ٢».

كما يمكن للخنازير أيضا أن تصاب بفيروسات إنفلونزا الطيور، والإنفلونزا الموسمية التى تصيب الإنسان، إضافة لفيروسات إنفلونزا الخنازير، ويعتقد أن الفيروس «أتش ٣ إن ٢» قد انتقل إلى الخنازير أولا من الإنسان.

وفى بعض الأحيان تصاب الخنازير بأكثر من نوع من الفيروسات فى وقت واحد، مما يسمح لجينات تلك الفيروسات بأن تختلط، مما يؤدى إلى ظهور فيروس للإنفلونزا يحتوى على جينات من أكثر من مصدر.

وعلى الرغم من أن فيروسات إنفلونزا الخنازير هى عادة من أنواع متخصصة تصيب الخنازير فقط، فإنها تتخطى حاجز النوع لتسبب المرض للإنسان.

وتقول تقارير الخبراء، التى صدرت بعد ظهور الحالات الأولى لأنفلوانزا الخنازير، هناك ثلاثة سيناريوهات للإصابة بالفيروس، يختلف

المصابون بإنفلونزا الخنازير فى حالتهم الصحية والمرحلة التى وصلوا إليها من تطورات المرض، ليتراوح ما بين حالات بسيطة، وحالات وخيمة العواقب. ذلك أن بعض المصابين لا يشكون من أى شىء، ويستمر الحال كذلك لديهم إلى حين زوال الفيروس من أجسامهم.

وعلى الطرف الآخر، يصاب بعضهم بتدهور شديد فى الحالة الصحية، يطال المرض الأصلى الذى يعانون منه، كأمراض القلب أو الكبد أو غيره، كما يطال الرئتين بتفاعلات التهابية خطرة وفشل أجهزة متعددة بالجسم. (لماذا تحصل الوفيات بإنفلونزا الخنازير؟ ـ د. حسن محمد صندقجى ـ إسلام أون لاين ـ ١٣ سبتمبر٢٠٠٩).

الأعراض	الانفلونزا العادية	انفلونزا الخنازير
الحرارة	نادرة	أساسية ـ حرارة عالية
السعال	مع بلغم	حاد بدون بلغم ـ كحة جافة
آلام الجسم والصداع	خفيفة ونادرة	حادة جدا وأساسية
انسداد الأنف والرشح	اساسي ويتلاشي خلال أسبوع	لا انسداد أو رشح
القشعريرة	نادرة	أساسية
التعب والإرهاق	خفيفة إلى حد ما	أساسية ـ حادة وقوية
العطاس	أساسى	نادر جدا
الأعراض المفاجئة واللاحقة	تتطور بشكل بطىء مع الوقت	تتطور بشكل مفاجئ وسريع

الأعراض	الانفلونزا العادية	انفلونزا الخنازير
الصداع	بسيط ونادر	قوى ومستمر
التهاب الحلق	أساسى	نادر
آلام الصدر وثقل الصدر	خفيف إلى متوسط	حاد وقوى

وقد عرضت لجنة الخبراء بمنظمة الصحة العالمية ثلاثة سيناريوهات لوصف التطورات المحتملة للإصابة:

أولا: إنفلونزا غير معقدة: وفى هذا السيناريو، يدخل الفيروس إلى الجسم، عبر البوابات المعروفة، الفم أو الأنف أو العينين، ليؤدى إلى ظهور أعراض شبيهة بالإنفلونزا. وهى ما تشمل ارتفاع حرارة الجسم، السعال، ألم الحلق، سيلان الأنف، صداع، ألم عضلات، إرهاق عام بالبدن. وتحديدا لا تكون هناك صعوبة فى التنفس، أو لهاث حال بذل المجهود البدنى. وعلى الرغم من أن المريض قد يصاب ببعض الأعراض المتقدمة أو جميعها، إلا أن من النادر عدم حصول ارتفاع فى الحرارة. كما قد تحصل أعراض للجهاز الهضمى، كالإسهال، أو القىء، وخاصة لدى الأطفال. ولكن دون حصول حالة الجفاف فى الغالب.

ثانيا: إنفلونزا معقدة أو شديدة: وعلامات وجود حالة معقدة أو شديدة من الإنفلونزا تشمل:

- صعوبة التنفس أثناء الراحة أو حال بذل المجهود البدنى، ارتفاع نبضات القلب، تدنى نسبة أوكسجين الدم، تغيرات فى صورة أشعة الصدر تعكس وجود التهاب ذات الرئة، اضطرابات الجهاز العصبى، جفاف شديد.

- ظهور مرحلة متقدمة من المرض، تتميز بمضاعفات عدة، كفشل الكلى، أو فشل عدة أعضاء عن العمل، أو تحلل العضلات، أو التهاب عضلة القلب، أو حصول حالة الصدمة الميكروبية التى ينخفض فيها ضغط الدم بشدة.

- تهييج أحد الأمراض المزمنة لدى المريض، مثل الربو أو الانسداد المزمن فى الشعب الهوائية، أو فشل الكلى المزمن، أو فشل الكبد المزمن، أو أمراض القلب أو غيرها.

ثالثا: إنفلونزا تتطور نحو التدهور: وهذا من أهم ما يجب على الناس معرفته، فى سبيل تقليل عدد الحالات التى تصل إلى مرحلة ذات عواقب وخيمة. والمريض الذى يكون فى بداية إصابته بالفيروس فى حالة غير معقدة، قد يتحول مع مرور «الوقت» إلى حالة معقدة وشديدة. ومن «المهم جدا» أن يدرك الناس أن التطور قد يحصل بوتيرة سريعة وفى مدة زمنية قصيرة. وهناك مؤشرات أربعة للتدهور، وهى:

- أعراض وعلامات نقص الأوكسجين وعدم كفاءة عمل القلب والرئتين. مثل صعوبة التنفس، ظهور زرقة فى الأظافر والشفاه، إخراج بلغم ملون أو مخلوط بالدم، ألم بالصدر، انخفاض ضغط الدم.

- علامات اضطرابات الجهاز العصبى، مثل تغيرات فى مستوى الوعى والإدراك الزمنى أو المكانى أو الأشخاص، تشويش الارتباك الذهنى، النعاس المتواصل، فقد الوعى، صعوبة فى الاستيقاظ من النوم، نوبات التشنج، ضعف شديد فى العضلات أو شلل.

- علامات استمرار تكاثر الفيروس أو حصول التهاب بكتيرى إضافى. وذلك ما يبينه الفحص السريرى ونتائج التحاليل. ومن أهم مظاهر الحالة هذه استمرار ارتفاع حرارة الجسم والأعراض الأخرى، لمدة تتجاوز ثلاثة أيام.

- علامات حصول حالة شديدة من جفاف الجسم. مثل تناقص القدرة

على أداء المجهود البدنى، ودوار الدوخة، ونقص كمية البول، والإعياء الشديد.

وتقول منظمة الصحة العالمية فى مذكرتها الجديدة: من الملاحظ، فى جميع أرجاء العالم، أن معظم المصابين بالفيروس الجائح لا يزالون يشهدون أعراضا معتدلة ويتماثلون للشفاء فى غضون أسبوع واحد، حتى وإن لم يخضعوا لأى علاج طبى. وهناك من يشهدون تطورا سريعا جدا إلى حالة مرضية وخيمة أو مميتة.

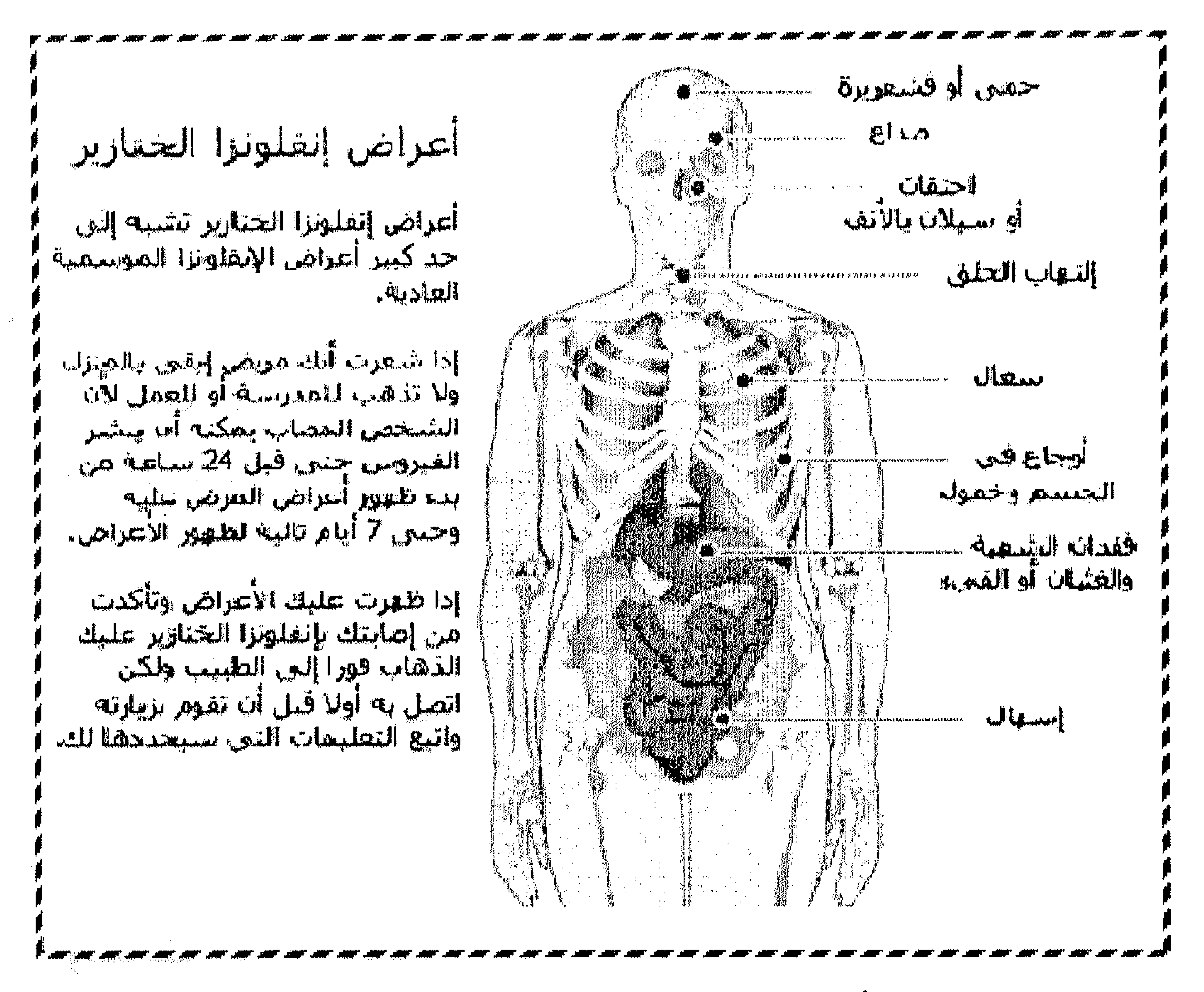
وتتسم فى كثير من الأحيان بالتهاب رئوى وخيم يدمر النسيج الرئوى وقصور فى أعضاء متعددة. ولا بد للأطباء والمرضى ومن يقدمون خدمات الرعاية فى بيوت المرضى، الانتباه لعلامات الخطر التى تشير إلى تطور نحو حالة مرضية أشد وخامة.

وينبغى، نظرا لإمكانية تطور المرض بسرعة فائقة، التماس العناية الطبية عند ظهور أى من علامات الخطر التالية لدى أحد المصابين بحالة مؤكدة أو مشتبه فيها من حالات العدوى بالفيروس، وهى:

- ضيق التنفس، إما أثناء ممارسة النشاط البدنى أو عند الاستراحة.
- صعوبة التنفس.
- تحول لون البشرة إلى الأزرق.
- إفراز بلغم دموى أو ملون.
- ألم فى الصدر.
- تدهور الحالة النفسية.
- حمى شديدة تدوم أكثر من ثلاثة أيام.
- انخفاض ضغط الدم.

ومن علامات الخطر لدى الأطفال: التنفس بسرعة أو صعوبة التنفس

ونقص اليقظة وصعوبة الاستيقاظ ونقص أو انعدام الرغبة فى اللعب.



ويمكن القول إن أحد العناصر الحاسمة فى التعامل مع الإصابة بفيروس إنفلونزا الخنازير هو التشخيص المبكر، أى ملاحظة بدايات الإصابة بالمرض، عبر الأعراض التى تظهر على الشخص، وليس انتظار نتائج التحاليل للتأكد من الإصابة أو عدمها. واللجوء إلى التحليل، وإن كان مفيدا لاحقا، إلا أنه لا قيمة له البتة فى البدايات لجهة ضرورة وقف الشخص المحتمل الإصابة حرية اختلاطه بالغير من السليمين، ولا قيمة له مطلقا فى القرار الطبى بضرورة البدء بتناول الأدوية المضادة للفيروس هذا.

وتقول منظمة الصحة العالمية فى مذكرتها الجديدة: وينبغى، فيما يخص كل مريض، اتخاذ قرارات العلاج الأولية استنادا إلى التقييم السريرى

والمعلومات المتوفرة بشأن وجود الفيروس فى المجتمع المحلى المعنى.

وفى المناطق التى يدور فيها الفيروس على نطاق واسع بين أفراد المجتمع المحلى، ينبغى للأطباء الذين يلاحظون على الناس أعراضا شبيهة بأعراض الإنفلونزا، افتراض أنها ناجمة عن الفيروس الجائح.

ولا ينبغى انتظار النتائج المختبرية التى تؤكد العدوى بفيروس «إتش ١ إن ١» لاتخاذ ما يلزم من قرارات علاجية. وتستند هذه التوصية إلى تقارير وردت من جميع مواقع انتشار الفاشيات، ومفادها أن الفيروس «إتش ١ إن ١» يكتسب بسرعة الغلبة على السلالات الفيروسية الأخرى.

وهناك وقت آخر أغلى من الذهب. وهو عند بدء ظهور علامات التدهور لدى المصاب بإنفلونزا الخنازير أو المصاب بأعراض شبيهة بالإنفلونزا. والوقت المحتمل لذلك هو ما بعد اليوم الخامس لظهور الأعراض. والتأخير هنا، يعنى مزيدا من التغلغل للمرض، وتدميره لأجهزة الجسم الحساسة.

وتضيف مذكرة منظمة الصحة العالمية الجديدة: تشير البيانات التى استعرضها فريق الخبراء إلى أنه يمكن لعقار الأوسيلتاميفير (تاميفلو)، إذا ما تم وصفه بالطرق السليمة، الحد بشكل كبير من مخاطر الإصابة بالالتهاب الرئوى، الذى هو من أهم أسباب الوفاة فى ما يخص الإنفلونزا الجائحة والإنفلونزا الموسمية على حد سواء، ومن الحاجة إلى دخول المستشفى.

وتوصى منظمة الصحة العالمية، فيما يتعلق بالمرضى الذين يلتمسون العلاج وهم مصابون أصلا بحالات وخيمة أو الذين بدأت حالتهم الصحية تتدهور، بتوفير العلاج بالأوسيلتاميفير فى أسرع وقت ممكن.

وتبين الدراسات أن ثمة علاقة قوية بين توفير العلاج فى المراحل المبكرة، فى غضون ٤٨ ساعة بعد ظهور الأعراض، وتحسن الحصيلة

السريرية. دون انتظار نتائج الفحوص المختبرية. وينبغى توفير العلاج لتلك الفئتين من المرضى، حتى وإن تأخر البدء بإعطائه. ويمكن إعطاء الزاناميفير (رينيلزا) فى حال عدم توافر الأوسيلتاميفير أو تعذر استخدامه لأى سبب من الأسباب.

وتنطبق هذه التوصية على جميع فئات المرضى، بما فى ذلك الحوامل، وجميع الفئات العمرية، بما فى ذلك صغار الأطفال والرضع.

ومن المعروف أن وجود أمراض دفينة لا يعنى إمكانية التنبؤ بجميع الحالات الوخيمة، أو حتى معظمها. ويشهد بعض من أولئك المرضى تدهورا مفاجئا وسريعا فى حالتهم السريرية، ويحدث ذلك، عادة، فى اليوم الخامس أو السادس عقب ظهور الأعراض عليهم.

ومن سمات ذلك التدهور السريرى الإصابة بالتهاب رئوى فيروسى أولى يتسبب فى تدمير النسج الرئوية ولا يستجيب للمضادات الحيوية، وفشل فى عدة أعضاء منها القلب والكليتين والكبد. ولا بد من إحالة أولئك المرضى إلى وحدات الرعاية المركزة وعلاجهم بوسائل أخرى فضلا عن الأدوية المضادة للفيروسات.

وينبغى أن يتفطن الأطباء ومن يقدمون خدمات الرعاية المنزلية إلى علامات الإنذار التى نشير إلى تطور المرض إلى حالة أشد وخامة، واتخاذ إجراءات عاجلة.

ومع الإعلان عن عقار تاميفلو، كعلاج من الإصابة بفيروس أنفلوانزا الخنازير، أسرع الناس فى كل مكان فى العالم، يبحثون عنه ليس لإصابتهم بالفيروس وإنما للوقاية من الإصابة به.

ولكن منظمة الصحة العالمية حذرت من استخدام العقار المضاد للأنفلونزا «تاميفلو» بشكل وقائى ضد أنفلونزا الخنازير.

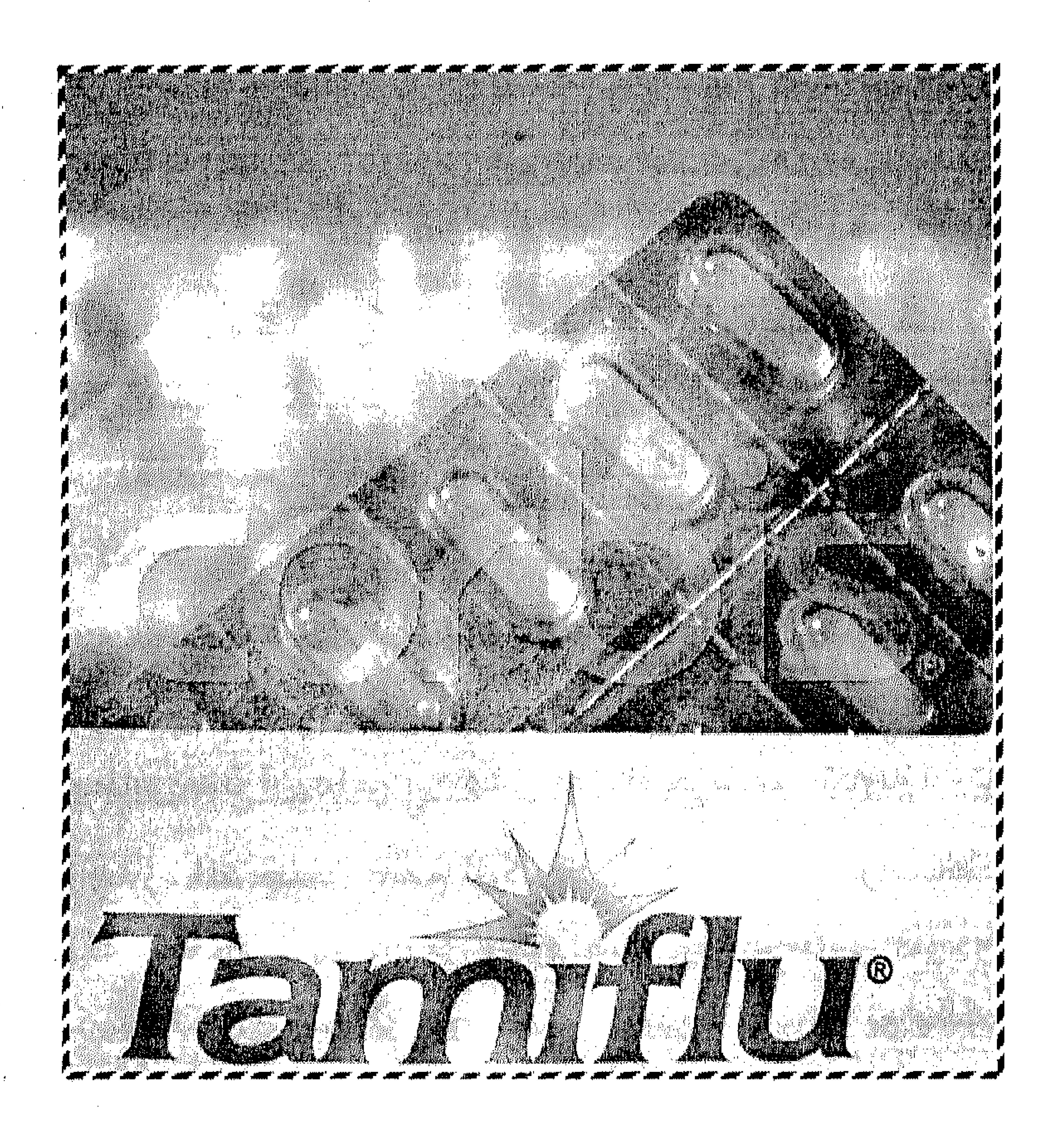
ووذكرت المنظمة أن «الخطر من آن لا يعمل العقار بشكل جيد يعد أكبر مشكلة عندما يتناوله الأشخاص قبل الإصابة بأعراض أنفلونزا الخنازير.. مشيرة إلى أن ١٢ حالة من أصل ٢٨ حالة أظهرت مقاومتها للعقار، كان لها صلة باستخدام العقار بشكل وقائى.

وعلى الرغم من ذلك أوصت منظمة الصحة العالمية بمراقبة الأشخاص أصحاب المناعة الضعيفة عن كثب ترقبا لظهور أعراض المرض عليهم، وإعطائهم العقار المضاد للأنفلونزا فور ظهورها عليهم». (إنفلونزا الخنازير.. الرعب القادم من المكسيك ـ محمد السيد على ـ إسلام أون لاين ـ ٢٦ أبريل ٢٠٠٩).

وقد ظهرت بعض الآثار الجانبيية لعقار الـ"تامى فلو" الشهير التى ظهرت على بعض ممن تناولوا هذا الدواء فى بريطانيا للوقاية من فيروس إنفلونزا الخنازير ومنها حالات تقيؤ، شعور بالغثيان، إسهال وألم فى المعدة، صداع، نزيف فى الأمعاء، التهاب فى الشعب الهوائية، تشوش وارتباك.

وأظهر سيل من الشكاوى تلقته وكالة الأدوية التابعة للحكومة البريطانية أن آثار عقار الـ"تامى فلو" الجانبية ـالذى تتدافع على شرائه الدول والحكومات، لاعتقادها أنه يعضد مناعة جسم الإنسان ضد فيروس إنفلونزا الخنازيرـ بدت تظهر بقوة مع اتساع رقعة مستخدميه حول العالم، نظرا لهوجة المرض حول العالم، حسبما ذكرت صحيفة "إندبندنت".

ورصدت الصحيفة ١٥٠ شكوى تلقتها وكالة الأدوية المشرفة على الرعاية الصحية فى البلاد، وأظهرت تعرض أصحاب هذه الشكاوى للآثار الجانبية لعقار الـ «تامى فلو» الذى تنتجه شركة «روش» الأمريكية، مما جعل بعض المرضى يفضلون عدم تناول العقار بسبب قلقهم من نتائجه العكسية على الصحة.



عقار الـ «تاميفلو»

وأوضحت الصحيفة فى عددها الصادر بتاريخ ٢٧ يوليو أن ١٥٠ شكوى تلقتها الوكالة مؤخرا حتى ٢٣ يوليو ٢٠٠٩ ورصدت ما يقرب من ٢٤١ عرضا جانبيا جراء تناول الـ «تامى فلو»، وقالت الوكالة إن معظم تلك الأعراض خفيفة، كما أن بعضها مرتبط بالفعل بتناول العقاقير المضادة للفيروسات.

وتنوعت شكاوى المرضى حول آثار الـ «تامى فلو» الجانبية ما بين جلدية كالحساسية ونفسية كالتشوش والارتباك، وعامة كالتقيؤ والشعور بالغثيان، والإسهال وألم فى المعدة، وصداع، ونزيف فى الأمعاء، التهاب فى الشعب الهوائية.

ورصدت الوكالة البريطانية أيضا ضمن الـ ١٥٠ شكوى ٥ شكاوى لـ

٩ آثار جانبية لعقار «ريلينزا» الذى تنتجه شركة جلاكسو سميث كلاين، وهو العقار الوحيد المنافس لـ «تامى فلو» ويؤخذ عن طريق الاستنشاق، لذا خصصت الوكالة موقعها على شبكة الإنترنت لتلقى المزيد من الشكاوى.

وقال المتحدث باسم الوكالة للصحيفة: «من الواضح أن هناك الكثير من الناس تناولوا عقارى تاميفلو وريلينزا، لذلك أنشأنا موقعا إلكترونيا يتيح للأشخاص الإبلاغ عن أى آثار جانبية محتملة حتى نتمكن من مراقبة سلامة الأدوية».

وذكرت الصحيفة من جانبها أن هناك آثارا جانبية أخرى أكثر خطورة لـ «تامى فلو» حيث يعتقد أنه يتسبب فى فشل فى وظائف الكبد، فقد توفى مريض بريطانى بعد أن عانى من فشل فى الكبد بسبب تناوله لـ «تامى فلو».

وأقر بدوره المتحدث باسم الوكالة: أن هناك تقارير سابقة أتت من خارج المملكة المتحدة تظهر بالفعل وجود صلة بين الـ «تامى فلو» والفشل فى وظائف الكبد، لكنه استدرك موضحا أن هذه التقارير لم يظهر أى منها وجود علاقة سببية بينهما، مما يجعل الأمر «تحت المراقبة والتحقق».

وآثار الـ تامى فلو «القاتلة»، وردت أيضا فى تقارير مماثلة سبق أن تلقتها إدارة الغذاء والدواء الأمريكية فى ٢٠٠٤ حول الانعكاسات النفسية والعقلية لدى الأطفال المعالجين بالعقار، حيث أظهرت أن ١٢ طفلا تحت سن السادسة عشرة قد توفوا بالفعل، بينما عثر على ٣٢ طفلا لديهم أعراض عصبية عقلية ونفسية ناتجة عن استخدام الدواء ومعظمهم تقريبا من اليابان.

وتستخدم اليابان وحدها ٧٥٪ من إجمالى إنتاج الـ «تامى فلو» فى العالم - وفقا لإحصائيات أجريت فى ٢٠٠٤ - أما الجانب الأوروبى فإن عدد من يستخدمون تامى فلو أقل مما فى اليابان، وقد أصيب ٥ أطفال باضطرابات

عقلية ونفسية مثل التشوش والارتباك وتصرفات غريبة، ولكن التقارير لم توضح كم طفل تم علاجهم بتامى فلو حول العالم، بينما يقول الأطباء إن تلك التقارير مزعجة للغاية، لأن عدد الأطفال الذى يتلقون العلاج بهذا الدواء قليل جدا والبيانات حول استخدامه للأطفال محدودة جدا.

وبرغم الآثار الجانبية الخطيرة لعقاقير الإنفلونزا، فإن الهلع الذى يصيب العالم بسبب انتشار فيروس إيه «إتش ١ إن١» أو إنفلونزا الخنازير، عاد بمبالغ طائلة على الشركات المصنعة لتلك الأدوية، حيث اعترفت شركة جلاكسو سميث كلاين التى تنتج دواء «ريلينزا» بأن وباء إنفلونزا الخنازير عاد عليها بالنفع.

وأضافت جلاكسو وهى ثانى أكبر منتج للدواء فى العالم، فى تقرير أوردته وكالة رويترز فى ٢٣ يوليو ٢٠٠٩، أن الطلبيات على العقار المضاد لإنفلونزا الخنازير ساعدت فى زيادة إيراداتها خلال الربع الثانى من العام.

لذا أعلنت الشركة أنها ستزيد من إنتاج عقار ريلينزا، حيث تتوقع أن تزيد طاقتها الإنتاجية السنوية من العقار إلى ١٩٠ مليون جرعة علاجية بنهاية عام ٢٠٠٩، وهذا يمثل زيادة ثلاثة أمثال طاقتها السابقة وهى ٦٠ مليون جرعة.

وتلعب جلاكسو سميث على وتر أن بعض عينات الفيروس تظهر علامات مقاومة لعقار الـ «تامى فلو» الذى تنتجه شركة «روش»، الأمر الذى دعا بعض الحكومات للإقبال على دواء ريلينزا بدلا من الـ «تامى فلو».

وقد تلقت جلاكسو عقودا لتوفير ريلينزا لأكثر من ٦٠ حكومة، فيما خصصت ١٠٪ من طاقتها الإنتاجية الجديدة من ريلينزا للدول النامية، وفى ذلك مليونا جرعة ريلينزا لمنظمة الصحة العالمية، ليس هذا فحسب بل إنها تأمل فى أن تربح من قناع تنتجه مغلف بمادة مضادة للفيروسات.

ومع التنبه لخطورة فيروس «أتش ١ إن ١»، راح العلماء والخبراء يعددون بعض النقاط العامة التى ربما تلعب دورا رئيسيا وهاما فى احتواء وتحجيم الأمراض السارية والمعدية، كمرض إنفلونزا الطيور أو الخنازير أو غيرها، ومنها:

❖ مكافحة الأمراض المعدية والفتاكة هى مسؤولية الجميع، وليست مسؤولية محددة بطرف واحد من الأطراف. تبدأ هذه المسؤولية بالفرد نفسه وبالعائلة وتمر بالمجتمع ككل، وتلعب الحكومات والمنظمات الصحية المحلية والعالمية دورا هاما فى السيطرة على مثل هذه الأمراض. التوعية والتثقيف الصحى واتخاذ أساليب الحيطة والحذر والترقب، هى ضروريات مبدئية يمارسها الجميع من أجل كشف الحالات المرضية الجديدة والتعامل السريع معها من أجل تجنب العدوى.

❖ التخلص السريع من الخنازير المصابة أو المشتبه بإصابتها أو القريبة من الخنازير المصابة، وعدم لمسها أو الاقتراب منها، وإخبار السلطات الصحية المحلية بوجود حالات إصابة مشتبه فيها من أجل التخلص منها وبالسرعة الكافية.

❖ إجراء التحاليل المختبرية على الحالات المشتبه بها بين البشر، وعزل المرضى فى مستشفيات خاصة وتقديم العلاج اللازم لهم، وهو (فى الوقت الحاضر) نفس الدواء المستخدم فى معالجة مرض إنفلونزا الطيور، أى ما يسمى بعقار «تاميفلو»، وكذلك عقار الـ «ريلينزا». كما يجب استخدام هذه الأدوية فقط عند حدوث المرض أو الاشتباه به وليس كحالة وقائية، كى لا تحصل مقاومة مكتسبة عند الفيروس، الذى قد لا يتأثر بالدواء عند استخدامه فى الحالات المرضية الحقيقية.

❖ فى المناطق الموبوءة، يجب غلق الأماكن التى يزدحم فيها الناس، كالمدارس والجامعات والنوادى والملاهى والمطاعم وأماكن العبادة، لتجنب

انتقال العدوى بين الناس.

❖ لبس الأقنعة الواقية فى الأماكن المزدحمة، كالأسواق والشوارع ووسائط النقل، وتجنب المصافحة والتقبيل أو استخدام أوانى وصحون الغير، كما يجب غسل الأيادى بالماء والصابون عدة مرات فى اليوم الواحد وعدم البصاق فى الأماكن العامة، لأن مثل هذا الفعل قد ينشر الفيروسات فى الفضاء، التى تدخل بدورها إلى المجارى التنفسية للأصحاء أثناء عملية التنفس.

❖ التطعيم ضد المرض ضرورى من أجل زيادة مناعة الجسم ضد هذه الفيروسات الهجينة، ولكن توفر الكميات الكافية للقاح الجديد، يتطلب بعض الوقت، والذى يتراوح بين ٤ إلى ٦ شهور، وقد يستخدم اللقاح ضد الإنفلونزا الموسمية كبديل مؤقت إلى أن يوفر اللقاح الصحيح، لكن أكثر الأطباء يشكون فى فعالية ذلك ولا يرون فائدة منه.

❖ هذا المرض لا يستثنى الدول الإسلامية إذا ما انتشر بين الدول، رغم غياب الخنازير من المزارع والحقول والأسواق فيها، لأن هذا المرض المعدى صار ينتقل بين الناس بسبب وجود الفيروس المتحور الجديد، وليس بالضرورة أن ينتقل من الخنزير إلى الإنسان فقط. فعلى السلطات الصحية أن تتخذ إجراءات الحيطة والحذر من أجل التعامل مع هذا الوباء إن امتد إليها، وأعنى توفير كميات مناسبة من الأدوية المضادة للفيروسات، تهيئة مستشفيات العزل وتزويدها بما يلزم، توفير الأقنعة الواقية، مراقبة المسافرين والقادمين من الدول الموبوءة، نشر الوعى الصحى بين أبناء المجتمع، والتنسيق مع منظمات الصحة العالمية المهتمة بهذا الشأن.

■ ■ ■

2

أنفلوانزا الخنازير صناعة أمريكية..
شهود أمريكيون على الكارثة !!



كانت للإنسان وعلى مر التاريخ طريقتان لتفسير ما يجرى حوله من حوادث، الأولى تعيد الحدث إلى الصدفة، أو بدون ترتيب مسبق لوقوعها، وليس للقوى الحاكمة أو بمعنى آخر «الأيدى البشرية» أى دور فى التمهيد لها، أو أى قدرة على التدخل فيها، وهذه الطريقة فى تفسير ما يحدث تعرف بـ «الرؤية العرضية».

أما الطريقة الثانية فتسمى بـ «الرؤية التآمرية» وفيها تقع الأحداث بتدبير مسبق ولأسباب لا يتم الكشف عنها للعامة و لكنها معروفة للقوى التى تقف وراءها، و لهذا فهى نتيجة لعمل مدبر من قبل قوي خفية أو مؤامرات.

وقد اصطلح على تسمية «الرؤية التآمرية» فى تفسير أحداث التاريخ بـ «نظرية المؤامرة».

ومن فرط استخدام الكثيرين من الحكام والشعوب لمصطلح «نظرية المؤامرة» على طول الخط، ودون مبرر، بهدف التغطية على إخفاقاتهم، أو تعليق أخطائهم الفادحة أو ربما الكارثية على قوى أخرى، لا ناقة لها ولا جمل فيما حدث، تحول المصطلح إلى «شماعة».

يلجأ الكثيرون إليها عند وقوع الحدث، وبسرعة، ودون حتى التقاط الأنفاس، لنفى التهمة عن أنفسهم، ونفض أيديهم من المسئولية.

ومن هنا بدأ الكثيرون أيضا، بالهروب من مسئوليتهم عن تدبير حدث معين، بالرد بأن اتهامهم بالمسئولية عنه يأتى فى سياق «نظرية المؤامرة»!

وبعيدا عن إساءة استخدام مصطلح «الرؤية التآمرية»، أو «نظرية المؤامرة»، إلا أنه يبقى مهما كوسيلة قادرة، لو أحسن استخدامها كدراسة معرفية، فى تفسير أحداث معينة.

وتبدو الحاجة إلى استخدام الرؤيا التآمرية أكثر أهمية فى الأحداث الجسام، التى تمس مصائر الشعوب، وتهدد مصالح الدول، وقد تتدخل

لتغيير مسار البشرية بأكملها وفى مقدمة مثل هذه الأحداث الحروب المدمرة والأوبئة الفتاكة.

ويمكن القول بأن الرؤية التآمرية عند استخدامها بحياد وموضوعية فى تفسير الأحداث، تسير على النهج المنطقى الذى يعتمد على البحث عن إجابة لسؤالين مهمين: من المستفيد؟.. ومن يستطيع؟

وبالنسبة لفيروس أنفلوانزا الخنازير، يعزز الرؤية التآمرية بشأن حدوثه وانتشاره، خروج أصوات لعلماء وغيرهم من المعنيين من داخل المعسكر المتهم بمسئوليته عن خلق الفيروس «الولايات المتحدة» يشيرون بأصابع الاتهام إلى المختبرات الأمريكية الخاصة بتصنيع الأسلحة البيولوجية، ويؤكدون على أن أنفلوانزا الخنازير سلاح جرثومى صنعته المخابرات الأمريكية واختبرته فى المكسيك!!

فى بداية تفشى مرض أنفلوانزا الطيور، صرح عالم البيولوجيا المعروف أدريان جيبس بأن إنفلونزا الخنازير التى تعرف اختصارا بـ «H1N1 أتش ١ إن ١» التى غزت العالم قد نتجت عقب إحدى المحاولات لعمل فاكسين ضد الإنفلونزا.

وعقب ذلك تصدى له بعض باحثى الإنفلونزا فى الولايات المتحدة ومنهم «بيتر باليز» عالم الفيرولوجى بـ «مركز سيناى الطبى» بنيويورك وبادروا بإنكار هذا الاحتمال.. إلا أن «جيبس» ـ كما قال البعض ـ كان قد بدا وكأنه قد ألقى بحجر فى مياه راكدة. (سلاح الفيروسات فى جيوش العالمـ د. هشام عيسى ـ مقال علمى ـ صحيفة «الفجر» ـ ١١ مايو ٢٠٠٩).

ورغم أن الدوائر التى رسمها الحجر بدت ـ كما يقول دكتور هشام عيسى ـ وكأنها قد تلاشت سريعا، ورغم أن الاتهام الذى ساقه جيبس شكك فيه الأمريكيون، إلا أن القضية التى أثارها كانت تشير إلى واقع

لا مجال للشك فيه، وهو الأسلوب الذى استخدمه الغرب خاصة الولايات المتحدة فى التلاعب بالميكروبات، ومحاولة تغيير صفاتها الجينية لأغراض الحروب البيولوجية أحيانا، أو التجارة بالأمصال والعقاقير فى أحيان أخرى، أو حتى بغرض القضاء على الميكروبات بطريقة عشوائية، مما يخل بالتوازن البيئى فى عالم الأحياء.

ورغم أن الولايات المتحدة قد دأبت طويلا على الإنكار، إلا أن هذا الإنكار فى حالة أنفلوانزا الخنازير، لم يثفع بسبب تخلى بعض علماء العالم عن صمتهم ومنهم أمريكيون، والتحدث وبالتفصيل عن أحداث وتواريخ وأسماء فى إطار تدليلهم على صحة اتهاماتهم.

والحقيقة، أنه مع تفشى الوباء، لم يعد تركيز الناس فى كل مكان على سبب ظهور الوباء، وإنما سبل مواجهته!!

الوباء الحالى والذى تعارف العالم على أنه قادم من المكسيك، ثبت أنه قد نقل إليها من الولايات المتحدة فى وقت مبكر.

وتعد «لورى جاريت» من أكثر الأصوات المهمة وذات المصداقية التى تؤكد هذا. ولورى جاريت هى المحررة العلمية الأمريكية الذائعة الصيت خريجة جامعة كاليفورنيا، والحاصلة على مرتبة الشرف فى علم البيولوجيا، وحاصلة على جائزة «بوليترز» للكتابة العلمية وجوائز أخرى، ومؤلفة كتاب «الطاعون القادم» وكتاب «خيانة الثقة».

تقول جاريت فى مقالها المنشور فى مجلة «نيوزويك» الأمريكية بتاريخ ١١ مايو ٢٠٠٩ إن أول ظهور لأنفلونزا الخنازير لم يكن فى المكسيك ولكنه كان فى «ويسكونسكن» بالولايات المتحدة، وذلك فى عام ٢٠٠٥ لصبى كان يعمل فى مزرعة خنازير مع زوج أخته، وأصيب بالإنفلونزا، وأرسلت العينات منه إلى مركز الوقاية والعلاج بـ «أتلانتا»، وثبت أن الفيروس المسئول يحمل جينات

إنفلونزا بشرية مماثلة لتلك التى ظهرت فى «نيو كالدونيا» ونوعين من جينات إنفلونزا الخنازير كانت شائعة فى آسيا، ونوع مجهول من جينات إنفلونزا الطيور..وبفحص الخنازير التى تم ذبحها وجدت خالية من إنفلونزا الخنازير.

ورغم ذلك ـ ولا يزال الكلام لجاريت ـ فقد تم التعتيم على هذه الحالة ولم يصدر بشأنها أى بيان أو تصريح.. وقبل أربعة أشهر قامت إدارة الخدمات الصحية بولاية «تكساس» بإبلاغ مركز الوقاية والعلاج عن حالة إنفلونزا لمواطن من «تكساس» وثبت من تحليل العينات المأخوذة منها أنها تنتمى لنفس نوع الإنفلونزا «أتش ١ إن ١» التى ظهرت فى ويسكونسن عام ٢٠٠٥ والتى تحمل الجينات الثلاثية.

وبعد ذلك وفى منتصف شهر مارس ٢٠٠٩ كان الإعلان عن أول حالة فى «لاجلوريا» بالمكسيك لشاب يدعى «أدجار هرناندز» ثبت أنه مصاب بإنفلونزا الخنازير والتى انتشرت بعد ذلك هناك، حتى إن الوباء سمى بـ «الإنفلونزا المكسيكية» وهو اللقب الذى رفضته المكسيك.



أدريان جيبس العالم الذى أكد خروج أنفلوانزا الخنازير من المختبرات الأمريكية

إذن فإن أول ظهور لهذا الوباء جاء فى حقيقة الأمر من أمريكا.. والشىء الآخر أن اختلاط الجينات مع الخنزير بدأ من الإنسان الذى نقل المرض إلى الخنازير واستعاده بعد أن تحور بفعل مستقبلات الخنزير واختلط بجينات إنفلونزا الطيور.

ومن أكثر الأمور المثيرة للذعر، تقرير خطير كتبه العالمان «ثاكر» و«هانك» عام ٢٠٠٨ عن احتمال اختلاط ثلاثى بين فيروسات البشر والطيور والخنزير القادرة على إيجاد نوع جديد قد يتحول إلى وباء عالمى.

ويؤكد كثيرون ومنهم علماء أن التعتيم على بعض الحقائق المرتبطة بالوباء يعزز الاتهامات وأيضا الشكوك فى نوايا هذه الدول فى الاستفادة المادية من هذه الكوارث التى تجتاح العالم.

فقد أشيع أن عقار التاميفلو المضاد لفيروس «اتش ١ إن ١» و «أتش ٥ إن ١» - H1N1 و - H5N1 يتم إنتاجه بواسطة شركة أمريكية تعمل فى مجال التكنولوجيا الحيوية ويرأس مجلس إدارتها «دونالد رامسفيلد» وزير الدفاع الأمريكى السابق.

وقد رفض وزير الصحة فى إندونيسيا «سيتى سوبارو» التعاون مع المركز البحثى الأمريكى فى جاكرتا، وامتنع عن إرسال عينات من فيروس «أتش ٥ إن ١» بل صرح بأن الوباء الجديد قد تم تخليقه بالهندسة الوراثية لكى يروج للعقار الأمريكى.

■ ■ ■

3

ليونارد هورويتز:
نعم مؤامرة !!

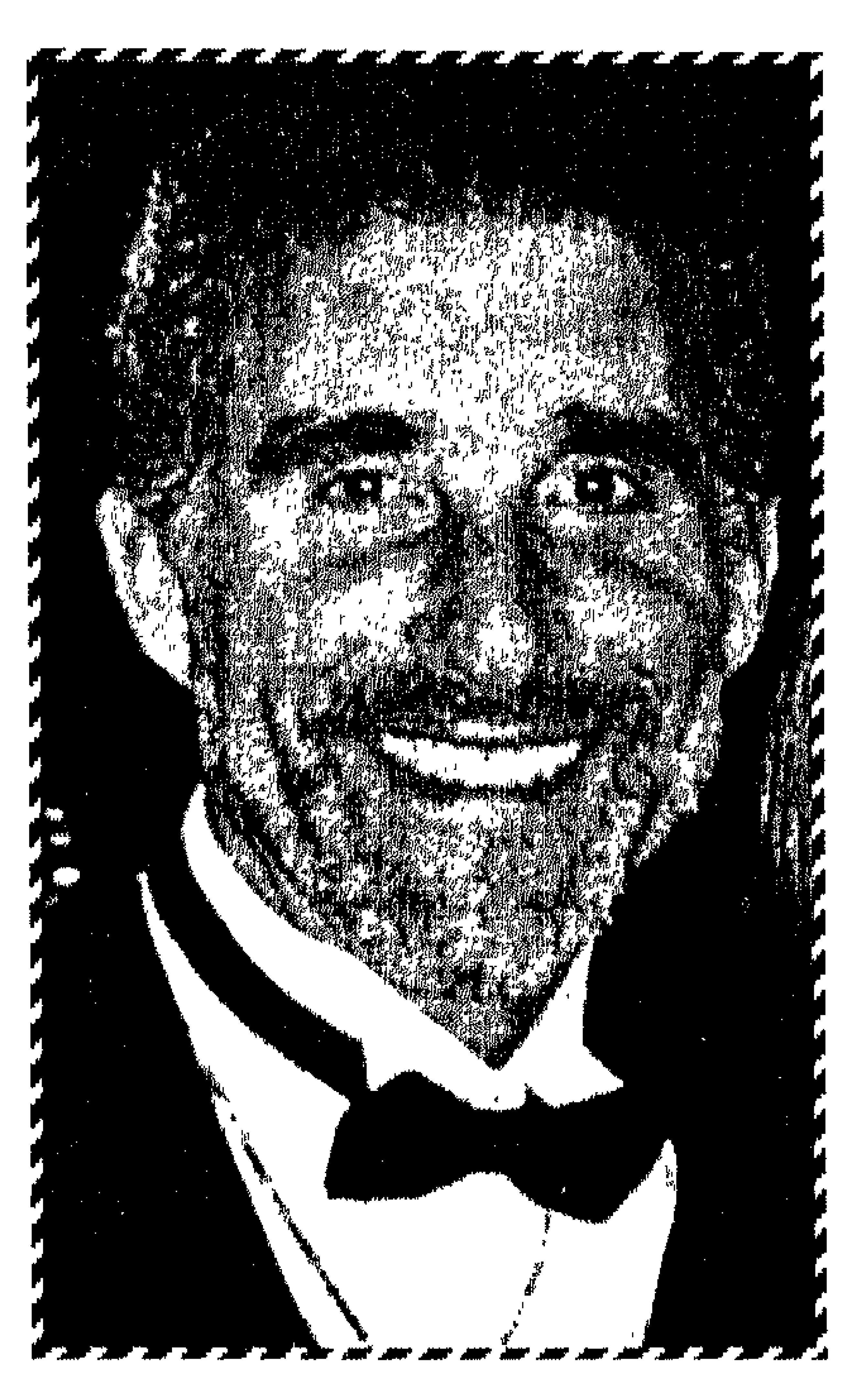


يؤكد الدكتور والباحث والكاتب فى جامعة هارفارد الأمريكية «ليونارد هورويتز» وجود مؤامرة «أنجلو - أميركية» متهما أشخاصا وشركات بعينها. ويؤكد النظريات التى تتحدث عن «مؤامرات» خططت لنشر فيروس قاتل عمدا حول تورط الحكومات لإعادة تصحيح الفوضى السكانية، إضافة إلى الحديث عن سوابق الجيش الأميركى بإطلاق فيروسات مماثلة، ثم توريط شركات تصنيع الأدوية التى كانت تترنح تحت وقع أزمة مالية عالمية عصفت بالعالم. وقال فى رسالة للعالم: أحذركم لأنكم تجهلون أشياء كثيرة جدا وأمى ماتت بسبب التطعيمات، وقال إن هناك مؤامرة كبرى تتم للحد من النمو السكانى فى العالم ودفع الأمور تجاه ما أسماه بعملية «انقراض للبشر»!!

وقد دلل العالم الكبير ليونارد هوريتز على وجود المؤامرة فى مواضع عدة، ونشر موقفه علانية، رغم وجود تهديد على حياته من موقف هذا الفاضح للمخطط. وسوف نعرض هنا لأدلة هورويتز كما ساقها وفى أكثر من حديث، وفى أكثر من مقال، ومن ذلك حديثه لقناة «الجزيرة».

ففى السابع من أكتوبر عام ٢٠٠٩، أدلى العالم البيولوجى الشهير ليونارد هورويتز، أحد أهم وأشهر العلماء العالميين الأميركيين البارزين فى مجال الأمراض الناشئة والصحة العامة، بتصريحات فى غاية الخطورة وذلك فى حواره مع الإعلامى الكبير أحمد منصور بثته قناة الجزيرة القطرية، أثارت أكبر موجة من الخوف والقلق، بلغ عند البعض حد الرعب والفزع، لما تضمنته هذه التصريحات من تأكيدات بالأدلة والبراهين على أن أنفلوانزا الخنازير مؤامرة كبرى وراءها شركات الأدوية العملاقة، بمساندة سياسيين أمريكيين متواطئين ، وأن عملية «طبخ» الفيروس تمت بأيد أمريكية، بهدف تسويق العقار المضاد «تاميفلو» بمليارات الدولارات خطيرة، والأخطر أن عقار «تاميفلو» غاية فى الخطورة على صحة الإنسان خاصة «الأطفال»، وأن هناك بدائل علاجية أهمها الأعشاب الطبيعية، وكذلك

الفيتامينات المتعارف عليها فى حالات البرد العادية مثل فيتامين «سى»، وفيتامين «دى». (برنامج «بلا حدود» ـ حوار مع الدكتور ليونارد هورويتز ـ أحمد منصور ـ قناة الجزيرة القطرية ـ ٧ أكتوبر ٢٠٠٩).



العالم الأمريكى الدكتور ليونارد هورويتز

فى هذه الحلقة تحدث ليونارد هورويتز خبير الصحة العامة والأمراض الناشئة عن حقيقة الفيروس الذى يقول إنه صنع فى المعامل فى الولايات المتحدة وهناك تواطؤ عالمى بين لوبى يضم منظمة الصحة العالمية وشركات الأدوية وبعض العلماء الأميركيين ولوبى الإعلام الأميركى أيضا الذى تمتلكه شركات الأدوية، وتحدث كذلك عن مخاطر التطعيمات المضادة له، و دلائل التواطؤ وأبعاد المؤامرة ، وسبل الوقاية والبدائل الصحية الطبيعية. العالم الأميركى ليونارد هورويتز وقبل نقل ما كشف عنه هذا العالم الأمريكى الكبير يجدر بنا أن نقدم نبذة عن سيرة الرجل العلمية.

تخرج هورويتز من جامعة تافتس لطب الأسنان بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف ومنح الزمالة فى العلوم السلوكية من جامعة لوشيستر، حصل على الماجستير فى الصحة العامة من جامعة هارفرد كما درس العوامل النفسية وتأثيرها على الصحة العامة والوقاية من الأمراض، حصل على الدكتوراه من جامعة تافتس وتخصص فى الأمراض الناشئة والصحة العامة.

كما أصدر هورويتز ١٦ كتابا حققت ثلاثة منها أعلى الكتب مبيعا فى الولايات المتحدة هى «الفيروسات الناشئة الإيدز والإيبولا هل هى طبيعية أم بالصدفة أم متعمدة؟».

أما الكتاب الثانى فهو «شفاء المشاهير» الذى يقدم فيه معلومات عملية ونصائح للوقاية من الأمراض فى عصر الإرهاب الحيوى والجنون الطبى والطاعون الذى يسببه الإنسان، أما الكتاب الثالث فهو «الموت فى الهواء، العولمة والإرهاب والحرب السامة».

وقد أعلنت المنظمة العامة للصحة الطبيعية فى العام ١٩٩٩ هورويتز مؤلف العام كما كرمته المنظمة الدولية للطب الطبيعى عام ٢٠٠٦ كمفكر عالمى رائد فى الصحة العامة، عمل على مدى ثلاثين عاما على رصد الأمراض الناشئة ونشر الوعى بالصحة العامة حول العالم.

فى بداية الحلقة بادر الإعلامى المتميز أحمد منصور هورويتز بالسؤال: تقول فى أبحاثك ومقالاتك إن فيروس إنفلونزا الخنازير ليس طبيعيا وإنما تم تصنيعه فى المختبرات، ما هى أدلتك على ذلك؟

يرد ليونارد هورويتز قائلا: «حسنا أولا هناك تاريخ لذلك ففى ١٩٧٧ كان هناك آفة من إنفلونزا الخنازير صنعت فى المخابر من مثل برادين، وهناك علماء كتبوا ذلك وأيضا تم نشره فى الصحافة الطبية ومصادره تثير الشكوك وكافة الأدلة تدل على أن تلك هى الحقيقة إذا هو خلق فى المختبر

وهو عبارة عن فيروس مصنع مخبريا . أما كيف تم تصنيعه، فحقيقة الأمر أنه ليس هناك من جواب لذلك السؤال، لقد ناقشت الأمر مؤخرا مع الدكتور هاينى مانن والذى هو يعتبر أحد أهم الإخصائيين فى ذلك المجال وقد أجرينا مقابلات على الإنترنت على موقع floss.com ويمكنك أن تقرأ أنه لا يمكن أن تميز ما إذا كان الفيروس طبيعيا أو أنه صنعه الإنسان لأنه يمكن أن يكون مزيجا بين الأمرين فهناك مسائل جينية فى داخلهم وهى تمر بشكل طبيعى لكن إذا وضعتها فى داخل حيوان أو قمت بعزله وتقوم باستنساخه وتقوم بإنتاجهم بشكل كبير للتلقيح وقتها يصبح الأمر صعبا إن لم يكن مستحيلا أن نقول بأن هذا الفيروس أتى من هذا المختبر».

وحول ما أشارت إليه بعض الدراسات ومنها دراسات لهورويتز نفسه من أن الفيروس تم تصنيعه من جثة إنسان توفى فى العام ١٩١٨ ومن فيروس إنفلونزا الطيور ومن فيروس إنفلونزا الخنازير يعنى تم دمج ثلاثة فيروسات فى بعضها حتى تم تخليق هذا الفيروس.. حول مدى صحة هذه المعلومات يقول الدكتور هورويتز: «إن الأمر يكاد يكون صحيحا وهو مطروح بمصداقية أكثر من التخمينات التى تقول بأن هناك جمعا بين طيور من آسيا وخنازير من المكسيك وأيضا هناك هذا الجيل من هذا الفيروس الذى فى عام ١٩١٨ أنه أتى من ١٩٩٧ لأنه انقرض وقتها حقيقة الأمر كان هناك عملية سرية ذهبت إلى آلاسكا مع الدكتور ديفيد سنسر وعرفت أن الدكتور هيلمن الذى اكتشف ذلك وأعاد إحياء ذلك الفيروس من خلال جثة ميتة وتم تجميده فى الثلج وفى نهاية المطاف إعادة إنتاجه جينيا وهذا هو كيف صار الأمر أن يظهر الآن على شكل Hin1 وأشكال منه ذات الصلة، إذا الأمر مثير للشك».

وعندما سأل أحمد منصور هورويتز السؤال الكبير: لمصلحة من تم تصنيع هذا الفيروس ونشره بين البشر؟.. رد هورويتز قائلا : «هذا سؤال

رائع، هذا هو أهم سؤال وعندما نجيب عليه فإن كافة القضايا تتكشف وعلى أساس أنها عملية انتحارية، إن المستفيدين الأساسيين هم عائلة روكفلر فى واقع الأمر هناك أدلة قوية تحث الدول عبر العالم أن توقف حملة التلقيح حتى يكون هناك عملية تحقيق تقوم بها المحاكم الدولية، ففى نيويورك قد وجدوا شركة يرأسها مردوك وبلاك فاين وروكفلر كل هؤلاء عبارة عن مصنعين رئيسيين وهم عبارة عمن يسيطرون على الإعلام، توماس غلوسر أيضا وهو يملك شركة للأدوية وهو رئيس مجلس إدارتها وهو أيضا رئيس رويترز التى كشفت القصة بشأن H1in1 و H5in1 وهو أكبر أمر يتعلق بهذا الوضع، هم كشفوا تلك القصة إذا هناك مصالح كبيرة متضاربة بين أولئك الذين يقودون الشراكة لمدينة نيويورك وأولئك الذين يحصلون على الأموال من التلقيحات».

وعما إذا كان هورويتز يقصد بكلامه هذا أن هناك (لوبى) بين مؤسسات إعلامية وشركات أدوية فى ضوء تسميته أسماء لأشخاص ولعائلات ولشركات بعينها مستفيدة من وراء هذا الأمر، قال هورويتز: «نعم، قد أسميه جمعية فهم يتعاملون مع عصابة للأدوية تقوم بالقتل تحت رعاية الصحة العامة ويقومون باستخدام العالم من خلال وسائل الإعلام ومن خلال أيضا الدعاية، إنها تعرف بأنها عملية مزورة، إذا نظرت فى جوجل وبحثت فى القواميس فهى عملية سرية أساسا لها أجندة سياسية واقتصادية».

وعندما سئل الدكتور هورويتز عن أدلته على هذه الاتهامات وعما إذا كان يخشى من أن يقاضيه هؤلاء، رد العالم الكبير قائلا: «لا، أنا لا أخاف حتى من أن يقتلونى، حقيقة الأمر هو أننا جميعا نحن إخوة وأخوات على هذه الأرض وعلينا أن نقوم بما فى وسعنا لأن نقضى على الخطر الذى يصنعه الإنسان. أنا لست قلقا بشأن ذلك لأن الأمر يقوم على وثائق موثقة وقائم على العلم أيضا وفى واقع الأمر كله يأتى من عمل من داخل غوغل

وأنا لست قلقا بذلك الشأن».

وحول حقيقة أن منظمة الصحة العالمية أكدت على هذه المعلومات وتطالب الناس بأن يأخذوا التطعيم الذى أنتجته هذه الشركات، قال هورويتز: «منظمة الصحة العالمية من ناحية تاريخية يتم التأثير عليها من عائلة روكفلر وقد فرضت سيطرة على الصحة العامة فى أميركا وصناعة السرطان وكذلك فإن منظمة انتشار الأمراض التى تقوم عليها منظمة الصحة العالمية تم خلقها من طرف مؤسسة روكفلر وعائلته إذا العلاقة والخطر الممكن يعود أساسا إلى سيطرة سياسية وجغرافية تسعى إلى تدمير الملايين من البشر وربما هناك إمكانية أنه إذا كان هذا التطعيم خطيرا كما هو واقع الحال وحسب اعتقادى أن مكونات مرتبطة سامة جدا حيث أن الكثير من الناس الذين اهتموا به يقولون مثلا إنه مسمم، وقتها يكون لدينا مشكلة كبيرة وأنا أحث المستمعين لئلا يتخذوا التطعيم بأى شىء حتى يكون هناك فهم واضح للمخاطر المرتبطة وكذلك المعلومات التى يتم التعتيم عليها فى هذا الإطار».

وحول الأساس العلمى الذى بنى عليه هورويتز تصريحاته الصحفية التى نشرت له مؤخرا ووصفت التطعيمات «تاميفلو» بأنها شىء همجى مرعب له مخاطر أسوأ بكثير من طفيليات الدم،، قال هورويتز: «يمكنك أن تأخذ مثالا وهو المكونات النشطة والتى هى أدوات جينية غريبة وبروتينات من Hin1 فعندما تحقنها بجسم بشر فإنك تعرف كل ما هو ضرورى لخلق أمراض ذات حصانة إنسانية وذات مقاومة وإذا أضفت إلى ذلك إمكانية حدوث سرطانات تتسبب فيها تغيرات جينية فى الجسم ويتم خلقها، هذا يمثل خطرا آخر. إذا لم يكن هذا سيئا بما يكفى خذ المكونات غير النشطة والمعروفة بالإضافيات والتى هى تؤدى إلى المزيد من المقاومة أو ردات فعل جساسية للغاية، هذه سامة للغاية. وإذا نظرت إلى سكويلن

والتى تم التحقيق بشأنها من طرف الكونغرس الأميركى وتمت إدانتها لتأثيرها. فى المحاربين القدامى فى حرب الخليج، هؤلاء تم حقنهم من طرف التلقيح للجمرة الخبيثة وأدى إلى أن منظومة المناعة لديهم أن تفشل وفى نهاية المطاف أدى إلى تطوير أمراض ذات مقاومة. هذا مثال وهناك أمثلة كثيرة، هناك سمومية ميركورى لدينا كميات كبيرة منها والعلم ومعلوماته التى تم إخفاؤها، أنا تحدثت وأعطيت إفادتى أمام الكونغرس وقد تعتموا على حقيقة أن هذه الدراسات تظهر بشكل قاطع أن العلاقة بين ميركورى والسلوكات المضطربة العصبية لدى الأطفال. إذا نرى العلم يتم التكتم عليه وذلك أمر مريع بالنسبة لشخص مثلى الذى أنا منخرط فى العلم والتحريات الطبية والصحة العامة».

وحول تعارض شهادة هورويتز أمام الكونجرس حول المخاطر التى تحويها هذه التطعيمات لا سيما على الأطفال، مع إغلان «آن شوكات» مساعدة مدير مركز المراقبة والوقاية من الأمراض فى الولايات المتحدة أعلنت فى الثانى من أكتوبر ٢٠٠٩ أن ملايين التطعيمات أصبحت جاهزة قبل موعدها المقرر بأسبوعين، وبدء الولايات المتحدة التطعيم، وإعلان شركة سانو فى باستور وهى الفرع الخاص باللقاحات فى الشركة الأم أن التجارب السريرية التى أجريت فى الولايات المتحدة أثبتت فعالية اللقاح حتى لدى الأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ عاما.. حول هذا التعارض يقول هورويتز: «هو معارض تماما وهو يظهر لك بأن الكونجرس لم يكن مهتما بالأمر، فى واقع الأمر أولا هناك مجموعة لوبيات وذوى المصالح الخاصة فى الكونغرس يؤثرون على التشريعات هؤلاء هم صناع الأدوية وحاليا فى الولايات المتحدة فإن مجلس الشيوخ هناك مشروع داخل هذا هناك مشروع للرعاية الصحية يقوده روكفلر، الأمر كان خلال القرن الماضى ولم يتغير فعائلة روكفلر تسيطر على الصحة فى أميركا وما يحدث

أيضا فى الكونغرس».

وحول ما إذا كان هورويتز يستبق الأحداث بذكر المخاطر المميتة للتطعيمات فى ظل وجود متطوعين أخذوا المصل أو التطعيم ولم تظهر عليهم أعراض حتى الآن؟.. حول هذا يرد هورويتز: «ذلك أمر فعلا مضحك، عليك أن تفكر فى هذا، كافة الإصابات من هذه التطعيمات تحدث بعد أشهر وحتى سنوات عندما ينتهى التطعيم، عندما تتحدث عن التغييرات فى جسم الإنسان بنتيجة لحقن مواد جينية من بكتريا أو من فيروس فى هذه الحالة فالأمر يتطلب سنوات ليظهر سرطان ويتخذ الأمر أيضا شهورا لتظهر عوارض. حقيقة الأمر أن هذه التطعيمات تمت المسارعة بها للحقن العام وتم تجميعها من طرف الحكومة والآن يوزعونها خلال ستة أسابيع للتجريب، لا يمكنك أن تقول بأن كافة الأمراض التى تحدث لمدة طويلة لا يمكنك أن تعرفها وهذا ليس علما هذا فى المصلحة العامة، ما هو فى المصلحة العامة هو دراسات على المدى الطويل وللأسف وحتى اليوم فإن آليات الرقابة للتعرف على المرضى والناس الذين أخذوا التطعيم وبعدها عانوا لمدة طويلة من هذه الأمراض، هذه الدراسات غير ممكنة إذا البيانات التى يمكن عليها أن نحدد مزايا الخطر ليست موجودة هذه البيانات، إذا هذا هو الركيزة الأساسية والمتطلب الأساسى لأى تشريع للصحة العامة والسياسة لتتحدد بشكل جيد أن هذا الأمر لا يقتل أو يجرح الناس وإنما يساعد على حمايتهم ونتيجة لغياب البيانات الأساسية بشأن المخاطر على المدى الطويل لهذه التطعيمات إننا لا نتعامل هنا مع العلم وما لم يكن صحيا ١٠٠٪ فليس علما وما دامت هناك مخاطر ومخاطر لا يتم التعبير عنها فإننا نتعامل أكثر بأجندة انتحارية اقتصادية أكثر من تعاملنا مع العلم الذى يخدم الصحة العامة».

ولدى سؤال دكتور هورويتز عن تصريحاته التى قال فيها إن التطعيم

الذى أخذه الجنود الأميركيون حينما شنوا الحملة الأولى فى حرب الخليج الأولى فى عام ١٩٩١ وإشارته إلى أثر هذا التطعيم الذى ذكرت مصادر كثيرة إلى أن عشرات الآلاف من الجنود أصيبوا أو ماتوا جراء هذا التطعيم كما نشر مركز دراسات اليورانيوم أبحاثا عنهم، وتأكيده أنه ينتظر على المدى البعيد أن يظهر التأثير على كل من سيأخذ التطعيم ربما بعد عام بعد اثنين بعد عشر سنوات على حسب قدرة كل جسم على المقاومة.. حول تصريحاته تلك قال هورويتز: «نعم هذا صحيح، ومجددا إنه لأمر لا يصدق بالنسبة لى كعالم فيزيائى يهتم بمجال الصحة ودربت الدكاترة والأطباء، فنحن نتعامل مع الحوامل مثلا كأناس أوائل يتعرضون لأكبر خطر وبحاجة أكبر إلى التطعيم، حقيقة الأمر أن هذه الدراسات وبشكل مذهل تم إنهاؤها وإكمالها الآن فى أستراليا فى مستشفيات عامة يتم إدارتها من طرف روبرت ميردوك والأم إليزابيت وسارة ميردوك وهى نسيبته، هذا من حيث الأطفال والأمهات الحوامل يتم تحريهم نتيجة مدة ستة أسابيع للقاح إنفلونزا الخنازير، إذا هذا المفهوم القائل بأننا سنحقن الحوامل بالميركورى حيث أن النظام العصبى لهم يطورها ودرجة سمومية ميركورى١ هى الأكثر على وجه الأرض، الأمر بأن السماح بهذا يعنى أنهم لا يتعاملون بأى شىء قائم على العلم الحقيقى وإن الأمر غريب بالنسبة لى أن هذا يتعارض تماما مع أى شىء نفهمه نحن كرجال فى مجال العمل، فى الماضى التلقيحات عندما كانت تقدم للحوامل كانت دائما انتقائية واختيارية، كافة الإجراءات للنساء إذا كانت اختيارية يجب تجنبها، الآن مع هذا الوباء نقوم بتلقيح الأمهات بالميركورى السام، بصراحة كافة الأطباء لا يفهمون ذلك ولذلك فإن نصف العملاء الذين تم التحدث لهم رفضوا تقديم هذا التطعيم ليس فقط لمرضاهم ولكن أيضا لعائلاتهم».

وحول أثر هذا التطعيم على الأمهات الحوامل والأطفال، قال

ليونارد هورويتز: «الأمر متعلق بنوع التطعيم الذى يتلقونه ومحتواه، إن المشتقات لا يتم الكشف عنها وهى ليست فى العلبة المقدمة إذا علينا أن نذهب نتحرى بالأشكال فأحدها تحدثت عنه الشركات وهو ما يسمى الـ nanoxel9 وهو عبارة عن آلة تقتل الـ HIV وتقتل أيضا الأمراض، ربما هم يحاولون قتل الإيدز لكن الدراسات تظهر أن هناك إجهاضات تلقائية وأيضا مسائل غير طبيعية فى الجنين، هذا نتيجة لهذه المشتقات التى تعطى للأمهات الحوامل، هذه بعض من المخاطر التى لا يتم التحدث عنها فى وسائل الإعلام الرسمية، رويتر لا تتحدث إليكم عن ذلك وشبكة Fox newsوكذلك ABC news كل هذه الشركات الإعلامية يتم السيطرة عليها مباشرة من خلال شركات الأدوية وصانعى الأدوية وهناك مصالح متضاربة كبيرة وهى التى تشرح لماذا لا نحصل على كافة المعلومات الضرورية ". وعما إذا كان هناك تواطؤ بين منظمة الصحة العالمية والعلماء الذين يعملون لدى شركات الأدوية ولوبى الأدوية ولوبى الإعلام الذى أصحاب شركات الأدوية أيضا هم شركاء أو مؤسسون فيه قال هورويتز: «نعم هناك مؤامرة بالتأكيد، منظمة الصحة العالمية ليست أمرا خفيا مثل الأمم المتحدة فتمويلها من طرف مؤسسة روكفلر وعائلته ولديها انخراط كبير وهناك معرفة كبيرة لأجندة روكفلر فى الكوكب الأرضى كله، منظمة الصحة العالمية تعمل من خلال منظمة بريطانية التى يديرها دكتور جيمس روبرتسون والذى اختار بشكل مباشر نوع الفيروس الذى يذهب فى أى لقاح للإنفلونزا وبعدها بعثه إلى أميركا وفى CDC بعثه بعد ذلك إلى كافة مصنعى التطعيم فى أميركا. إذا هم إما أن منظمة الصحة العالمية تعمل معهم وتوصل الفيروس إلى مصنعيه فى أميركا، هذه هى الطريقة التى يصير فيها الارتباط بين منظمة الصحة العالمية وأميركا والشركات التى تصنع التطعيم عبر العالم».

وبالنسبة لحديثه عن وجود فساد بين العلماء، وتحديده أسماء بعينها، منهم أنتونى فوسى مدير المعهد الوطنى للحساسية والأمراض المعدية فى الولايات المتحدة، أسماء علماء لهم أسماؤهم ومكانتهم كمخترعين للأمصال التى تطعم بها الناس، يقول هورويتز: «يمكنك الحصول عليها من خلال بحث بسيط فى غوغل والآن مثلا إذا أخذت الدكتور فولدجى وهو أكبر سلطة فى هذا المجال هو كان أول من يمارس الدعاية من أجل توزيع هذا التلقيح وهو كان على التلفزيون فى آخر مرة، يمكنك أن تقوم ببحث فى غوغل وتكتشف بأن الدكتور فولدجى تم اتهامه لقبوله المال للحصول على براءة مشتركة من خلال النظر فى مكونات الآن يقال إنها مهمة للمشتقات تستخدم فى التطعيم، إذا هذا تضارب فى المصالح لا أحد يتحدث عنه وليس هناك متضرر فى المصالح واحد فما أن تدرس هذا الأمر وتبدأ تكشفه فأنت تكتشف تضاربا فى المصالح بعد تضارب المصالح بين هؤلاء الناس. يجب أيضا أن تعرف بأننى أنا من كتب كتبا بشأن الإيبولا وهو كان موضوعا لعدد من النشرات العلمية وواحدة من هذه النشرات تتحدث عن أصول الـ HIV الإيدز الذى تم إنتاجه وصناعته فى مختبر فى نيويورك وهو ذكر فولدجى ومنظمته وهو مؤسسة الأمراض الوطنية كانت واحدة من أربع منظمات، CDC والـ FDI وشركة ماركن والشركة الوطنية للأمراض، هذه الشركات هى التى خلقت هذه الأمصال فى القرود المصابة إذا القرود استخدمت لهذه الأمصال وقدمت للمثليين وذوى الشذوذ الجنسى فى أميركا بين ١٩٧٢ و١٩٧٤، الآن دكتور فولدجى يعرف ذلك وهو يلتزم الصمت حيال ذلك. ذلك بالنسبة لى أمر مريع، وأهم من ذلك فمن الواضح أن هناك - أمرا ملحا - فهناك أربعون مليون شخصا قتلوا عبر العالم من الإيدز وكما أقول لك هذا من خلال هذا المصل الذى تم حقنه بالـ HIV، هذا يعنى أنه إذا كان هناك اهتمام وليس إهمالا إجراميا فإن الدكتور فولدجى وغيره فى أميركا فى المجتمع العلمى كان عليهم أن يهتموا بهذه الحقائق العلمية، بدلا من ذلك لدينا سكوت مطبّق».

ويؤكد هورويتز إن ما يحدث هو جريمة ضد الإنسانية وأن هناك مؤامرة على الجنس البشرى يتم فيها تواطؤ ويتم نشر هذه الأمراض، و أن الإيدز والإيبولا هى أمراض صنعت فى المعامل ونشرت، وأنه نشر هذا فى كتاب كان الأكثر مبيعا فى الولايات المتحدة، ويقول هورويتز: «نعم إنها مؤامرة فى واقع الأمر فهى ربما أسوأ مثال وأسوأ كابوس فى تاريخ الإنسانية وأفعالها ضد بعضها البعض، علينا أن ننظر ونتعمق فى دواخلنا لنكتشف ما الذى أدى إلى هذا الأمر وأعتقد أنه علينا أن نقوم بذلك الآن، حسب الكثير من العلماء فإننا نمر على حافة الانقراض نحن أنفسنا كجنس بشرى، علم البيولوجيا أى الأحياء يتم تسميمه بشكل خطر ومناخنا يتراجع من خلال شركات الأدوية هذه، وبالإضافة إلى تسميمنا وتسميم مناخنا هناك أيضا هم يبقوننا بعيدين من كافة هذه المواد الشافية التى يمكن أن تقدم لنا».

وحول سبل الوقاية والبدائل الصحية الطبيعية فى ضوء وجود عشرات الملايين أو مئات الملايين أو آلاف الملايين من البشر يعيشون حالة رعب وهلع من انتشار الفيروس، يقول هورويتز: «أنا أيضا قلق بهذا الشأن ولسوء الحظ أو بالأحرى لحسن الحظ أنا لا آخذ الأدوية التى تؤدى إلى أن يصبح جسدى وجسد أطفالى مناسبا لنمو الفيروسات، هناك قضايا بسيطة مثل الليمون الذى يوضع فى الماء ونتيجة لأنه يحتوى على الكالسيوم فإنه سيؤدى إلى التأثير على الماء وأيضا يؤدى بعدها إلى التأثير على الجسم، هناك الكثير من المعلومات فى الطب الطبيعى مثلا فيتامين C والذى تقدم بجرعات معينة هو مهم جدا ضد الفيروسات وتحمى الناس ضد الإنفلونزا وغيرها من الأمراض العديدة وفيتامين D أيضا هو مهم وأنا أحث الحكومات والشعوب الذين يمكنهم أن يحصلوا عليهم أن يهتموا بالماء المعدنى الذى يمكنه أن يقضى على كافة الأمراض المعدية من على وجه

الأرض وأن يستخدموا.. كافة التطعيمات يجعلها غير ضرورية، هذا تم تطويره بطلب علماء ناسا لرواد.. ركاب الفضاء، أنا أحثكم جميعا نحن الشعوب والحكومات، الحكومات التى تمثلنا أن نطور هذه التكنولوجيا وأن نقدمها إلى شعوبنا، إن تكلفتها منخفضة وليست بها مخاطر وهى ناجحة للغاية من أجل القضاء على الأمراض المعدية من على وجه الأرض».

وحول تحذيره من تناول التطعيم، يقول هورويتز: «نعم أنا أحث من تناول التطعيم وأحثكم جميعا لا تستخدموا هذا التطعيم وأن تدعوا أحبتكم أصدقاءكم وعائلاتكم ألا يأخذوه، ذلك أنكم إذا أخذتم هذا التطعيم فهناك الكثير من القضايا التى لا تعرفونها التى لا يمكنكم أن تحصلوا أو أن تقوموا بخيار من شأنها، هذه إحدى القضايا المهمة فى الطب مسألة الخيار العالم، من فضلكم عليكم أن تكترثوا قبل أن تأخذوا هذا التطعيم».

وحول إشارة مجلة «تايم» الأمريكية فى عدد ٢٧ أبريل ٢٠٠٩ إلى ما يسمى بمهزلة التطعيم التى وقعت فى الولايات المتحدة عام ١٩٧٦ حينما انتشرت إنفلونزا المكسيك فى بعض الأماكن فى الولايات المتحدة حيث توفى آلاف من البشر بعد التطعيم، وما إذا كان من الممكن لهذه المهزلة أن تتكرر فى ظل إقبال الملايين الآن على أن يأخذوا التطعيم، قال هورويتز: «نعم ذلك تماما هو قلقى الكبير لذلك أنا أصدرت التحذير الذى قلته للتو، إنه تحذير مسؤول وهو الأكثر مسؤولية، فى واقع الأمر كافة الأطباء يقومون بنفس التحذير الآن، هم يقولون لمرضاهم ألا يستخدموا هذا التطعيم ونتيجة لذلك أنا أشعر بارتياح كبير أن أقول ذات الرسالة. حقيقة الأمر هو أنه فى ١٩٧٦ وتفشى إنفلونزا الخنازير وقتها فى أميركا كانت تجربة عسكرية وفى السنة التى تلتها لأننا شاهدنا نفس الدعاية الإعلامية بهذا الخصوص، لقد كان لدينا برنامج تلقيح ضد إنفلونزا الخنازير وقتها والذى أدى إلى قتل وجرح عشرات الآلاف من الأشخاص، أمى كانت إحدى

الضحايا ضحايا برنامج التلقيح ذلك، أمى أخذت إيمانها بالأطباء التى اعتقدت بأنهم.. يقولون هذا التلقيح فى مصلحتها، إنهم لم يكونوا يدركون الحقيقة، أنا الآن أتقاسم معكم الحقيقة لأمنع ذلك النوع من الخلاصة والنتيجة المريعة».

وحول نشر بعض الأطباء مؤخرا دراسات قالوا فيها إن تناول ملعقة صغيرة من بيكربونات الصوديوم أو الخميرة التى تستخدم فى العجين للخبز مع كوب من الماء كاف بتحويل الدم إلى الوسط القلوى ومن ثم قتل الفيروسات التى لا تعيش إلا فى الوسط الحمضى، حول هذه الدراسات وبصفته من أكبر خبراء الغالم فى الصحة العامة والأمراض الناشئة يقول هورويتز: «نعم ذلك تماما هو ما أتحدث عنه، هناك الكثير من طرق غير مكلفة ومتاحة لدينا لتغيير آلية عمل الجسد لجعل مناعتنا تعمل بأقصى قدر، ما تتحدث عنه بيكربونات الصوديوم وما تحدثت عنه سابقا هناك ما يسمى PH أو مكونات هيدروجينية فى الجسد التى إذا كيفتها فإن الميكروبات لا يمكنها أن تنمو وقتها، هذا تماما هو البحث والتثقيف الذى يحتاجه العموم ويجب أن يحصل عليه من الحكومة التى لا تسمح بحصول مثل هذه المعلومات وذلك إهمال مريع وإجرامى».

وحول ما إذا كان لديه دليل علمى يؤكد ما نشرته مجلة «ميديكال ريسيرش» الطبية الصينية مؤخرا من أن تناول كوب من اليانسون الدافئ وليس المغلى كل صباح كفيل بالوقاية من إنفلونزا الخنازير يقول هورويتز: «سأحث الجميع وبشكل جاد لأن يتخلوا فى هذه المرحلة عن النظام الصحى الانتحارى غير المسؤول، ولأننا نعيش فى عصر ملح جدا وأن يعودوا إلى الأطباء الطبيعيين أولئك الذين وبشكل تاريخى عبر العصور قدموا رعاية صحية مهمة، عندما تفهمون بأن الثقافات المتعددة والمناخات المتعددة تحتاج إلى ممارسات طبية متعددة وليس هناك أى تطعيم واحد يستجيب لحاجات

البشر جميعها، ذلك لا معنى له. حقيقة الأمر هو أن كافة الأدوية الطبيعية تم تهميشها من طرف شركات الصناعة، من الناحية الأكاديمية الأطباء يتم غسل أدمغتهم وحتى تكون هناك صحوة أطباء ويجدون بدائل وبرامج صحية بديلة وأدلة بديلة وقتها، أنا شخصيا لا يمكننى أن أثق بهم وأحث الجميع على أن يهتم بكل ما تحدثت عنه أنت شخصيا وتغيير التغذية وكذلك الجفاف الضرورى للجسد والضرورى لأنه هو أحسن كما قال أحسن عالم أحياء فإن الميكروبات ليست شيئا إنما الجسد هو كل شيء، هناك بعض البكتيريا التى لا يمكنها أن تنمو فى جسم يصبح قلويا أكثر، هذه حقيقة وهناك مرجعية كبيرة لها فى الأدبيات العلمية».

وحول قدرة الشركات التى اخترعت أو اللوبى الذى يقف وراء أنفلوانزا الخنازير يستطيع نشره فى العالم فى ضوء وفاة أربعة آلاف شخص طوال عام كامل من الإنفلونزا مع التصعيد الضخم فى هذا الموضوع، وعما إذا كانت هناك مخاوف من أن يتفشى المرض ويصبح وباء يقول هورويتز: «قلقى الكبير فى هذه المرحلة هو أن عائلة روكفلر التى كانت تسعى إلى السيطرة على النمو الديموغرافى فى الأرض فهناك مجلس سكان فى مدينة نيويورك والذى هو ممول من طرف عائلة روكفلر، أنا أتكلم عن حقائق تاريخية، هذا هو ما سمح بوكالات السيطرة على الديموغرافيا وغيرها من المنظمات عبر العالم، هؤلاء هم الناس الذين يخبروننا بأن لدينا كثيرا من الأفواه لتغذيتها وعلينا أن نقلص الديموغرافيا بقرابة الثلثين، قلقى الكبير الآن هو أن هذه التهديدات هؤلاء الانتحاريون سيخسرون.. سيحررون H5in1 التى قتلت ستة من كل عشرة أشخاص وإضافة إلى ما ينتشر الآن وهو تحديدا ما تحدث عنه توماس ميرويتارز وهو القلق بنشر الخوف من هذا الوباء وذلك هو الأمر الأول الذى سيقومون به لجنى المال من معاناة البشرية وأن يقلصوا الديموغرافيا البشرية».

وحول وصيته للعالم لمواجهة هذه المؤامرة أوصى هورويتز بـ «الصلاة وأيضا المناهج الطبيعية لحماية الجسد وتحرير المناعة الشخصية».

مع تفجر أزمة أنفلوانزا الخنازير، بدأ العلماء والمحررون العلميون المتخصصون يدلون بدلوهم، وراح كل منهم يكشف ما لديه من أسرار أو نتائج تحقيقات قاموا بإجرائها، كلها تشير إلى أمر واحد، وهو أن هذا الوباء بفعل فاعل.

وبمرور الوقت أصبحنا نفاجأ بكشوفات مخيفة، ولكنها تمر مرور الكرام بمجرد نشرها فى صحيفة، أو مجلة على لسان أصحابها، قبل أن تختفى وراء سيل الدعايات للأمصال الجديدة التى يتم تصنيعها، ووسط حالة الرعب التى تجتاح الناس، فتجعلهم يركزون اهتمامهم على سبل مواجهة الفيروس، وكأن مصدر الأخطار التى لا تحيط بهم لا تهمهم!!

فقد فجرت صحفية نمساوية متخصصة فى الشؤون العلمية فى شكوى أودعتها لدى مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى (إف بى آى) قنبلة مدوية بكشفها أن ما بات يعرف بفيروس أنفلونزا الخنازير، الذى اجتاح بلدان العالم فى ظرف قياسى، ما هو إلا مؤامرة يقودها سياسيون ورجال مال بينهم مجموعة من اللوبى اليهودى المسيطر على أكبر البنوك العالمية، بينهم ديفيد روتشيلد، وديفيد روكفلر، وجورج سوروس، وشركات لصناعة الأدوية فى الولايات المتحدة الأمريكية.

واتهمت الصحفية النمساوية كل هؤلاء بالتحضير لارتكاب إبادة جماعية، وقد تزامنت الشكوى الجديدة مع شكاوى أخرى رفعت فى أبريل ٢٠٠٩ ضد شركات الأدوية «باكستر» و«أفير جرين هيلز تكنولوجى»، والتى ترى الصحفية أنها مسؤولة عن إنتاج لقاح ضد مرض أنفلونزا الطيور، من شأنه أن يتسبب فى حدوث وباء عالمى، من أجل البحث عن الثراء فى نفس الوقت.

وترفع الصحفية فى شكواها جملة من المبررات تراها موضوعية، تتمثل فى كون المتهمين ارتكبوا ما أسمته «الإرهاب البيولوجى»، مما دفعها لاعتبارهم «يشكلون جزءا من «عصابة دولية» تمتهن الأعمال الإجرامية، من خلال انتاج وتطوير وتخزين اللقاح الموجه ضد أنفلونزا، بغرض استخدامه كـ «أسلحة بيولوجية» للقضاء على سكان الكرة الأرضية من أجل تحقيق أرباح مادية».

واعتبرت بيرجر مايستر «انفلونزا الخنازير» مجرد «ذريعة»، واتهمت من أوردت اسماءهم فى الشكوى، بالتآمر والتحضير للقتل الجماعى لسكان الأرض، من خلال فرض التطعيم الإجبارى على البشر، على غرار ما يحدث فى الولايات الأمريكية، انطلاقا من يقينها بأن «فرض هذه اللقاحات بشكل متعمد على البشر، يتسبب فى أمراض قاتلة»، مما دفعها إلى تكييف هذا الفعل على أنه انتهاك مباشر لحقوق الإنسان، والشروع فى استخدام «أسلحة البيوتكنولوجية».

ومن هذا المنطلق ترى يان بيرغرمايستر فى عريضة الشكوى، أن مثل هذه الأفعال لا يمكن تصنيفها إلا فى خانة «الإرهاب والخيانة العظمى».

وتحول موضوع هذه الشكوى، إلى قضية حقيقية رفعتها منظمات حقوقية ومهنية فى مختلف دول العالم، وفى مقدمتها «جمعية إس أو إس عدالة وحقوق الإنسان» الفرنسية، التى سارعت بدورها إلى المطالبة بفتح «تحقيق جنائى بهدف منع وقوع أزمة صحية خطيرة». وشددت على ضرورة وضع حد للتطعيم واسع النطاق المخطط للشروع فيه بداية من فصل الخريف الجارى.

فى هذه الأثناء، قال عدد من أخصائى علم الفيروسات: «إن برنامج التطعيم الإجبارى ضد مرض إنفلونزا الخنازير عندما ينظر إليه يتأكد أن فيروس «أتش ١ إن ١» المسبب للمرض من الفيروسات المركبة جينيا وأنه تم إطلاقه عن عمد لتبرير التطعيم».

ويتساءلون: من أين حصل هذا الفيروس على كل هذه الجينات؟، ويقولون إن التحليل الدقيق للفيروس يكشف عن أن الجينات الأصلية للفيروس هى نفسها التى كانت فى الفيروس الوبائى الذى انتشر عام ١٩١٨م بالإضافة إلى جينات من فيروس انفلونزا الطيور «أتش ٥ إن ١»، وأخرى من سلالتين جديدتين لفيروس «أتش ٣ إن ٢» وتشير كل الدلائل إلى أن انفلونزا الخنازير هو بالفعل فيروس مركب ومصنع وراثيا.

فى نفس السياق، أكد عالم الاجتماع السويسرى يان تسيجلر أن أنفلونزا الخنازير التى تنتشر بشكل مستمر فى العالم تستغل على حساب فقراء العالم.

وقال تسيجلر فى حديث مع وكالة الأنباء الألمانية (د.ب.أ)، فى العاشر من شهر مايو عام ٢٠٠٩، إن الحملة التى تتبناها منظمة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة تثير مخاوف الناس ولا تتناسب مع المشاكل الحقيقية.

أضاف تسيجلر: «ربما توفى نحو ٤٥ شخصا خلال الأسابيع الماضية بسبب إصابتهم بأنفلونزا الخنازير من إجمالى ٦ر٢ مليار نسمة، عدد سكان العالم، فى حين أن ١٠٠ ألف شخص يموتون يوميا من الجوع ومن تداعياته المباشرة».

وأشار تسيجلر إلى أن العالم يشهد وفاة طفل تحت سن عشر سنوات كل خمس ثوان مضيفا: «نحن نقبل ذلك وكأنه أمر طبيعى للغاية».

وأكد تسيجلر أنه يرى أنه من الـ «تبجح» أن يظهر مسؤول من منظمة الصحة العالمية أمام وسائل الإعلام المختلفة قائلا إن فيروس اتش ١ ان ١ يهدد مليونى إنسان وأضاف: «إن من يدرك كيفية تطور المرض يتعامل بشكل غير مسؤول مع مثل هذه التصريحات».

كما ذهب تسيجلر الذى شغل من قبل منصب المقرر الخاص للأمم المتحدة للحق فى الغذاء إلى أن العالم أصبح يضطهد المكسيك بتهمة

المسؤولية عن اندلاع الفيروس وقال إنه لا ينكر أن منظمة الصحة العالمية ملزمة بمراقبة الصحة العالمية «ولكن عليها ألا تبالغ فى تصوير الأشياء» وأن تعطى كل حدث قدره الضرورى من الاهتمام وألا تدخل الخوف فى قلوب الناس لأنها تعرف أكثر مما يعرفه الناس من حقائق عن المرض.

ويعمل تسيجلر حاليا مستشارا لمجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة. وأكد تسيجلر أن نحو ٩٥٣ مليون إنسان يعانون بشكل دائم من نقص التغذية مضيفا: «ليس هناك مؤتمرات صحافية عن هؤلاء الناس ولا استنفار دولى من أجلهم.. فى حين أن منظمة الصحة التابعة للأمم المتحدة تدعو وسائل الإعلام يوميا لمقرها الرئيسى فى جنيف لإطلاعها على آخر المستجدات الخاصة بأنفلونزا الخنازير.. عندما يتعلق الأمر بالكبار فإن الضمير العالمى يهتز.. إن هذا يدل على العمى الذى أصابنا وعلى برود عواطفنا المتدنى للغاية و تهكمنا من الواقع».

ويرى البروفسور السويسرى تسيجلر أنه من المثير للدهشة أن يتم توجيه الإعلام فى التعامل مع أزمة الخنازير وقال إنه لن يستغرب أن يتبين فيما بعد أن كبرى شركات الأدوية فى العالم هى الماسكة بدفة هذا التوجيه الإعلامى فى ضوء الركود الذى أصابها جراء الأزمة المالية والاقتصادية العالمية وفى ضوء «تكدس» براءات الاختراع التى تمتلكها والخاصة بالعقاقير المضادة للأنفلونزا.

وأضاف تسيجلر أن أنفلونزا الطيور التى خشى العالم من أن تصبح وباء عادت على شركات الأدوية العملاقة بالمليارات.

ياتى هذا فى الوقت الذى تقول فيه تقارير إعلامية عربية إن لقاح إنفلونزا الخنازير الذى تعمل شركات الأدوية الكبرى على قدم وساق لإنتاج كميات كبيرة منها خلال أشهر تكفى لتطعيم سكان العالم، ما هو إلا خطة لتدمير فكرنا وصحتنا وقدراتنا الجنسية عبر حملة تطعيم عالمية واسعة

وذلك بإستخدام مواد إضافية خاصة تسمى المواد المساعدة الهدف النظرى من إضافتها هو زيادة قوة التطعيم.

وتضيف التقارير، أنه على الرغم من أن هناك العديد من المواد المساعدة الآمنة التى يمكن أن تضاف للتطعيم، قرروا إضافة مادة السكوالين - والسكوالين هى مادة هامة ومنتشرة بشكل كبير فى الجسم ويستمدها من الغذاء إنها المادة الأساسية التى ينتج منها الجسم العديد من الزيوت والأحماض الدهنية المختلفة المهمة لأداء الوظائف الحيوية الهامة فى مختلف أعضاء الجسم.

وهى المادة الأم التى تنتج منها كافة الهرمونات الجنسية سواء فى الرجل أو المرأة وبالتالى المسؤولة عن خصوبة الذكور والإناث، كما أنها مهمة لخلايا المخ لتقوم بأداء وظائفها بشكل صحيح وأيضا تلعب دورا مهما فى حماية الخلايا من الشيخوخة والطفرات الجينية.

وقد ثبت أن حقن السكوالين كمادة مساعدة مع التطعيمات يسفر عن حدوث استجابة مناعية مرضية عامة ومزمنة فى الجسم بأكمله ضد مادة السكوالين.

ومن البديهى بعد معرفة أهمية مادة السكوالين فى الجسم فإن أى شىء يؤثر على مادة السكوالين سيكون له أثر سلبى كبير على الجسم وأن تحفيز النظام المناعى ضدها سيؤدى إلى انخفاضها وانخفاض مشتقاتها وبالتالى معدل الخصوبة وتدنى مستوى الفكر والذكاء والإصابة بالأمراض المناعية الذاتية.

ويتابع التقرير، وحيث أن الجسم يستمد حاجته من السكوالين من الغذاء وليس الحقن عبر الجلد فإن حقن السكوالين إلى جانب الفيروس الممرض عبر الجلد أثناء حملة التطعيم ضد إنفلونزا الخنازير، سيكون سببا فى إحداث استجابة مناعية مضادة ليس فقط ضد الفيروس المسبب للمرض بل أيضا ضد مادة السكوالين نفسها لتتم مهاجمتها هى الأخرى من

قبل النظام المناعى.

وعندما يتم برمجة الجهاز المناعى لمهاجمة السكوالين فإن ذلك يسفر عن العديد من الأمراض العصبية والعضلية المستعصية والمزمنة التى يمكن أن تتراوح بين تدنى مستوى الفكر والعقل وأمراض المناعة الذاتية العامة والأورام المتعددة وخاصة أورام الدماغ النادرة.

ويعود تاريخ «مزاعم» كون السكوالين مادة مساعدة إلى فترة حرب الخليج الأولى حين تم حقنها للمرة الأولى فى حقن لقاح الجمرة الخبيثة للجنود الأمريكان الذين شاركوا فيها، وقد أصيب العديد من الجنود الذين تلقوا التطعيم بشلل دائم بسبب الأعراض التى تعرف الآن جملة باسم متلازمة أعراض حرب الخليج.

الجدير بالذكر أن ظهور أعراض حدوث المناعة الذاتية بشكل كامل يستغرق نحو عام منذ تلقى اللقاح إلى أن يستنفد الجهاز العصبى والدماغ والجسم كافة احتياطيات السكوالين التى تسلم من مهاجمة جهاز المناعة له وبعد استنفاد الاحتياطى تبدأ الخلايا بالتلف ومرور هذه الفترة الزمنية الطويلة تحول دون توجيه الاتهام للقاح والشركة المصنعة له والتى تظل تنفى ارتكاب أى مخالفات أو تحمل المسؤولية عن تلك الأعراض المتأخرة.

وفى خضم تفشى وباء إنفلوانزا الخنازير الذى يجتاح العالم هناك الآن مطالبات بحتمية إجراء تحقيقات مع شركة «باكستر» لصناعة الأدوية - المساهمة الكبرى حاليا بتصنيع لقاح لانفلونزا «أتش ١ إن ١» - حول تورطها بنشر لقاحات انفلونزا ملوثة بفيروسات انفلونزا الطيور الى ١٥ دولة.

ويؤكد الدكتور والباحث والكاتب فى جامعة هارفرد الأمريكية «ليونارد هورويتز» وجود مؤامرة «أنجلو - أميركية» متهما أشخاصا وشركات بعينها. ويؤكد النظريات التى تتحدث عن «مؤامرات» خططت لنشر فيروس قاتل عمدا

حول تورط الحكومات لإعادة تصحيح الفوضى السكانية، إضافة إلى الحديث عن سوابق الجيش الاميركى بإطلاق فيروسات مماثلة، ثم توريط شركات تصنيع الأدوية التى كانت تترنح تحت وقع أزمة مالية عالمية عصفت بالعالم.

وبعيدا عن الأزمة المالية، وإن تمت مقاربة اختيار شركتى روشيه وباكستر من أجل العمل على تصنيع لقاح للأنفلونزا، فإن الاختيار هذا يبدو «غريبا» إلى حد ما كون شركة باكستر كانت تخضع للتحقيقات بسبب توزيعها للقاح «ملوث» بأنفلونزا الطيور.

وفى تفاصيل القصة أنه ومنذ وقت قريب، ضج الإعلام بخبر اكتشاف شركة «بيوتستس التشيكية» خلال شهر فبراير وبعد معاينتها للقاحات الأنفلونزا (الأنفلونزا البشرية الموسمية) التى اشترتها من شركة باكستر إلى أن هذه اللقاحات ملوثة بفيروس أنفلونزا الطيور.

وتلا ذلك الاكتشاف نفسه فى مختبرات سلوفانيا والنمسا وألمانيا.. حينها رفضت شركة باكستر التعليق على الموضوع، لكن حين أثبتت التحقيقات التى أجرتها تلك الدول أن المصدر الوحيد للقاحات هو شركة باكستر وأنها فعلا ملوثة بالفيروس القاتل، خرجت الشركة عن صمتها مبررة مؤكدة أن اللقاحات الملوثة التى أرسلت إلى ١٥ دولة هى بالفعل من إنتاج الشركة وأنه تم تصنيعها من أجل شركة إفير غرين هيلز وتم توزيعها من خلال الشركة النمساوية اورثا. وبعد الكثير من الرد والرد المعاكس عادت الشركة واعترفت بأن اللقاح تم إرساله عن طريق الخطأ وأنه فيروس أنفلونزا الطيور.

وبعد أسابيع من التحقيقات فى كل الدول التى استلمت اللقاحات الملوثة قامت تشيكيا برفع دعوى ضد كل الشركات والأشخاص المتورطين بمن فيهم شركة باكستر بتهم الإهمال الجنائى والخطر العام.

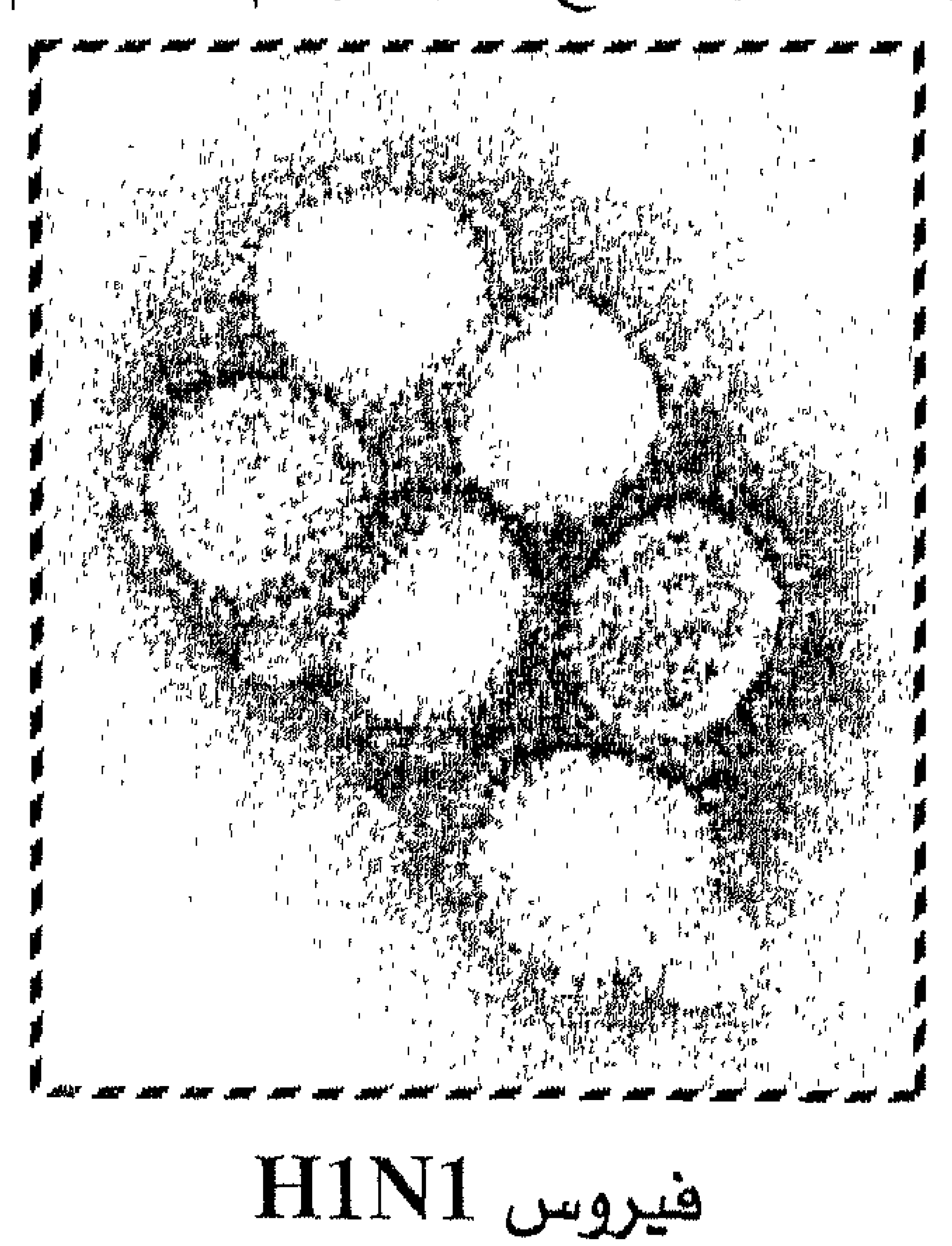
أما حاليا فإن شركة باكستر قد طلبت للحصول على عينة من أنفلونزا

الخنازير من أجل القيام بأبحاثها الخاصة للخروج بلقاح كما جاء على لسان الناطق باسمها كريستوفر بونا. وتقول الشركة إنها قادرة على إنتاج اللقاح بمدة أقصر بكثير مما تتطلبه بقية الشركات بسبب التقنية التى تعتمدها الشركة.

لم توفر بعض وسائل الإعلام فى تغطيتها للفيروس أى نوع من الخوف إلا وأثارته، لا بل تتهم بعض الجهات الإعلام بتحضير الجمهور «نفسيا» للخضوع إلى اللقاحات، المتواجدة حاليا والتى يتوقع آن يتم تحضيرها للقضاء على أنفلونزا الخنازير أو أنفلونزا المكسيك.

مجلة «تايم» وفى إطار انتقاد «تحضير الجمهور» لتقبل كل ما قد تمنحه إياه الجهات المعنية، نشرت مقالا تناول العوارض الجانبية وحالات الموت التى فتكت وأودت بحياة المئات جراء اللقاحات التى طرحتها حكومة فورد عام ١٩٧٦ عقب انتشار انفلونزا المكسيك.

ويقول المقال إنه وعلى الرغم من انتشار «الفيروس» فى بداية الأمر فى تلك المنطقة العسكرية فقط، استعملت الحكومة العدوى التى أصابت الجنود فى فورت ديكس كذريعة لنشر اللقاح على الرغم من عدم تأكدها من فعاليته.



فيروس H1N1

وتقول «تايم»: إن «مهزلة عام ١٩٧٦» هو خير مثال على «الطريقة التى لا يجب التعامل بها مع انتشار الانفلونزا.. فما بقى من انفلونزا العام ١٩٧٦ هو مئات المتضررين وعدد كبير من الموتى ودعاوى قضائية تقدر بـ ١,٣ بليون دولار.. وغموض كبير يلف هذا الفيروس الذى ظهر واختفى فى المنطقة العسكرية فورت ديكس».

وبينما ينشغل العلماء بتحليل التركيبة الجينية لهذا الفيروس وقياس مدى قابليته للتكتل طبيعة ينشغل عدد من المحققين الجنائيين بالتحقيق فى اختفاء عينات من فيروس H1N1 من مختبرات «فولات ديتريك» وهى المختبرات العسكرية نفسها التى أطلقت الانتركاس عام ٢٠٠١ وذلك وفقا لمقالة نشرت فى نشرة «فريدريك نيوز بوست».

وذكر التحقيق حينها أنه خلال شهر فبراير من نفس العام، قام المختبر بتعليق جميع أبحاثه حول الإيبولا والإنتراكس والطاعون وأمراض أخرى بعد اكتشافه اختفاء عينات من فيروسات لم تكن مدرجة على «لائحة الجريدة» الرسمية. أما النتائج فقد بقيت سرا.

ومن بين عشرات المقالات والأبحاث التى نشرت على الإنترنت حول تورط جهات وأشخاص ودول بتصنيع فيروس H1 N1 المعروفة بانفلونزا الخنازير أو الأنفلونزا المكسيكية، فإن أبحاث الخبير والباحث والكاتب الدكتور ليونارد هورويتز تتميز عن غيرها بتوجيه الاتهامات إلى أشخاص وشركات بعينها (تحقيق يعنوان فيروس هجين وفساد شركات تصنيع الأدوية وأزمة مالية، ومقابلة مع الدكتور ليونارد هورويتز ـ نسرين عز الدين ـ موقع «إيلاف»).

وقد لوحظ أن اتهاماته موجهة بشكل خاص إلى الدكتور جايمس روبرتسن، وشركة نوفافاكس. والدكتور جايمس روبرتسن هو أحد رواد مهندسى الفيروسات لصالح شركات تصنيع اللقاحات ومتعاون مع المركز الأميركى للحد من الأمراض. كما أنه يشغل منصب عالم مسؤول فى المركز القومى الأمريكى للأبحاث البيولوجية.

والمعروف أن دكتور لينونارد هورويتز هو عالم ساهمت مؤلفاته وأبحاثه

العلمية بتنوير الرأى العام وتم اعتمادها من قبل عدد كبير من العلماء كدليل على أن فيروس الإيدز تم تصنيعه مخبريا.

للدكتور هوريتز أكثر من ٢٠ بحثا علميا نشرت فى نشرات ومجلات طبية، وقد اشتهر بأبحاثه حول الإيدز والسارسوو الأيبولا ولقاحات الانفلونزا. حائز على شهادة طب الاسنان من جامعة تافتز عام ١٩٧٧، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة هارفرد..وحائز على عدد من الشهادات الاخرى من ضمنها شهادات فخرية.

ولا يتردد الدكتور ليونارد هورويتز بالحديث عن تحالف «أنجلو - أميركى» قوامه مهندسون جينيون وهدفه مجزرة جماعية.

كما يتوجه بالاتهام إلى دكتور جايمس روبرتسن الذى يصفه بأنه مروج شرس لسياسة الولايات المتحدة فى مجال «الدفاع البيولوجى»، فيقول إن الدكتور روبرتسن بمساعدة بعض المتواطئين من مركز الحد من الأمراض ساعدوا شركة نوفافاكس بإنتاج تركيبة معدلة ومحسنة جينيا من أنفلونزا الطيور والخنازير والأنفلونزا الإسبانية، والتى هى مطابقة كليا للفيروس الذى تم إطلاقه فى المكسيك ويجتاح العالم.

ويضيف أن العلماء فى المركز الأميركى للحد من الأمراض متهمون ضمنا بالتعاون من خلال نشر وخص شركة نوفافاكس بعقود خاصة، الشركة التى تجنى المليارات من الأنفلونزا.

إن الدلائل على وجود مؤامرة موجودة فى التركيبة الجينية فالفيروس الحالى مختلف تماما من الناحية الجينية عن أنفلونزا «أتش ١ إن ١»، ووفق وكالة رويترز ومصادر حكومية رسمية فإن الفيروس الحالى يحتوى على عناصر الحامض النووى المطابقة لأنفلونزا الطيور وأنفلونزا الخنازير وأنفلونزا الإنسان متضمنة فيروسا من انفلونزا الخنازير فى أوروبا وآسيا.

هذه التركيبة هى «علامة مميزة» تكشف عن أن هذا الفيروس خرج من دائرة «أصدقاء» الدكتور روبرتسن. فوحده هذا الفريق من بين كل الفرق

العاملة فى العالم يمكنه أخذ فيروس (H5N1 أنفلونزا الطيور) ويجلبه إلى أوروبا ويستخلص منه الحامض النووى ويقوم بمزج البروتينات الخاصة به مع فيروسات «أتش ١ إن ١» التى تعود للأنفلونزا الإسبانية التى ظهرت عام ١٩١٨، ثم يقوم بمزجها مع جينات أنفلونزا الخنازير، ثم بعد كل هذا يعكس هندستها لتصبح قابلة للنقل إلى البشر.

ويقتبس هورويتز عن تقرير صادر عن وكالة أنباء «رويترز» والذى يقول إن هذا الوباء لا يمكن أن يصل إلى المكسيك إلا من خلال الولايات المتحدة ومن بريطانيا برعاية مركز السيطرة على الأمراض، روبن دونيس نائب المدير العام فى الفرع العالمى لبرامج الأنفلونزا من دون شك أرسلها إلى شركة نوفافاكس بحيث قام الدكتور ريك برايتس بتوريط نفسه وفريقه فى هذه المؤمراة - قتل جماعى - من أجل الربح المالى.

ونشرت شركة نوفافاكس بالتعاون مع زملائهم فى «أتلانتا» تقريرها الأولى فى نشرة «فيرولوجى» فى الوقت عينه الذى كانت السلطات المكسيكية تعلن عن وفاة عدد من الأشخاص جراء هذا النوع الجديد من الأنفلونزا.

والمثير فى الأمر كله، أن لقاح نوفافاكس الذى تم تحضيره على وجه السرعة وبالسرعة عينها حصل على «موافقة» مبدئية من مركز السيطرة على الأمراض قائم على هذه الفيروسات الثلاثة (تركيبة أنفلونزا الخنازير) والتى لم تكن تصيب البشر من قبل.

وقد تنازل دكتور روبرستن صاحب الملكية الفكرية للتقنية الجينية المستخدمة لإنتاج فيروسات H5N1 و H1N1 عن حقه هذا مقابل «بدل مضمون». فحين يخرج اللقاح ويتم تسويقه من خلال شركة نوفافاكس فإن العوائد المالية ستكون بالملايين.

أما الدليل الأكثر إثارة للرعب فى كل هذا ضد الدكتور روبرتسن وفريقه إضافة إلى كونه «ماكينة» إنتاج الأموال وحارس لصفقات بليونية من أجل بيع اللقاحات والأدوية القابعة فى المخازن، أن الدليل الذى لا يحتمل اى شك هو ما موقفه المعروف فى الأوساط العلمية وقناعته التى يلخصها بإيمانه

بضرورة تعريض العامة فى أنحاء العالم من خلال إطلاق فيروس قام هو وزملاؤه بصنعه وتركه يقوم بتشوهاته وتحولاته كى يتحول إلى فيروس فتاك.

هذا التحذير جاء خلال محاضرة ألقاها الدكتور روبرتسن فى ٢٧ أبريل عام ٢٠٠٦ والتى زكا فيها الدكتور وفريقه «الاستثمار» فى الفيروسات التى يتم تصنيعها. بكلام آخر قرر هؤلاء العلماء أنهم «سيضيعون» فيروساتهم وسط جمهور غير مطلع على الخطر القادم.

١- السؤال الذى يطرح نفسه فى هذه المرحلة هو ما هى الخطوة المقبلة، هل هناك أى خطط تتضمن ملاحقة المتورطين قانونيا؟ كيف يمكن إيقافهم؟

لا أملك الإجابة على هذا السؤال. أنما أستطيع أن اؤكد أننا نقوم بكل ما بوسعنا لتنوير الرأى العام ومده بالمعلومات الضرورية التى تفضح مجازر القتل الجماعى الأنغلو - أميركية. إننا نحاول إرشاد العامة إلى الحقيقة من خلال ما نقدمه من وثائق ومعلومات ودراسات.

٢- خضعت شركة باكستر المتخصصة بصناعة الأدوية للتحقيقات لتورطها فى توزيع لقاح أنفلونزا ملوث بأنفلونزا الطيور لـ ١٨ دولة، ما هو تعليق الدكتور هورويتز، وألا يؤسس ذلك لقضية قانونية لملاحقة هذه الشركات؟

على الارجح يؤسس لدعوة قانونية. لكن ما قاموا هو به فعلا «تحضير» العامة لتعريض العالم بأسره. والمقصود بتحضير العامة هنا هو إطلاق الفيروس «المصنع» بين البشرية وتركه يقوم بتشوهاته وتحوراته كى يصبح اكثر فتكا وقدرة على القتل.

٣- هل يعتبر التامفيلو دواء فعالا؟

فعال تماما فى إحداث تلف بالدماغ، وإلحاق الضرر بالأجهزة العصبية.

٤ - هل يعتبر الحصول على لقاح للانفلونزا _انفلونزا البشر خيارا حكيما حاليا؟

اى شخص يختار أن يتم تلقيحه خلال هذا الفترة هو شخص أحمق.

٥ - إلى جانب الربح المالى الذى تجنيه شركات الأدوية والجهات الأخرى

المستفيدة من انتشار الوباء، ماذا تجنى الجهات المتورطة من نشر فيروس قاتل ثم القضاء عليه؟ هل هو سلاح بيولوجى يتم اختباره على الناس؟

إن الهدف الأساسى هو إعادة هندسة الكثافة السكانية. وإفراغ الأرض من «الفائض» من السكان فى ظل احتباس حرارى وآزمات تعصف بالعالم من كل حدب وصوب.

٦ـ اقتبس الدكتور هورويتز فى دراسته من رويترز ومن مسؤولين حكوميين قولهم «إن فيروس انفلونزا الخنازير هو مختلف من الناحية الجينية من فيروس انفلونزا الإنسان الموسمية التى تجوب العالم خلال السنوات الماضية؟ كيف تختلف عنها وما هى أوجه الاختلاف بين النوعين؟

التركيبة الجينية لأنفلونزا الخنازير مختلفة بشكل كبير عن أنفلونزا الإنسان. انفلونزا الخنازير H1N1 تحتوى أجزء من انفلونزا الإنسان وانفلونزا الطيور.. وعليه فإن أنفلونزا الخنازير هى الـ H1 من الأنفلونزا التابعة للإنسان والـ N1 التابعة لأنفلونزا الطيور.إضافة إلى العناصر الأخرى التى تمت إضافتها لهذا الفيروس الذى انتشر وبشكل سريع ومفاجئ فى المكسيك. وكل ما يحدث هو جزء من دعايات إعلامية هدفها:

١ـ رفع معدلات بيع لقاحات شركة نوفافاكس.

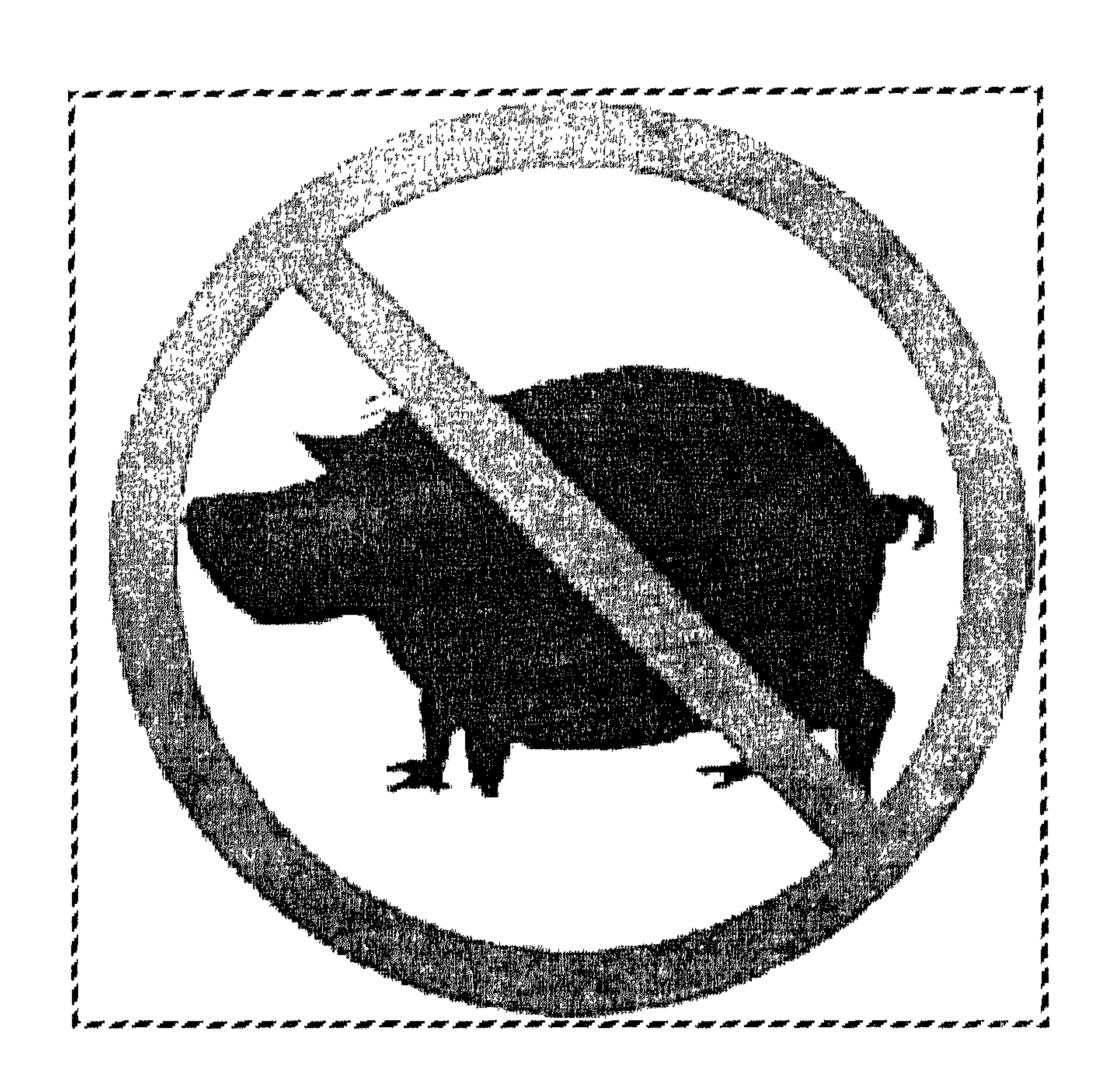
٢ ـ تضليل الرأى العام وتوجيه المعلومات بشكل يبعده عن التشكيك فى أصل هذا الفيروس والوقوف على حقيقة كونه فيروسا مصنعا مخبريا، لا فيروس تحور بشكل طبيعى.

٣ـ تحضير الرأى العام لما هو أسوأ للكارثة «الكبرى»، وقد بدأت السلطات المعنية بالفعل بالحديث عن وباء قد ينتشر فى العالم خلال ٣ أو ٤ أشهر ومن خلال تحور الفيروس كلما انتقل من مكان إلى آخر ومن شخص إلى آخر. كل هذه التحذيرات والتهويلات ما هى إلا غطاء لإطلاق فيروسات أكثر شراسة هدفها الحد من الكثافة السكانية.

■ ■ ■

4

الفيروس الرهيب..
ومختبر"فورت ديتريك "!!



لم تكن انفلونزا الخنازير هى الوباء الوحيد الذى هز العالم فقد اهتزت أرجاء العالم من قبل عند ظهور وتفشى أوبئة كـ «الحمى القلاعية» و«السيدا» و«السارز» و«الجمرة الخبيثة» و«جنون البقر» ومن بعدها أنفلونزا الطيور.

وعندما نعود بالذاكرة إلى عام ٢٠٠١، سنجد أن مركز القيادة الطبى فى الجيش الأمريكى فى «فورت ديتريك» بولاية ميريلاند كان هو مصدر هجمات «الجمرة الخبيثة» ـ الانتراكس ـ وذلك عندما بعث «بروس إدواردز إيرفيز» وهو عالم أحياء دقيقة ومتخصص باللقاحات برسائل إلى أعضاء الكونغرس وإلى وسائل الإعلام تحتوى على «الأنتراكس» وكان لانتحار إيرفيز الغامض قبل فترة قصيرة من الإعلان عن نتائج التحقيق قد دفع بالبعض إلى الجزم بأنه كان مجرد «كبش فداء» لإخفاء معالم مؤامرة كبرى.

وقد ساد الخوف فى أوساط أصحاب نظرية المؤامرة ـ آنذاك ـ من أن هناك وباء يجرى الإعداد له ، خاصة بعد مقتل عدد من علماء البيولوجيا فى عمليات تصفية جسدية احترافية. (إنفلونزا الخنازير.. حرب بيولوجية! ـ صحيفة الثورة ـ ترجمة منير الموسى عن موقع «ALTERINFO»).

وقد كشفت شبكة «سى إن إن» الإخبارية مؤخرا أن إحدى العبوات الثلاث المفقودة تحتوى على فيروس يعرف باسمه العلمى بـ «التهاب الدماغ الخيلى الفنزويلى» وهو فيروس يصيب الخيول بالمرض ويمكن أن ينتقل إلى البشر بواسطة البعوض وفى ٩٧ بالمائة من الحالات يعانى الإنسان المصاب به من أعراض شبيهة بالانفلونزا المميتة.

وقد ربط الخبراء بين ما كشفت عنه «سى إن إن» وما يجرى حاليا بعد تفشى انفلونزا الخنازير وطالبوا الدوائر المختصة بالإجابة عن هذا السؤال: إذا كانت إحدى العبوات المفقودة تحتوى على فيروس انفلونزا الخيول فما سر العبوتين الباقيتين هل كانت إحداهما خاصة بانفلونزا الخنازير؟

سؤال تزامن طرحه مع إشارة مجموعة من الباحثين إلى أن الشكوك تحوم مجددا حول مختبر «فورت ديتريك» ويعززها «شاد ميد» الناطق باسم القاعدة العسكرية «فورت ميد» حيث يقول إن التحقيق الجنائى الذى يجريه الجيش الأمريكى يتناول إمكانية أن تكون عينات الفيروس أخذت من مركز أبحاث الأمراض السارية الطبى وأن وحدة تابعة لـ «فورت ميد» تحقق حاليا لمعرفة ما إذا كانت العينات قد فقدت من أهم مختبر بيولوجى للجيش الأمريكى وهو المخبر الذى يجرى أيضا دراسات على فيروسات «إيبولا» و«الأنتراكس» و«الطاعون».

ويضيف شاد ميد أنه إذا كانت السلالة الجديدة من انفلونزا الخنازير من أصل صنعى اختفت عينات منها من المخابر الأمريكية فإن الأمر سيكون مقلقا للغاية.

سنعود مرة أخرى إلى الوراء.. فى هذه المرة إلى سنة ١٩١٨ إبان ظهور طاعون «الانفلونزا الإسبانية» الذى فتك بما بين ٣٠ و٥٠ مليون شخص فى العالم وساهم فى انتشاره تردى الحالة الصحية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى.

من خصائص هذا الفيروس أنه كان يداهم الشباب دون غيرهم ويقتلهم فى غضون ساعات بعد إصابتهم بفيروس رئوى حاد.

وبعد ٧٢ عاما من وقوع الكارثة أى فى سنة ٢٠٠٤ نجح علماء أمريكيون فى استعادة الفيروس عبر استخلاصه من الحمض النووى لجثة شاب من آلاسكا هلك بالوباء مبررين تصرفهم - الذى هاجمته الأوساط العلمية- بأنه لغرض بحثى بحت هدفه التعرف على خصائص الفيروس القاتل الذى تعود إليه ٥ أنواع من فيروسات انفلونزا وبائية ظهرت بعده.

اليوم وبعد ظهور انفلونزا الخنازير بهذا الشكل الفجائى يرجح العلماء فرضية أن يكون الهدف من وراء استخراج جثة الشاب استنساخ الفيروس

بل ذهب البعض إلى حد القول إن المسألة قدْ تكون تجاوزت الاستنساخ إلى اصطناع الفيروس وهو أمر أخطر بكثير ويمكن حصر الهدف من وراء هذه العملية فى أمرين: الأول يتعلق باستخدامه فى الحرب البيولوجية.. والثانى لخدمة أطراف لها علاقة بعالم الأدوية.

وفى مقال صدر فى أواخر ٢٠٠٨ فى موقع «غلوبال ريسرش» كتب الخبير البيولوجى «ويليام إنجدال» مقالا عنونه كالآتى: «مشروع البنتاجون للفيروسات المعدلة» أعاد فيه إلى الأذهان عملية استدعاء فيروس الأنفلونزا الإسبانية واصفا إياها بـ «الجنون العلمى» مؤكدا أن معلومات تشير إلى أن شركات احتكار الأدوية تعمل مع الولايات المتحدة على تطوير مادة فيروس لترويج لقاح ضده.

وقد كان العالم حينها يصحو وينام على فوبيا انفلونزا الطيور ويقول انجدال أن فيروس الانفلونزا الاسبانية كان ضمن التجارب الأولى للأسلحة البيولوجية وأنه انطلق من قواعد عسكرية فى «كنساس»، وجرت عملية تجربته على عدد من الجنود أثناء الحرب العالمية الأولى قبل أن يتحول إلى وباء عالمى.

وقال وليام انغدال إنه فى الوقت الذى لم يزد عدد المصابين بفيروس أنفلونزا الطيور العشرات توفى فى أمريكا وحدها سنة ١٩٩٩ حوالى عن ٤٦٠ ألف أمريكى نتيجة الآثار الجانبية لدواء أمريكى للقلب اسمه «الإسبارتيم» وكانت الشركة المنتجة «سيرل» ومقرها «شيكاغو» على وشك فقدان ترخيص إنتاجه حتى تولى رئاستها دونالد رامسفيلد الذى أصبح لاحقا وزيرا للدفاع الأمريكى واستخدم علاقاته فى واشنطن لتمرير الدواء.

وحول العلاقة بين رامسفيلد والأنفلونزا، يقول ويليام انجدال أن رامسفيلد كان يملك أسهما فى شركة «جيليد» الأمريكية التى تقوم بإنتاج دواء «تامفلو» المضاد لأنفلونزا الطيور لحساب الشركة صاحبة الحق فى اختراعه وهى شركة «روش» السويسرية وقد رفض الوزير السابق بيع

أسهمه فيها بل ساهم فى بيعه للوزارة التى كان يترأسها آنذاك أمصالا بمليار دولار لحقن جنود أمريكيين على سبيل الوقاية من انفلونزا الطيور.

من المؤكد أن موجة انفلونزا الخنازير ستؤدى إلى رفع الطلب على اللقاحات من الشركات الكبرى المنتجة للأدوية وقد أوردت تقارير أمريكية أن اندفاع إدارة بوش السابقة لشراء لقاح أنفلونزا الطيور مرتبط بحقيقة أن شركة «جيليد» الامريكية للمنتجات الطبية هى المنتج الأساسى لهذه اللقاحات وهذا ما يفسر الحملة الإشهارية الضخمة التى حظيت بها هذه الشركة إبان ظهور أنفلونزا الطيور.

ومثلها مثل سابقتها حظيت أنفلونزا الخنازير بضجة إعلامية من طرف أكبر المجموعات الإعلامية العالمية وهى ضجة تزامنت مع إعلان البورصات العالمية عن ارتفاع أسهم شركات الأدوية، وخاصة منها الشركات المنتجة لعقار «تاميفلو» (الذى يوصف حاليا للوقاية من انفلونزا الخنازير) التى باعت مئات الملايين من الجرعات حول العالم مع التركيز على أنه أحسن عقار لمكافحة الانتشار الوبائى للمرض، فى الوقت الذى تتحدث فيه بعض الأطراف عن أن وباء انفلونزا الخنازير قد يؤدى إلى هلاك نحو ٧ ملايين شخص فى أقطار متفرقة.



ويليام إنجدال الذى كشف عن
مشروع البنتاجون للفيروسات المعدلة

وفى الوقت الذى رفعت فيه منظمة الصحة العالمية مستوى الإنذار إلى الدرجة الخامسة التى توجب التأهب لمواجهة الوباء نشرت جريدة «لوس انجلوس تايمز» الأمريكية نقلا عن عالم جزئيات الفيروسات الدكتور «كريستوفر أولسن»، الذى يتولى دراسة انفلونزا الخنازير أن تفشى فيروس «اتش ١ إن ١» قد لا يحدث خسارة كبيرة كالتى تسببها عادة الأنفلونزا كل شتاء بدون أية ضجة إعلامية.

أما الدكتور «بيتر باليزى» الخبير الميكروبولوجى المتخصص فى دراسة الأنفلونزا فى مركز «سيناى» الطبى فى نيويورك فقد ذكر لنفس الصحيفة أن: «هناك بعض الخصائص الجزئية التى يفتقر إليها الفيروس الحالى إذ ليس به الأحماض الأمنية ولكى يكون فتاكا فإنه يجب أن تزيد عدد جسيماته فى الرئة».

والسؤال الآن إذا كان المرض - كما يعتقد بعض العلماء - لا يكتسى خطورة كبيرة فلم كل هذا الاستنفار والتهويل؟

يحيل العديد من الخبراء الأمر إلى عدة أسباب فى مقدمتها تحويل انتباه الرأى العام العالمى عن ضغوطات الأزمة الاقتصادية العالمية، وبالتالى يكون الإحساس بخطورة الوضع الصحى أهم من التفكير فى الخطر الاقتصادى، بما يتيح الوقت لأصحاب القرار لاتخاذ مواقف معينة قد يعجزون عن اتخاذها فى فترات أخرى.

وفى هذا الاتجاه تذهب عدة تحليلات للتأكيد على أن ظهور الأمراض الخطيرة عادة ما تتزامن مع أحداث سياسية واقتصادية عاصفة تلقى بظلالها على العالم برمته. وإذا عدنا إلى الوراء لوجدنا أن أمراضا مثل الحمى القلاعية والسارز وجنون البقر وانفلونزا الطيور برزت فى أوقات الصراعات والأزمات والحروب.

ومن الأسباب المهمة التى تقف وراء حملة التضخيم - دائما بنظر المحللين الرغبة فى دفع الاتجاه إلى تطوير الأبحاث العلمية فى مجالات الانفلونزا والأمراض الوبائية.

وفى هذا السياق ذكرت صحيفة «النيويورك تايمز» أن الأزمة الاقتصادية دفعت إلى التقليل من نفقات الاعتمادات المخصصة للقطاع الصحى فى الولايات المتحدة مما أدى إلى فقدان الآلاف من العاملين لوظائفهم.

سبب آخر يطرحه المحللون يتعلق برغبة الشركات الكبرى المنتجة للأدوية فى الرفع من سقف الطلب على منتجاتها وهو ما جرى فعلا حيث ارتفعت أسهم شركة «روش» بنسبة تجاوزت ٤ بالمائة وأسهم شركة «غلاسكو سميث كلاين» بـ ٣ فى المائة.

وفى هذا السياق لا ضرر من التذكير بما ورد فى كتاب «بيع المرض... كيف تجعل منا شركات الأدوية جميعا مرضى» الذى أصدره سنة ٢٠٠٥ أحد أشهر الكتب فى المجال الطبى «راى مونيهان» حيث أورد فى مقطع منه أن شركات الأدوية أعادت تعريف المرض والصحة وبالتالى أعادت تعريف دواعى وصف الدواء وهذا ما أدى إلى تحقيق نقلة فى مبيعات الأدوية عبر استراتيجيات تسويقية مكثفة يساهم فيها الأطباء والمشرعون الحكوميون والهيئات العلمية لتوسع سوق مبيعاتها على حساب المرضى والأصحاء على حد سواء.

وهناك من العلماء من يخشى حربا بيولوجية سرية تغذيها سنوات من الأبحاث السرية رصدت لها ميزانيات ضخمة ويذهب الكثير من العلماء المتبنين لنظرية المؤامرة للقول إذا كان استخدام الأسلحة البيولوجية محرما فى المعاهدات الدولية فإن استخدامها على المدى البعيد وغير المباشر ممكن

عبر إطلاق أوبئة تبدو وكأنها جاءت بشكل طبيعى.

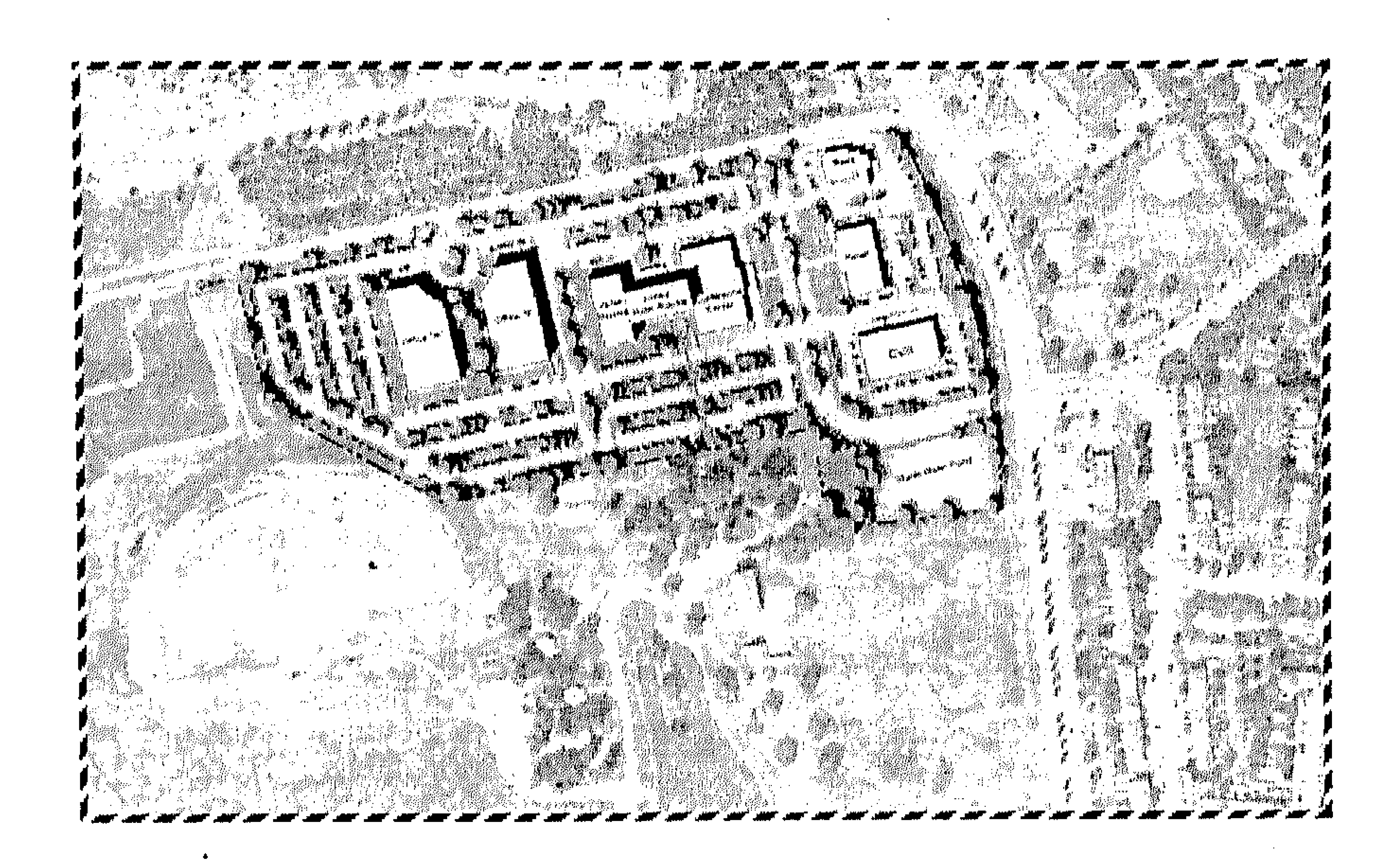
وفى عام ٢٠٠٢، قال علماء أميركيون إن مؤسسة أبحاث الحرب الجرثومية فى فورت ديتريك، وهى مؤسسة كبرى تابعة لوزارة الدفاع الأميركية، فقدت عام ١٩٩١ آثارا لأكثر من ٢٤ من العينات البيولوجية الخطيرة، منها عينات تحتوى على جراثيم تسبب مرض الجمرة الخبيثة.

وأكدت وثائق رسمية لتحقيقات داخلية أجراها الجيش عام ١٩٩٢ حول اختفاء العينات، أقوال العلماء الذين سبق لهم العمل فى هذه المؤسسة.

وإضافة الى ذلك، ووفقا للوثائق الرسمية، فان محققى الجيش الأميركي ابلغوا عام ١٩٩٢ ان مختبر ابحاث الحرب الجرثومية فى فورت ديتريك كان، كما يبدو، مسرحا لأبحاث غير مرخصة حول جرثومة الجمرة الخبيثة، كانت تجرى فى بداية نفس العام أثناء المساء وفى أيام العطل الأسبوعية.

وبخلاف التأكيدات الأخيرة لمسؤولى الجيش بأن مؤسسة فورت ديتريك لم تتعامل، خلال السنوات الاخيرة، مع عينات خطيرة مثل مساحيق الجمرة الخبيثة، فإن هذه المساحيق أنتجت فعلا داخل مختبر المؤسسة فى التسعينيات، وفقا لما ذكره علماء عملوا فى المؤسسة فى ذلك الوقت، ورفعوا منذ ذلك الحين دعاوى قضائية ضد الجيش بتهمة التمييز ضدهم. وقد أنتجت المساحيق فى نفس الوقت الذى كانت تجرى فيه أبحاث على شكل «رطب» لجرثومة الجمرة الخبيثة.

وكانت الجرثومة التى عثر عليها فى الآونة الأخيرة داخل الرسائل التى وجهت إلى أعضاء الكونغرس ووسائل الإعلام الأميركية، تحتوى على عصيات جافة مماثلة لما أنتجه مختبر فورت ديتريك. وقد أودت تلك الرسائل بحياة خمسة اشخاص كما أدت إلى إصابة ١٣ آخرين.



مختبرات فورت ديتريك

وتم الكشف، بطريق الصدفة، عن الأعمال السرية غير المرخص بها، التى كانت تجرى فى أيام العطل الاسبوعية داخل المؤسسة، والتى لم يعرف أحد أنها كانت تجرى على الأنواع الجافة للجرثومة.

وحدثت المصادفة عندما اكتشف موظف أن أحدا ما استعمل جهازا أو أجهزة خارج أوقات الدوام الرسمى، كما كشفت تحقيقات الجيش الاميركى.

وقد تم الكشف عن هذه الأعمال السرية فى وقت كان فيه مختبر المؤسسة يعانى جملة من المشاكل، منها مشاكل شخصية وخصومات بين الباحثين العلميين.

وكان العديد من العلماء فى معهد الأبحاث الطبية للأمراض المعدية التابع للجيش، وهو المعهد الذى يشرف على اعمال مؤسسة فورت ديتريك، يعانون من مشاكل التمييز العنصرى.

وكشف مصدر بالمختبر أن هذه العينات ربما كانت قد دست داخل

المؤسسة. إلا أنه أضاف أن التفاصيل الجديدة تشير إلى أن الهجمات الجرثومية الأخيرة وجهت من قبل أحد العلماء العاملين حاليا أو سابقا فى مؤسسة فورت ديتريك.

وقد امتنع مسؤولو الجيش ومكتب التحقيقات الفيدرالى «اف. بى. آى»، عن التعليق على هذه التفاصيل.

وتجدر الإشارة إلى أن الكونغرس لم يضع قواعد أمن صارمة لأبحاث الجراثيم الخطيرة إلا فى عام ١٩٩٦.

ويأتى هذا فى إطار الحرب البيولوجية أى استخدام الميكروبات للقضاء على العدو، وهو الأمر الذى مارسه الغرب لإبادة عدوه خاصة فى الأوقات التى تكاد المعركة تحسم لصالحه أى عدوه.

ويحفل التاريخ الأوروبى والأمريكى بأمثلة كثيرة على استعمال الميكروبات لنشر الأوبئة فى صفوف الأعداء وقد انتشر الطاعون الدملى فى أوروبا حين غزتها قوات المنغوليين.. وفى عام ١٧١٠ استخدم الروس الطاعون أثناء مهاجمتهم للسويد.

وكانت أكبر جرائم الإبادة الجماعية هى التى حدثت ضد الهنود الحمر حين قام المستوطنون القادمون من أوروبا بنشر وباء الجدرى بين السكان الأصليين وذلك بإعطائهم بطاطين ملوثة بميكروب الجدرى، بعد أن قاموا بتطعيم الغزاة ضد هذا المرض.. وتشير الوثائق إلى أن ملايين من السكان الأصليين قد تمت إبادتهم بهذه الطريقة.

وقد استخدمت الحرب البيولوجية إبان الحرب الأهلية الأمريكية فكان الفيدراليون يسممون مصادر المياه للقوات الاتحادية بإلقاء جثث الحيوانات والجنود فيها. وقد قامت القوات الألمانية باستعمال ميكروب الجمرة الخبيثة (الانثراكس) ضد روسيا وبولندا وفنلندا.

ولكن البداية الحقيقية لترسانة الحرب البيولوجية فى أمريكا كانت عام ١٩٤١ حين قامت بعمل برنامج موحد مع كل من كندا والمملكة المتحدة لتخزين وإنتاج سموم الانثراكس والتيفود والتلاريما وغيرها. ثم تعددت مراكز الحرب البيولوجية الأمريكية فى فورث ديتريك مريلاند وكذلك فى يوتا وانديانا والمسيسيبى.

وخلال سنوات الحرب الباردة ارتفعت حمى النشاط فى تخزين الميكروبات القاتلة بواسطة كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى. ورغم أن كلتا الدولتين أنكرتا استخدامها فى الحرب إلا أن الصين وكوريا اتهمتا أمريكا باستعمال حشرات تحمل ميكروبات قاتلة إبان الحرب الكورية كالقمل الناقل للطاعون والناموس الناقل للحمى الصفراء.

وسواء أكان هذا الاتهام صحيحا أم لا فإنه من المؤكد أن مراكز الحرب البيولوجية فى أمريكا ظلت تمارس نشاطا سريا فى تخليق وتخزين فيروسات القاتلة. وتشير أصابع الاتهام إلى فيروس نقص المناعة المسبب لفيروس الإيدز والذى اكتشف فى أول ديسمبر عام ١٩٨١ بواسطة الباحث الأمريكى روبرت جالو والفرنسى لوك مونتيانى وتسبب فى قتل ٢٥ مليون نسمة، وقيل وقتها إن هذا الفيروس قد نقل إلى الإنسان بواسطة نوعين من القرود الموجودة فى جنوب الكاميرون.

وتقدم نظرية المؤامرة عدة تفسيرات للطريقة التى تم بها صنع فيروس H1V المسبب لمرض الإيدز وننتقى منها نظريتين على سبيل المثال، الأولى ما صرح به العالم الألمانى جاكوب سيجما أن العلماء فى فورث ديتريك قاموا بتخليط فيروس HTLV-1 وهى من عائلة ريترو فيروس التى تسبب سرطان الدم مع فيروس فيزنا Visnaثم قاموا بتجربته على نزلاء السجون من الملونين.

وهناك نظرية لويد جرفينز التى تقول إن الفيروس هو خليط من

فيروس فيزنا مع فيروس الالتهاب الكبدى «ب» وقد تم ذلك بإشراف معامل شركة مرك.

ولا تخلو وسائل الإعلام من أخبار أنفلونزا الخنازير وهوس ملاحقتها وتحليلها حتى أصبحنا نعتقد بأن الكون يسير بأقصى سرعة إلى الدمار الشامل الذى لن يبقى على هذه الارض أى كائن بشرى الذى يجب عليه أن يستسلم لقدره المحتم، فعند ظهور جنون البقر أصاب العالم الهلع والخوف بالرغم من ان عدد الاصابات فى الماشية فى عام ٢٠٠٥ لم تزد عن ٤٧٤ اصابة وكان قد تم تشخيص هذا المرض لأول مرة فى عام ١٩٨٦، ثم أصاب العالم الرعب فى عام ٢٠٠١ مما سمى الجمرة الخبيثة ثم السارس الذى ضرب آسيا فى عام ٢٠٠٣ ثم انفلونزا الطيور في عام ٢٠٠٦، وكنا نعتقد مع كل اكتشاف لمرض جديد بأن العالم قد شارف على نهايته لتستنفر الدول جيوشها وإعلامها وأطبائها ومطبليها ومزمريها وتجند كل طاقاتها لمقاومته فتبدأ عمليات شراء الأدوية والتحذير من خطورة المرض وكيفية الوقاية منه لينتهى الأمر بعدة إصابات ثم تهدأ الامور لنجد بأن المرض تبخر لوحده فلا يعود له أى ذكر بعد أن تصاب الدول والأفراد بخسائر اقتصادية قد تصل للمليارات، كما حدث فى شرق آسيا أثناء الحرب على انفلونزا الطيور، وتنتهى حالة الحرب دون معرفة أسباب انتشار تلك الأوبئة ولا كيفية القضاء عليها مما يثير علامات استفهام على تلك الحروب على الوهم وهذا ما يحدث هذه الأيام مع انفلونزا الخنازير الذى ضج العالم كله منه بعدما أعلنت المكسيك فى شهر أبريل ٢٠٠٩ عن إصابات.

وحذرت منظمة الصحة العالمية من تحوله إلى وباء يمكن أن يقضى على سبعة ملايين شخص ويصاب بالعدوى منه ثلث البشرية!

والملفت أن الحيوانات والطيور هى المتهم دائما بالفيروسات والأمراض، فالبقر كانت متهمة بمرض الجنون كما الطيور كانت متهمة بالانفلونزا

وأخيرا هذا الحيوان البشع أصبح متهما بانفلونزاه وفى كل الحالات لم تسجل إصابات أو حالات وفاة بين مربى تلك المواشى والطيور وشاهدناهم على شاشات الفضائيات يصرحون بأنهم لم يصابوا بأى مرض، وفى كل الحالات إلا الاخيرة (لعاية الآن) تبدأ وتنتشر بسرعة وتنتهى أيضا بسرعة دون أن نعرف كيف تم استئصالها والقضاء عليها.

يذكر أنه سيتم طرح ربع المخزون الأمريكى من عقار تاميفلو المضاد للفيروسات الذى طوره مختبر أمريكى من أعضاء مجلس إدارته دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى السابق!

وكان الرئيس الأمريكى الأسبق بيل كلينتون قد اعترف فى مقالة تعود إلى يناير ١٩٩٩بأن ما يؤرقه فى بعض الليالى هو جزعه من الحرب الجرثومية كأنه لا يعرف - كما تهكم البعض على ما قاله - أن وزارة الدفاع الأمريكية والمخابرات الأمريكية قد أجرتا طيلة عقدين على الأقل من الزمان العديد من الاختبارات معرضة ملايين الأمريكيين لسحب متمادية من البكتيريا والمواد الكيميائية الخطرة بعيدا عن أعين وأسماع الشعب ودون اتخاذ الاحتياطات اللازمة لضمان صحة مواطنيهم وسلامتهم.

وقد كشف البعض عن أن الجيش الأمريكى كان قد قام خلال الفترة ما بين عامى ١٩٤٩ و١٩٦٩، بتغطية ٢٣٩ منطقة مأهولة على امتداد الأراضى الأمريكية من الساحل الشرقى إلى الساحل الغربى بمركبات كيميائية متنوعة خلال قيامه بتجارب مقررة بغية اختبار النماذج الفضلى لإجراء النشر فى الهواء والمؤثرات المناخية والكميات وموقع الإطلاق وغيرها من العوامل.

وفى عام ١٩٥٠: استخدم الجيش سلاحه الجوى إضافة إلى أسراب من الحمام لإسقاط «ريش ديوك الحبش» ملوثة بغبار حبوب متعفنة، بغية إفساد محاصيل من الشوفان والشعير والبرهان على أن «وباء الحبوب المتعفنة» يمكن استخدامه كسلاح بيولوجى محتمل.

وخلال الفترة ما بين ٢٠ ـ ٢٧ سبتمبر ١٩٥٠: شنت ست هجمات اختباريه بيولوجية انطلقت من بارجة عسكرية أمريكية بذخيرة متشكلة من جرثومتى «باسيلوس غلوبيجى» و«سيرتيا مارسينس» توحدت فى سحابة طولها ميلان فى الوقت الذى كانت فيه البارجة تتهادى الهوينى قبالة شواطئ الخليج.

وقد تمثل الهدف المرسوم من هذه المناورة بدراسة «الإمكانيات العدوانية لمهاجمة مدينة بحرية عدوة من موقع مقابل للساحل بواسطة أسلحة بيولوجية بخاخة». ابتداء من ٢٩ سبتمبر لوحظ أن ثمة مرضى فى مستشفى ستانفورد الجامعى فى سان فرانسيسكو يعانون من أعراض جرثومة «سيراتيا مارسينس» ومن أصل ١١ مصابا توفى واحد فقط).

نماذج استخدام الولايات المتحدة للأسلحة البيولوجية والكيميائية خارج الولايات المتحدة:

جزر البهاماس:

وتضيف هذه الكشوفات عن أنه مابين أواخر الأربعينيات ومنتصف الخمسينيات قام فريق أمريكى، كندى، بريطانى مشترك برش مستحضر جرثومى خطير بشكل منتظم وفى هذه المنطقة من البحر الكاريبى وقد سجل نفق آلاف الحيوانات نتيجة هذه التجارب من دون أن يبلغ عن إصابات بشرية. ما تزال تفاصيل هذه العمليات مصنفة حتى اليوم ضمن أسرار الدولة.

وفى العام ١٩٥٣، قام الجيش الأمريكى بنثر غاز «سلوفيد الفلز الزنكى» بواسطة مضخات هوائية مركزة على شاحنات ضخمة فى أرجاء مدينة «ووينييغ» كجزء من الاختبارات التى تجريها على أسلحة بيولوجية وكيميائية.

وفى بداية عام ١٩٥٢، إبان الحرب الكورية «١٩٥٠ ـ ١٩٥٣» ادعى الصينيون أن الولايات المتحدة ألقت بكميات كبيرة من الجراثيم والحشرات

وريش الطيور وبقايا منتنة لأسماك وحيوانات نافقة وغيرها من الأشياء الغريبة التى جلبت المرض إلى أجواء كوريا وشمالى شرق الصين.

وقد أعلنت الحكومة الصينية وقوع العديد من الإصابات المؤدية إلى موت سريع نتيجة هذا التلوث وعزته إلى جراثيم مثل الطاعون والجمرة الخبيثة والاستسقاء الدماغى من بين غيرها وقد أكدت «بكين» هذا الأمر لدى بثها شهادات ٣٦ طيارا أمريكيا، كانت قد أسرتهم، من الذين شاركوا فى ذلك القصف المميت.

وقد سربت مصادر مخابرات أوربية أجزاء خطيرة من تقرير سرى، فى إحدى العواصم الغربية، يؤكد أن الفيروس تم تحضيره فى أحد المصانع الجرثومية التابعة لأجهزة المخابرات الأمريكية، ويرجح التقرير أن يكون المصنع فى ولاية كاليفورنيا حيث شهدت أعلى نسبة من الإصابات بالفيروس.

وينقل التقرير عن الجنرال الأمريكى جيمس كونواى، قائد مشاة البحرية، أن أكثر من سبعة وثلاثين جنديا أمريكيا تابعين لقاعدة (سان برنيدينو) فى كاليفورنيا قد أصيبوا بالفيروس، ما يرجح، حسب التقرير، أن يكون المصنع أو المختبر موجودا داخل القاعدة أو قريبا منها.

ويعتمد التقرير على نتائج دراسات طبية ليؤكد أن اختيار المكسيك من قبل القائمين على تحضير الفيروس جاء على خلفية التماثل البيئى والاجتماعى، مثل سوء التغذية والظروف الصحية المتدنية وسوء حالة المساكن، مع دول من العالم الثالث قد تكون هى المستهدفة بهذا الفيروس.

ويشير التقرير إلى أمر فى غاية الخطورة، إذ يؤكد أن الفيروس لا يصيب الشيوخ والأطفال وإنما يستهدف الشباب حصرا، وهو أمر غامض لكون الشباب يتمتعون بحيوية وقوة مناعة من المفترض أن تجعلهم أقل عرضة للفيروسات، لكن التقرير يوضح أن القوة الشيطانية التى صنعت

الفيروس وضعت فى حسبانها استهداف جيوش هذه البلدان، وهم بالتأكيد من الشباب.. إنه عصر الموت المصنع فى أمريكا!.

وقال باحث فى كانبرا إنه يعتقد أن فيروس أنفلونزا الخنازير ربما يكون قد نتج بصورة غير متعمدة من جانب علماء كانوا يعملون على بيض من أجل إنماء فيروسات جديدة واختبار أمصال جديدة.

ونقل موقع «ساينس إنسايدر» الإلكترونى عن أدريان جيبس، عالم الفيروسات المتقاعد بالجامعة الوطنية الأسترالية، قوله إن حادثا معمليا قد يكون السبب وراء ظهور الفيروس الذى يجتاح العالم حاليا.

ويبحث المتخصصون فى مرض الأنفلونزا بمنظمة الصحة العالمية نظرية أن أنفلونزا الخنازير، وهى عبارة عن خليط من مادة جينية من الخنازير والطيور والإنسان، نشأت نتيجة تسرب من معمل أبحاث.

وقال جيبس: «صدمت بإعلان عن مصل للخنازير يحتوى على ثلاثة فيروسات مختلفة... ليس قتل الفيروس هو ما يمكن من خلاله توضيح الأمر بأكمله بصورة دقيقة غير أنه أحد احتمالات عديدة».

وأضاف جيبس، الذى ساهم فى الأبحاث التى أفضت إلى إنتاج عقار الـ «تاميفلو» المستخدم فى علاج أمراض الأنفلونزا، إنه مستعد لقبول من يثبت عدم صحة فرضيته.

وهناك رأى آخر يرى أن أنفلوانزا الخنازير هى قنبلة مقصود تفجيرها لخدمة أهداف شيطانية، ويقول أصحاب هذا الرأى إنه فى البداية كان هناك جنون البقر، ثم الحمى القلاعية، ثم الجمرة الخبيثة، ثم السارز، ثم انفلونزا الطيور، والآن انفلونزا الخنازير،فكلما تأزمت أوضاع العالم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وتركزت أنظار الناس على بؤرة المشاكل الحقيقية يتم تفجير قنبلة بعيدا عن بؤرة الأحداث لتشتيت الانتباه.

5

أنفلوانزا الخنازير وأبالسة صناعة الدواء!!



هل يمكن أن يستهدف البيزنس الأسود حياة البشرية؟.. هل يمكن أن تموت الضمائر من أجل جنى الثروات على جثث الملايين من الأبرياء فى شتى أنحاء العالم؟.. أسئلة وأسئلة للأسف تشير دلائل كثيرة على أن إجاباتها ـ كما يدلنا واقع الحال: «نعم يمكن.. بل ويحدث»!!

وللأسف ورغم دق ناقوس الخطر لهذه الظاهرة، التى ثبت أن فيروس أنفلوانزا الخنازير من أخطرها، ورغم تناولها ليل نهار فى العالم على أيدى علماء ومتخصصين وكتاب وصحفيين، إلا أنها أى الظاهرة تتفاقم، وكأن لا حياة لمن تنادى فشبكات المصالح التى تربط الساسة بمافيا صناعة الدواء أكبر من أن تسمح بأن تمتد أى أياد لإيقافها، أو وضع نهاية لها.

مثلا تحت عنوان يقرأ «علاقة الأوبئة بالسياسة من الإيدز إلى أنفلونزا الخنازير» تناولت الأستاذة رشا عزب فى تحقيقها الجاد والشامل المنشور على موقع صحيفة «السياسى» الألكترونية جانبا مهما من قضية أنفلوانزا الخنازير، وشبهت مافيا الأدوية، بسماسرة الحروب، والتقت بعدد من المتخصصين لكشف أبعاد العلاقة الآثمة بين تفشى الأوبئة والسياسات.

وتبدأ رشا عزب تحقيقها بمقدمة تلخص فيها الكارثة: يدخل العالم خلال الفترة القادمة، الى مرحلة فارقة، فى تاريخه، فالحروب والأوبئة تدخل العالم دائما الى مسارات جديدة، ولا يدرك غالبية سكان الأرض، من يحدد هذه المسارات. فالحروب الكبرى فى تاريخ البشرية، تساق إليها شعوب الأرض دون أن يؤخذ رأيهم، ويموت الملايين فيها دون أن يعرفوا حتى السبب. كذلك الحال مع الأوبئة التى تظهر دون أن نعرف مصدرها، وتأخذ مع رياحها آلاف البشر وربما الملايين، ثم تنزوى أثارها بعد معاناة بشرية عميقة.

ومن المعروف أنه فى وقت الحروب، يظهر من يطلق عليهم «سماسرة الحروب» الذين ينتفعون من إراقة الدماء وموت البشر، وهو ما يحدث مع

الأوبئة، حين يظهر فى الأفق سماسرة ينتفعون من تجارة الأدوية والأدوات الطبية المختلفة التى تجنى أرباحا تفوق تجارة النفط والغذاء. والأكثر خطورة من ذلك هو تصنيع الوباء وتخليقه، كما حدث قبل ذلك فى أحداث سياسية متعددة، وأطلق عليها العلماء «الحروب البيولوجية».

ثمة أسئلة مشروعة، طرحت فى الأيام الأخيرة، عن مصدر تكوين فيروس H1N1 المعروف إعلاميا باسم «انفلونزا الخنازير». هذه الأسئلة ازدادت سخونتها بعد عدة وقائع كشف عنها علماء أمريكيون، ونشروا هذه المعلومات فى صحف أمريكية عديدة.

وربما تكشف هذه المعلومات عن بعض الوقائع التى تخفيها أسوار السياسة، حتى يتجاوز التحليل العلمى صخور نظرية المؤامرة، وهى التهمة التى تلقى فى وجه كل من يسأل عن حقيقة ما يحدث فى العالم.

الدكتور هشام عيسى أستاذ علم الفيروسات الشهير، فى دراسته المهمة التى تحمل عنوانا لافتا «سلاح الفيروسات فى جيوش العالم» ذكر عدة وقائع تاريخية مهمة فى هذا الصدد، حين قال إن التاريخ الأوروبى والأمريكى يحفل بأمثلة كثيرة على استعمال الميكروبات لنشر الأوبئة فى صفوف الأعداء.

وقد انتشر الطاعون الدملى فى أوروبا، حين غزتها قوات المنغوليين.. وفى عام ١٧١٠ استخدم الروس الطاعون أثناء مهاجمتهم للسويد.. وكانت أكبر جرائم الإبادة الجماعية هى التى حدثت ضد الهنود الحمر، حين قام المستوطنون القادمون من أوروبا بنشر وباء الجدرى بين السكان الأصليين، وذلك بإعطائهم بطاطين ملوثة بميكروب الجدرى، بعد أن قاموا بتطعيم الغزاة ضد هذا المرض.

وقد استخدمت الحرب البيولوجية إبان الحرب الأهلية الأمريكية، فكان

الفيدراليون يسممون مصادر المياه للقوات الاتحادية، بإلقاء جثث الحيوانات والجنود فيها. وقد قامت القوات الألمانية باستعمال ميكروب الجمرة الخبيثة (الانثراكس) ضد روسيا وبولندا وفنلندا.

ولكن البداية الحقيقية لترسانة الحرب البيولوجية فى أمريكا، كانت عام ١٩٤١ حين قامت بعمل برنامج موحد مع كل من كندا والمملكة المتحدة لتخزين وإنتاج سموم الانثراكس والتيفود والتلاريما وغيرها. ثم تعددت مراكز الحرب البيولوجية الأمريكية فى فورث ديتريك مريلاند، وكذلك فى يوتا وانديانا والمسيسيبى.

وخلال سنوات الحرب الباردة ارتفعت حمى النشاط فى تخزين الميكروبات القاتلة بواسطة كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى. ورغم أن الدولتين أنكرتا استخدامها فى الحرب إلا أن الصين وكوريا اتهمتا أمريكا باستعمال حشرات تحمل ميكروبات قاتلة إبان الحرب الكورية، كالقمل الناقل للطاعون والناموس الناقل للحمى الصفراء.

وسواء كان هذا الاتهام صحيحا أم لا، فإنه من المؤكد أن مراكز الحرب البيولوجية ظلت تمارس نشاطا سريا فى تخليق وتخزين الفيروسات القاتلة. وتشير أصابع الاتهام إلى فيروس نقص المناعة المسبب لفيروس الإيدز والذى اكتشف فى أول ديسمبر من عام ١٩٨١ بواسطة الباحثين الأمريكى روبرت جالو والفرنسى لوك مونتيانى، وتسبب فى قتل ٢٥ مليون نسمة. وقيل وقتها إن هذا الفيروس قد نقل إلى الإنسان بواسطة نوعين من القرود الموجودة فى جنوب الكاميرون.

وكما ذكرنا تقدم نظرية المؤامرة عدة تفسيرات للطريقة التى تم بها تصنيع فيروس H1V المسبب لمرض الإيدز، وننتقى من بينها نظريتين على سبيل المثال. الأولى ما صرح به العالم الألمانى جاكوب سيجما أن العلماء فى فورث ديتريك قاموا بتخليط فيروس HTLV-1 وهو من عائلة «ريترو

فيروس» التى تسبب سرطان الدم مع فيروس «فيزنا Visna » ثم قاموا بتجربته على نزلاء السجون من الملونين.

وهناك نظرية «لويد جرفينز» التى تقول إن فيروس H1V المسبب للإيدز، هو خليط من فيروس فيزنا مع فيروس الالتهاب الكبدى « ب»، وأن ذلك قد تم بإشراف معامل شركة «مرك».

ومن هنا يؤكد بعض العلماء والباحثين على أن فيروس الإيدز قد بدأ كفيروس فى القردة غرب أفريقيا، ثم تحول إلى فيروس قاتل مع تدخل علمى معملى، وإنه خرج عن نطاق التحكم، وتحول إلى مرض فتاك، أى كان محاولة لصناعة سلاح بيولوجى، وأضرت بمن حاول تخليقه!



هلع ورعب أنفلوانزا الخنازير يسيطر على العالم!

مع بداية عصر الألفية الثالثة، ظهر فيروس بث فى نفوس العالم معنى «الرعب»، وكان هذا الفيروس هو «سارس» الذى يصيب المرضى بصعوبة التنفس والتهاب رئوى يؤدى حتميا الى الموت. وظهرت أول إصابة بسارس فى نوفمبر من عام ٢٠٠٢ فى منطقة «جوانج دونج»، وحاولت السلطات

الصينية آنذاك التغطية عليه، وعدم الإعلان عنه، خصوصا وأن الصين كانت مقبلة على تغيرات سياسية.

وفى عام ٢٠٠٣ ساد الرعب العالم وسط تهديدات بأن يتحول «سارس» إلى وباء عالمى. ففى هذا الوقت العصيب، كانت الدبابة الأمريكية تتجه صوب العراق، والعالم كله مشغول باللحظات العصيبة فى الشرق الأوسط، وفى نفس الوقت ظهر مرض الخوف من السارس، الذى هدد بانهيار اقتصادى عالمى وسياسات حرب فى كل العالم.. الصين اضطرت إلى تغيير سياستها مع إعلان بكين وجوانجز وجوانج دونج وغيرها مناطق منكوبة بالوباء ووضعها تحت الحجر الصحى، وانخفض معدل النمو إلى ٦,٢ ٪ بدلا من٥, ٧ ٪.

وفى هونج كونج انخفضت السياحة بنسبة ٦١٪ واستخدام الطائرات بنسبة ٨٥٪ وإشغالات الفنادق بنسبة ٢٥٪، وانتقلت العدوى إلى كندا التى صرفت ٣٠ مليون دولار يوميا على سارس (مكافحة وخسائر).

وبدأت التقارير الاقتصادية تتوالى متوقعة أن يحدث انتشار وباء السارس خسائر تصل قيمتها ٦ بلايين دولار فى صناعة السياحة وحدها، إضافة إلى توقع آلاف من المصابين ومئات من الوفيات.

وفجأة، وبعد إعلان منظمة الصحة العالمية إنذارها عن تحويل سارس الى وباء عالمى، اختفى هذا الفيروس كما ظهر.

وتوقفت الدعاية العالمية عن التحدث عنه والترويج لخطورته. وبعد كل هذا الضجيج تبين أن عدد ضحايا سارس لم يتجاوز عدد المصابين فى حادثة طائرة أو قطار، فعددهم لم يتجاوز الـ ١١٧ شخصا على مستوى العالم!

وإذا انتقلنا الى الوباء الحالى والذى تعارف العالم على أنه قادم من المكسيك، ثبت أنه قد نقل إليها من الولايات المتحدة فى وقت مبكر.

وعند القيام بتوثيق تاريخ عقار التاميفلو الذى ارتبط اسمه مؤخرا بفيروسات الأنفلونزا. سنجد أنه فى عام ١٩٨٧ تأسست شركة صغيرة فى كاليفورنيا اسمها «أوليجوين» من قبل طبيب صغير السن (٢٩ سنة) اسمه ميشيل رودان.

تعمل هذه الشركة فى مجال صناعة المضادات الفيروسية بشكل خاص، وقد طورت حتى عام ٢٠٠٦ أحد عشر دواء، لكن الكنز الحقيقى الذى غير واقع الشركة وجعلها فى الصدارة، هو عقار التاميفلو الذى حاز على الترخيص فى ٢٧ أكتوبر ١٩٩٩ بعد أن دخلت «جلعاد» بشراكة مع شركة «هوفمان ـ لاروش» السويسرية لإنتاجه.

وبقيت استخدامات هذا العقار محدودة، فقد حصر استخدامه بكل من الإنفلونزا A- B التى لا يلجأ كثير من الأطباء والمرضى لمعالجتها إلا بالمسكنات وخافضات الحرارة.

لكن فى عام ٢٠٠٥ اجتاح العالم خوف رهيب من وباء جديد أطلق عليه اسم «أنفلونزا الطيور»، وعلى الفور قفز اسم هذا العقار إلى الواجهة على أنه العقار الوحيد المنجى من هذا الوباء القاتل.

ومع أخبار الوفيات الناجمة عن هذا المرض، التى تصدرت وسائل الإعلام، سارعت الدول الى شراء هذا العقار وتخزينه استعدادا لمجابهة وباء بات على الأبواب. وفى نوفمبر ٢٠٠٥ طلب الرئيس جورج بوش من الكونغرس ٧,١ مليار دولار من أجل مجابهة وباء انفلونز الطيور، ذهب من هذا المبلغ بليون دولار لشراء وتوزيع عقار التامفلو.

مع العلم أن الجرعة الواحدة منه تكلف ما بين ٦٠ ـ ٨٠ دولار للشخص الواحد، وعلى الفور قفز سعر سهم الشركة الذى كان نطاقه السعرى عام ٢٠٠١ يتراوح ما بين ٦,٦٤ دولار إلى ١٧,٩٣ دولارا، ولكن بعد الوباء

المزعوم قفز سعره فى عام ٢٠٠٦ من ٥٣ الى ٦٥ دولارا للسهم الواحد. وكانت التقديرات السابقة تشير إلى أن رامسفيلد يملك أسهما قيمتها ما بين ٥ إلى ٢٥ مليون دولار.

ومن المدهش، أنه منذ مدة عاد الاهتمام بالتاميفلو من جديد، بسبب وباء آخر هو «إنفلونزا الخنازير». وبالتالى ارتفع سهم كل من شركة روش السويسرية وشركة جلعاد الأمريكية، وراكم رامسفيلد وجورج شولتز وطاقم كامل من السياسيين مزيدا من الأرباح.

وأشار تقرير نشر فى «نيويورك تايمز» إلى أن هناك أدوية أخرى يمكن أن تتغلب على التاميفلو، كما أن مكونات هذا العقار بسيطة للغاية، ويمكن الاستعانة بمكوناته من الطبيعة، عن طريق استخدام أعشاب اليانسون.

لكن آلة الإعلام العالمية استطاعت تدشين اسم هذا الدواء دون غيره، باعتباره الذى سينقذ العالم من الفيروس الجديد، الذى قلل كثير من العلماء من خطورته، مؤكدين أن نسبة الوفاة التى يسببها هذا الفيروس تقل بكثير عن نسبة الوفاة التى تسبب فيها الأنفلونزا العادية، حيث يتراوح عدد الوفيات بين نصف مليون ومليون وفاة كل عام (ما بين ١٥ الى ٣٠ وفاة يوميا)، بالإضافة الى أن الفئات التى تكون عرضة للوفاة بسبب الإنفلونزا هى الفئات الهشة التى تعانى من أمراض أخرى كبيرة، مثل الأمراض القلبية الشديدة، والرئوية، وأمراض نقص المناعة، وسوء التغذية.

ومع انتشار فيروس H1N1 والتى تعرف بإنفلونزا الخنازير أو الإنفلونزا المكسيكية وتحذير منظمة الصحة العالمية من وباء قد يجتاح العالم، ظهرت نظريات وتساؤلات جدية حول مصدر هذا الفيروس. هل هى بالفعل عدوى انتقلت بشكل طبيعى أم انه فيروس تم تصنيعه مخبريا ونشره عمدا؟ ولماذا يتم الحديث عن وباء فى الوقت الذى يتم تصنيف الملاريا التى تقتل ما يقارب الـ ٣٠٠٠ شخص يوميا «كمشكلة صحية»؟ من المستفيد من نشر وباء حول

العالم؟ وإلى أى حد يمكن الحديث عن تورط شركات تصنيع الأدوية المتورطة أصلا بفضائح من النوع الثقيل؟ لا بل من يجرؤ على نشر وباء فى العالم وما الأهداف الكامنة خلف هذه الجريمة المحتملة بحق البشرية؟

هناك عدد من النظريات التى طرحت حول هذا الفيروس، إن من ناحية تركيبته الجينية وصعوبة تكتله بشكل طبيعى وفق هذا الفريق الرافض لما تشيعه الجهات المعنية حول الموضوع، أو من جهة الأطراف المتورطة.

إنفلونزا الخنازير «أتش ١ إن ١» هى عبارة عن تجمع لفيروسين من إنفلونزا الخنازير مع فيروس من إنفلونزا الطيور «اتش ٥ إن ١» مع إنفلونزا الإنسان. وما يثير التساؤل حول هذا الفيروس إضافة إلى كونه يجمع بين ٤ أنواع مختلفة من الفيروسات ـ الأمر الذى يعتبره العلماء معجزة بحد ذاته ـ هو آلية تجمع ٤ أنواع من فيروسات من مختلف أنحاء العالم فى منطقة واحدة وفى حيوان واحد. إذا إنفلونزا الخنازير هى: إنفلونزا الإنسان، إنفلونزا الطيور من شمال أميركا وإنفلونزا الخنازير من أوروبا، وإنفلونزا الخنازير من آسيا.

وانطلاقا من هذه التركيبة الجينية السريعة الانتشار، أثيرت التساؤلات حول كون هذا الفيروس مصنع مخبريا وليس نتيجة عدوى طبيعية. ويطرح المشككون بصحة وجود هذا الفيروس بشكل طبيعى النظرية التالية: كى تكون الإصابة طبيعية فهذا يعنى أن طائرا مصابا بالإنفلونزا من شمال أميركا قام بنقل هذه العدوى إلى خنازير أوروبا، ثم تمت إعادة نقل العدوى من الخنازير إلى الطيور المصابة أصلا. وعليه تصبح الطيور حاملة لفيروس انفلونزا الطيور من شمال أميركا وفيروس أنفلونزا الخنازير من أوروبا.

الخطوة التالية تقضى بأن تقوم هذه الطيور بالهجرة إلى آسيا ونقل العدوى إلى الخنازير هناك (الخنازير الآسيوية باتت مصابة بانفلونزا الطيور من شمال أميركا وأنفلونزا الخنازير من أوروبا) ثم يصار إلى «تحور»

الفيروس فى الخنازير الآسيوية بشكل يجعلها قابلة للانتقال إلى الإنسان.

العدوى من الخنازير الآسيوية يجب أن تنتقل مجددا إلى هذه الطيور المهاجرة كى تصبح حاملة لفيروسين انفلونزا الخنازير وفيروس انفلونزا الطيور وقابلة للانتقال إلى البشر. وكى تكتمل السلسلة الطبيعة على شخص ما فى المكسيك أن يلتقط العدوى التى انتقلت بطريقة ما إلى الخنازير المكسيكية.. ثم يقوم بدوره بنقلها إلى أشخاص آخرين. وعلى الرغم من وجود سيناريوهات عدة،لا تقل تعقيدا إلا أن هذا السيناريو مثال على تعقيدات «نقل الفيروس» بالطريقة التى يتم الحديث عنها حاليا.

والسؤال: هل يمكن لمزيج «هجين» بين إنفلونزا الإنسان والحيوان أن يتم بشكل طبيعى؟

بعيدا عن نظريات المؤامرة، سنعرض بعد الأفكار المطروحة حول عدم قابلية هذا الفيروس بالتكتل بشكل طبيعى. إن فيروسات (H5N1 انفلونزا الطيور) H1N1 و(انفلونزا الخنازير) لا تعتبر «هوائية» بحد ذاتها لكن حين يتم «مزجها» مع الإنفلونزا الموسمية السريعة الانتشار فإنها تصبح قاتلة وسريعة الانتشار بمعنى آخر... سلاح بيولوجى. يذكر أن مزج الفيروسات فى المختبرات ونشرها عمدا ليس بأمر جديد، فالإنفلونزا الروسية التى ظهرت عام ١٩٧٧ كانت مصنعة مخبريا.

وبما أن عمل الخلايا الوحيد هو الانقسام، فإن عملية «تشوه» هذه الخلايا أمر طبيعي جدا. فالانقسام والتغيير فى التركيبية الجينية أمر تلقائى، لكن الأمر غير الطبيعى فى ما يتعلق بانفلونزا الطيور والخنازير يتمحور حول «قوته».

والمقصود هنا أن الخلايا تنقسم ولكنها لا تتطور، وإنما يحدث «تشوه» فى التركيبة الجينية. وحين تنقسم خلية إلى مليون خلية على سبيل المثال تكون خلية واحدة هى الأقوى والأكثر تشوها والأكثر قدرة على تحقيق

المرض القاتل. ومن المستعبد أن تتم عملية انتقاء هذه الخلية الوحيدة من بين ملايين الخلايا نتيجة أسباب طبيعية.هنا يمكن الحديث عن «العملية الاختيارية» من قبل الإنسان لاستخراج الخلية القاتلة.

وكى تتطور انفلونزا الطيور أو الخنازير إلى وباء إنسانى على الفيروس الموجود فى الطائر أن يكون شديد الضراوة وقابل للانتقال إلى الإنسان. وحين يصل إلى البشر، على هذا الفيروس أن يشل أو يقتل مضيفه الإنسان ومع ذلك يجد طريقه إلى الانتقال من شخص إلى آخر.. وهذه السلسلة عادة لا تحدث بشكل طبيعى.

من المستفيد من نشر فيروس فتاك.. وما هى الأسباب الكامنة خلف نشر الوباء؟

تم طرح عدد من النظريات التى «تجرم» جهات متعددة فى إمكانية نشر الفيروس الفتاك وتعددت التحليلات والأسباب من عالم إلى آخر، وإن تقاطعت بشكل كبير.

النظرية الأولى تورط «الحكومات» المدفوعة بالتغيرات المناخية والأزمات الاقتصادية والكثافة السكانية.. وتأتى هذه الخطوة فى إطار تصحيح الفوضى السكانية العالمية والحد من «الأعداد» المهولة التى تؤم الكرة الأرضية.

النظرية الثانية فتتحدث عن سوابق الجيش الأميركى فى تصنيع وإطلاق هكذا نوع من الفيروسات وإن كان الفريق الذى يتبنى وجهة النظر هذه يحرص على عدم إدانة الجيش الأميركى فى ما يتعلق بفيروس H1N1 لأن ذلك يعنى تورطه بجرائم ضد الإنسانية. ثم تسرد النظرية مآثر حكومات العالم واصفة اياها بأنها لطالما تورطت بجرائم ضد الإنسانية كهيروشيما ونكزاكى، محرقة هتلر بحق اليهود، استعمال اليورانيوم المنضب فى الحرب الاميركية على افغانستان والعراق ولبنان. والخلاصة وفق هذه النظرية: أن الحكومات القادرة على القيام بكل هذه

الأمور لن تقف عاجزة أمام تصنيع فيروس قاتل لتحقيق غاياتها.

النظرية الثالثة تدور حول تورط شركات تصنيع الأدوية.. منها باكستر ونوفافاكس تقول هذه النظرية إنه فى ظل انهيار الاقتصاد العالمى وتدنى الأرباح إضافة إلى الخسائر المهولة التى لحقت بهذه الشركات، كان لزاما أن يظهر وباء يكون تذكرة خروجهم من الأزمة خصوصا أن التاميفلو الذى در الملايين على شركتى باكستر وروشيه خلال «حقبة أنفلونزا الطيور» بدأ يدر الأرباح عليها حاليا.

وحسبما ذكرت وكالة أنباء «أسوشيتدبرس»، فقد قدر محلل مالى مبيعات التاميفلو فى القريب العاجل بـ ٣٨٨ مليون دولار، رقم بالطبع مرجح للارتفاع مع استمرار انتشار الانفلونزا أما فى حال إعلان حالة "الوباء" فان الرقم سيتضاعف. يذكر أن أسهم أكثر من ٦ شركات تصنيع أدوية شهدت ارتفاعا ملحوظا فى أسهمها خلال الأيام الأولى لانتشار الفيروس.

كما أن انتشار انفلونزا H1N1 ملائم جدا للحكومات التى يمكنها الآن التخلص من مخزون التامفيلو القابع فى المستودعات والذى يعود «لحقبة أنفلونزا الطيور» ناهيك عن تسجيل طلبات جديدة. فالحكومة الأميركية طلبت شحنات من التاميفلو تقدر قيمتها بـ ٢ بليون دولار فى الوقت الذى طلبت الحكومة البريطانية خلال الأيام الأولى لانتشار الفيروس شحنات تقدر بـ ١٤,٦ مليون دولار.

أما مبيعات شركة روش لعقار تاميفلو وحده خلال العام ٢٠٠٨ فقدرت بـ ٥٢٧ مليون دولار.

ولعل كل هذا هو الذى دفع الزميل الكاتب الكبير عبد الله كمال إلى أن يقول فى مقاله له بمجلة «روز اليوسف» المصرية تحت عنوان «انفلونزا العقول.. مؤامرة دولية وراء انفلونزا الخنازير!» إن هناك ثلاثة أسباب على الأقل تدفع إلى قبول التفكير، بنظريه المؤامرة، فى مرض (انفلونزا

الخنازير).. وهى كما يعددها الكاتب:

١ ـ الرغبة فى لفت أنظار الرأى العام فى كافه أنحاء العالم بعيدا عن ضغوط الأزمة الاقتصادية العالمية.. وبحيث يكون الإحساس بالخطر الصحى أقوى من الإحساس بالخطر الاقتصادى.. وهو مايؤدى إلى إتاحه الفرصة امام صناع القرار لكى يتخذوا مواقف معينه قد لايقدرون عليها فى توقيتات أخرى.. أو تخفيف الضغوط عنهم فى معالجة الأزمة الاقتصادية.

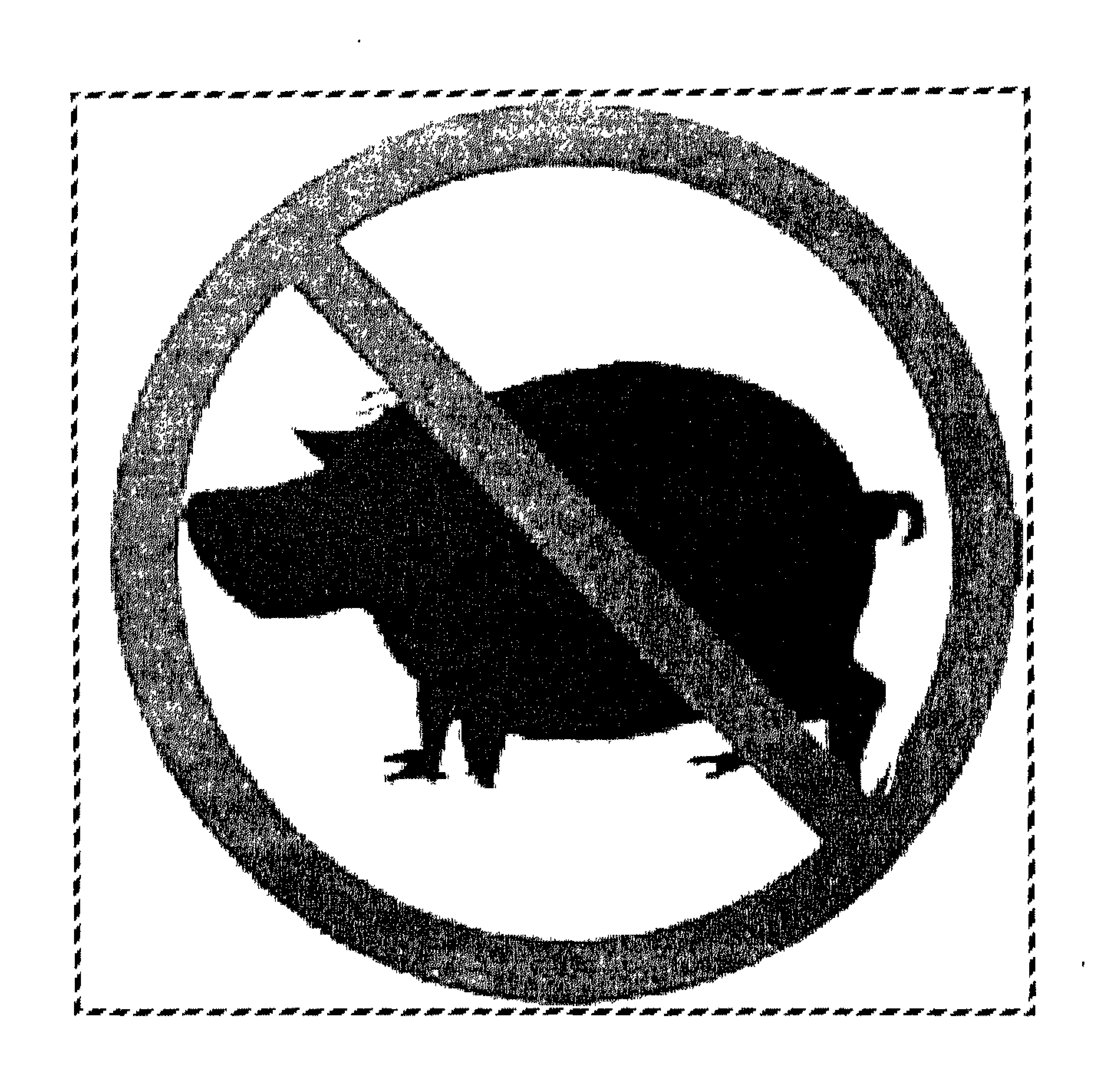
وتذهب تحليلات عديدة فى هذا الاتجاه.. وترى أن الهدف هو شغل الناس عن الموضوع الأخطر.. وتضرب أمثلة بالترويج الذى تعرض له العالم على مدى سنوات قليلة ماضية بشأن أمور مماثلة فى توقيتات بعينها.. (جنون البقر ـ الحمى القلاعية ـ الجمرة الخبيثة ـ السارز ـ أنفلونزا الطيور.. ثم أنفلونزا الخنازير).

٢ ـ الرغبة فى دفع الاتجاه إلى تطوير الأبحاث العلمية فى مجالات الأنفلونزا والأمراض الوبائية..واستدعاء نفقات مالية غير متوفرة فى هذا الاتجاه.. وفى هذا السياق يمكن قراءة التحليل الذى نشرته جريدة «نيوريوك تايمز».. وقال إن الأزمة الاقتصادية قد أدت إلى تقليص النفقات المالية المخصصه للقطاع الصحى على المستوى الفيدرالى وعلى المستوى المحلى فى كل ولاية أمريكية.. ما أدى إلى فقدان الآلاف من العاملين لوظائفهم رغم أن الحاجه تبدو ماسة لجهودهم فى مواجهة وباء أنفلونزا الخنازير.. وشككت الصحيفة فى مصداقيه ما يردده كبار المسئولين فى القطاع حول قدرتهم على مواجهة الوباء بالإمكانيات الحالية.. وقال أحد المسؤولين لها: إن الإدارت المحلية تكاد تؤدى مهامها اليومية بشق الأنفس!

٣ ـ الرغبة فى رفع قيمة وأسهم الشركات الكبرى المنتجة للأدوية فى هذا المجال، وزيادة الطلب على منتجاتها، وهو ماقد جرى بالفعل.

6

الخنزير.. أكبر حضانة لأشرس الفيروسات!!



مع قدرة هذا الفيروس الخطير على التحول والانتشار، وما يسببه من رعب، خشية تفشى هذا الفيروس على مستوى العالم، مما يعنى وقوع كارثة محققة، صرحت المديرة العامة لمنظمة الصحة العالمية «مارغريت تشان» فى لقاء صحفى معها فى الرابع من مايو عام ٢٠٠٩، أن المنظمة تعد وتهيئ الجميع للاستعداد فى آخر المطاف لدرجة ٦ من مستوى خطر الفيروس على مقياس سلم (٦ درجات)، كما شرحت بأن هذا لا يعنى أننا نقترب من نهاية العالم، ولكنها إشارة إلى السلطات المحلية فى جميع أنحاء العالم للأخذ بكل تدابير الحماية اللازمة، وأن توضع موضع التنفيذ.

ورغم إعلان المنظمة فى البداية أن لا خوف من تناول لحوم الخنازير إذا تم طبخها فوق درجة ٧٠ درجة مئوية، إلا أن مدير إدارة السلامة بمنظمة الصحة العالمية جورجين شلونت قال إنه لا يسمح فى أى حال من الأحوال الاستهلاك البشرى للحوم الخنازير المريضة، تفاديا لأى مضاعفات، ولاسيما إذا كان الفيروس جديدا، ولم يتوفر بعد للخبراء الوقوف على كل تركيبته الفيروسية ومخاطره، كما وتذكر الآن بعد المواقع العلمية لديهم أنه يستحسن الابتعاد عن تناول لحم هذا الخنزير المشبوه تعرضه لهذه السلالة الجديدة من الفيروس تفاديا لأى مخاطر غير محسوبة، وذلك بعد تصريح من منظمة الصحة العالمية أن ليس من المستحيل مقاومة هذا الفيروس الجديد لعملية التجميد الاعتيادية للحوم المذبوحة وبقائه فى لحم ودم الخنزير، ولذلك وجب تفادى تعاطى هذه اللحوم المشبوهة على سبيل الاحتياط.

ولعل السؤال الأهم الذى استحوذ على اهتمام الجميع، قولهم (لقد ظهر قبل هذا وباء أنفلونزا الطيور، وجنون البقر.. وغيرها) فما الفرق بين هذه الحيوانات ووباء الخنزير حاليا؟ وأين تتشكل خطورة هذا الحيوان (الخنزير) الذى حرمه الله علينا لعظيم خطره ورجسه ووبائه؟

هذا السؤال تجيب عليه الباحثة الكبيرة وديعة عمرانى فى ملف خاص، كانت قد أعدته حول أنفلوانزا الخنازير بعنوان: «أنفلوانزا الخنازير والوباء

العالمى: الخطر القادم» فتقول: هذا السؤال ذو أهمية كبرى، فإضافة على ما يعلمه الجميع من خطر الأوبئة التى يختزنها هذا الحيوان فى جسمه ومحيطه (سنأتى على ذكر نماذج منها هنا)، فإنه وبشهادة العلماء والخبراء الآن الخنزير يشكل لمربيه فى (الحظائر)، وآكله والمتعايشين معه، وفى محيطه، خطرا كبيرا قائما فى كل وقت وحين.

ولعل أخطر ما فى موضوع هو أن هذا الفيروس يمكن أن يفرزه الخنزير من مختلف مناطق جسمه (فى البراز والبول والمنى، ومخاط الأنف واللعاب وعلى سطح اللوزتين.. الخ)، بما يشكل خطورة كبيرة على كل المحيطين به، وبالأخص إذا عرفنا وكما قلنا إن الخنزير هو بيئة محفزة لنمو سلالات جديدة أخرى من الجراثيم؟ فكيف سيكون الوضع على من يسهرون على تربية هذه الحيوانات والأدهى على من يتناولونها؟!

أما مسار الدخول هذا الفيروس إلى جسم الخنزير هو عبر المسار الأنفى والحنجرة، مما يعنى أيضا سرعة انتشاره وانتقاله لدى خنازير أخرى محيطة.

ولقد صنف العلماء ـ على إثر هذا ـ هذا الفيروس فى قائمة أصعب الفيروسات التى يمكن أن تصيب الخنزير.

وهناك ثلاثة أنواع من فيروسات الأنفلونزا (A,B,C)، ولكن لعل أخطرها هو نوع (A)، وهو النوع المتواجد لدى الخنزير، إذ لا يتواجد عنده إطلاقا باقى الأنواع الأقل خطورة.

أما حرف (H) وحرف (N)، فهما يمثلان تسميات لفرعى البروتينات التى تتواجد على سطح هذا الفيروس: (H: hémagglutinine) ودوره تثبيت الفيروس على سطح الخلايا والأغشية والسماح له بالدخول إليها، أما (N: Neuraminidase) فدوره أنه يتيح الإفراج وتحرير كتل الفيروس داخل الخلايا المستهدفة.



المديرة العامة لمنظمة الصحة العالمية

«مارغريت تشان» تحذر من كارثة مروعة

وكما ذكرنا فإن نوع الأنفلونزا المشار إليه برمز A، هو الأشد خطورة وفتكا، مقارنة بباقى الأنواع الأخرى من فيروسات الأنفلونزا، كما قلنا أن جميع فيروسات أنفلونزا الخنزير هى من هذا النوع A الخطر والأخطر (حيث لا يحتوى جسم الخنزير إطلاقا على الفيروسات الأخرى الأقل خطورة B و C).

ومعروف أيضا لدى الأوساط العلمية أنه نادرا ما يستطيع أن يحتوى جسم أى حيوان، وفى نفس الوقت، على خليط من عدة فيروسات لأنواع أخرى من الحيوانات أو المخلوقات، ولكن هذا يحدث مع الخنازير، وهذا ما حدث بالفعل، وليس الآن فقط مع هذا الفيروس الجديد، فهذه الحالات تكررت سابقا، وان كانت على درجات متفاوتة وأشكال مختلفة، ولقد ساعد احتواء جسم الخنزير وتخصصه بفيروس A الأشد خطورة، على استقطاب هذا الخليط من فيروسات الأنفلونزا من نوع A لدى الكائنات الأخرى،كما حصل الآن مع فيروس أنفلونزا الخنازير (ايه/ايتش١ان١) الذى هو خليط يجمع بين كل من أنفلونزا الخنازير، أنفلونزا الطيور والأنفلونزا البشرية

الموسمية فى تركيبة فريدة من نوعها لم تكن معروفة من قبل لا فى الحيوانات ولا فى البشر.

فأول فيروس لأنفلونزا الخنازير صنف من (نوع H1N1) كان قد تواجد فى أمريكا الشمالية قبل هذا بستين سنة ماضية، وفى حوالى سنة ١٩٨٠ ظهرت ولأول مرة فى أوربا لدى الخنزير فيروسات مماثلة لتلك التى للبشر من (نوع H3N2)، هذه الفيروسات قد ظهرت منذ ذلك الحين فى أنحاء أخرى من العالم، ولاسيما فى الولايات المتحدة فى عام ١٩٩٨.

كما صرح الخبراء على أنه فى كل حال،التوسع السكانى للمجموعات الثلاثة (الطيور، والخنازير والبشرية)، وتمعنوا جيدا فى هذا القول وهذه الحقيقية، التى معناها أن أصل العلة فى إقحام الشريحة السكانية الثالثة (الخنزير) ضمن المجموعات الاعتيادية، لأن عادة الطيور تتعايش دوما فى سلام مع بيئتنا، أما الدخيل عنا هو الخنزير!؟ ويضيف المقال بالقول (هذا التجمع والتوسع مكن من ظهور سلالات جديدة من الفيروسات،بحيث كل الفيروسات التى أصبحت منتشرة تحتوى على شرائح N و H من أصل الخنزير مع مزيج من جينات داخلية للطيور والبشر والخنازير).

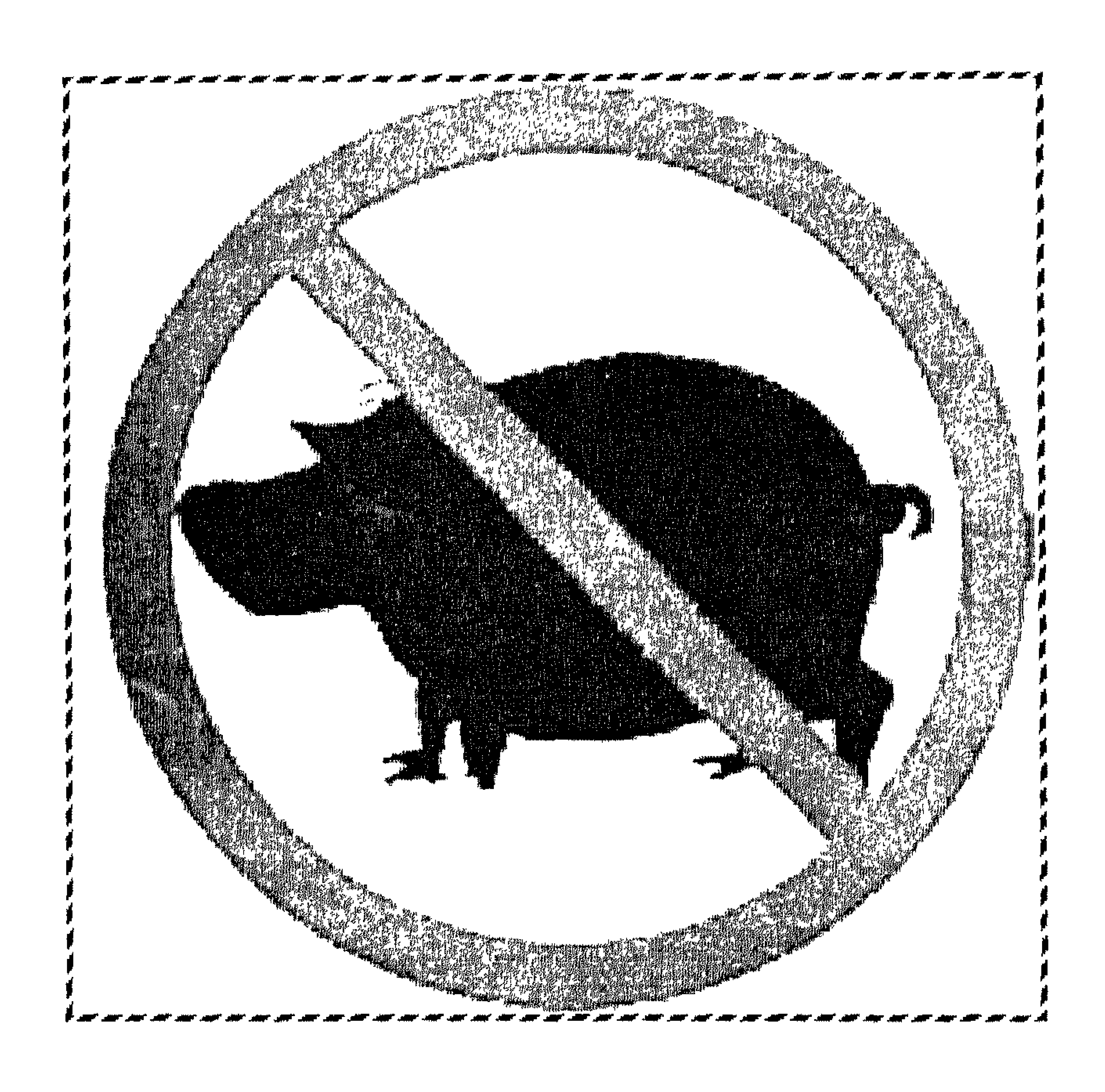
فالدخيل هنا هو الخنزير لأنه الوسيط (والبيئة المحفزة) بامتياز فى جمع ونقل وتحويل فيروسات كائنات أخرى إلى سلالات جديدة جد مدمرة خطرة. حتى أصبح الخبراء الآن ينصحون بتفادى ذلك التوسع السكانى للمجموعات الثلاثة (الطيور، والخنازير، والبشرية)، كوقاية من أى أخطار أخرى.

وهكذا وحسب جميع الخبراء والعلماء فإن هذا الخنزير يشكل المضيف (البوتقة) وبيئة محفزة لظهور أنواع جديدة من الفيروسات، مع احتمال تحولها إلى وباء خطير، نظرا لقدرته على استضافة والسماح بتكرار فيروسات الأنفلونزا البشرية وأنفلونزا الطيور وأنفلونزا من أصل الخنازير، فلحم الخنزير وكما قلنا يلعب دوارا خطيرا فى عبور حاجز جميع الأنواع.

7

وكالة الجراثيم الأمريكية

اسم جديد لـ «سى. آى. إيه» !!



بعد كل هذه الشهادات التى وردت على ألسنة علماء الغرب وغيرهم من المعنيين بشؤون الأوبئة والجراثيم، والتى تشير بأصابع الاتهام للولايات المتحدة وخاصة وكالة المخابرات الأمريكية «سى. آى. إيه»، فهل يمكن أن يتم تغيير اسم هذه الوكالة مثلا ليكون اسمها «وكالة الجراثيم الأمريكية»، دون أن نتهم من قام بالتغيير بالمبالغة، أو نتهمه بالشطط، أو تبنى مثلا «نظرية المؤامرة» بعيدا عن أرض الواقع؟

الإجابة نعم يمكن تغيير الاسم، بل ونضم صوتنا إلى صوت الكاتب الكبير فهد الأحمدى صاحب براءة الاختراع فى تغيير الاسم، فى مقال رائع له بصحيفة «الرياض» السعودية حمل عنوانه الاسم الجديد «وكالة الجراثيم الأمريكية»!!

يقول الكاتب الكبير فى مقاله: من المعروف أن فيروس الإيدز ظهر فى الولايات المتحدة الأمريكية بصورة مفاجئة.. ومن الفرضيات المشهورة أن هذا الفيروس تولد بصورة اصطناعية فى مختبرات وكالة المخابرات الأمريكية الـ «سى آى إيه».

ويؤكد عالم الفيروسات الفرنسى «جال ليبوفيتش» فى كتابه «الفيروسات الطائرة» أن فيروس الإيدز تسرب أثناء التجارب الخاصة بإنتاج سلاح جرثومى جديد، ويشاركه هذا الرأى الاختصاصى الإنجليزى جون سيل ـ الذى يؤكد بأنه نقل عمدا الى دول أفريقيا السوداء للحد من تناسل الفقراء فيها!

فالمخابرات الأمريكية تمتلك فعلا مختبرات خاصة مهمتها استيلاد الأسلحة الجرثومية. وقد بدأت فى تصنيع السلاح البيولوجى عام ١٩٥٢ وقامت عام ١٩٥٥ بأول تجربة كبيرة لنشر جراثيم السعال الديكى فى فلوريدا.

وفى عام ١٩٥٦ نفذت تجربة سرية تعرف بـ «المدينة الكبيرة» الهدف منها نشر الأوبئة فى مدينة عصرية عن طريق مرافق الخدمات البلدية.

وكان أحد عناصر التجربة دراسة النزول العمودى لجراثيم غير ضارة نشرت فى مدينة نيويورك (عام ١٩٥٦). وفى حزيران ١٩٦٩ أعادت «سى آى إيه» تجربة تسميم «مدينة كبيرة» عبر شبكة المياه وكانت تتخذ من إدارة المؤن والأدوية فى واشنطن مركزا لدراساتها فى ذلك الوقت.

وفى الحقيقة واشنطن نفسها لا تنكر أن ترسانة الـ «سى آى إيه» تضم جراثيم ومسببات أمراض لا تخضع لقوانين الحرب أو المعاهدات الدولية (كون أسلحة الـ «سى آى إيه» ليس لها علاقة بممتلكات الجيش الأمريكى ولا تطبق عليها نفس القوانين). ولكنها فى المقابل تنكر حقيقة أن الغرض الرئيسى من هذه «الترسانة» استعمالها فى العمليات السرية خارج البلاد.

وقد عانت أمريكا اللاتينية (وفيتنام أثناء الحرب) ـ أكثر من غيرها من التجارب الجرثومية لوكالة المخابرات الأمريكية. وفى نيسان ١٩٨٧ قدمت مجموعة من العلماء المكسيكيين التابعين لمعهد حماية الثروات الطبيعية سجلا موثقا تتهم فيه الولايات المتحدة بشن حرب جرثومية سرية ضد الدول اللاتينية.

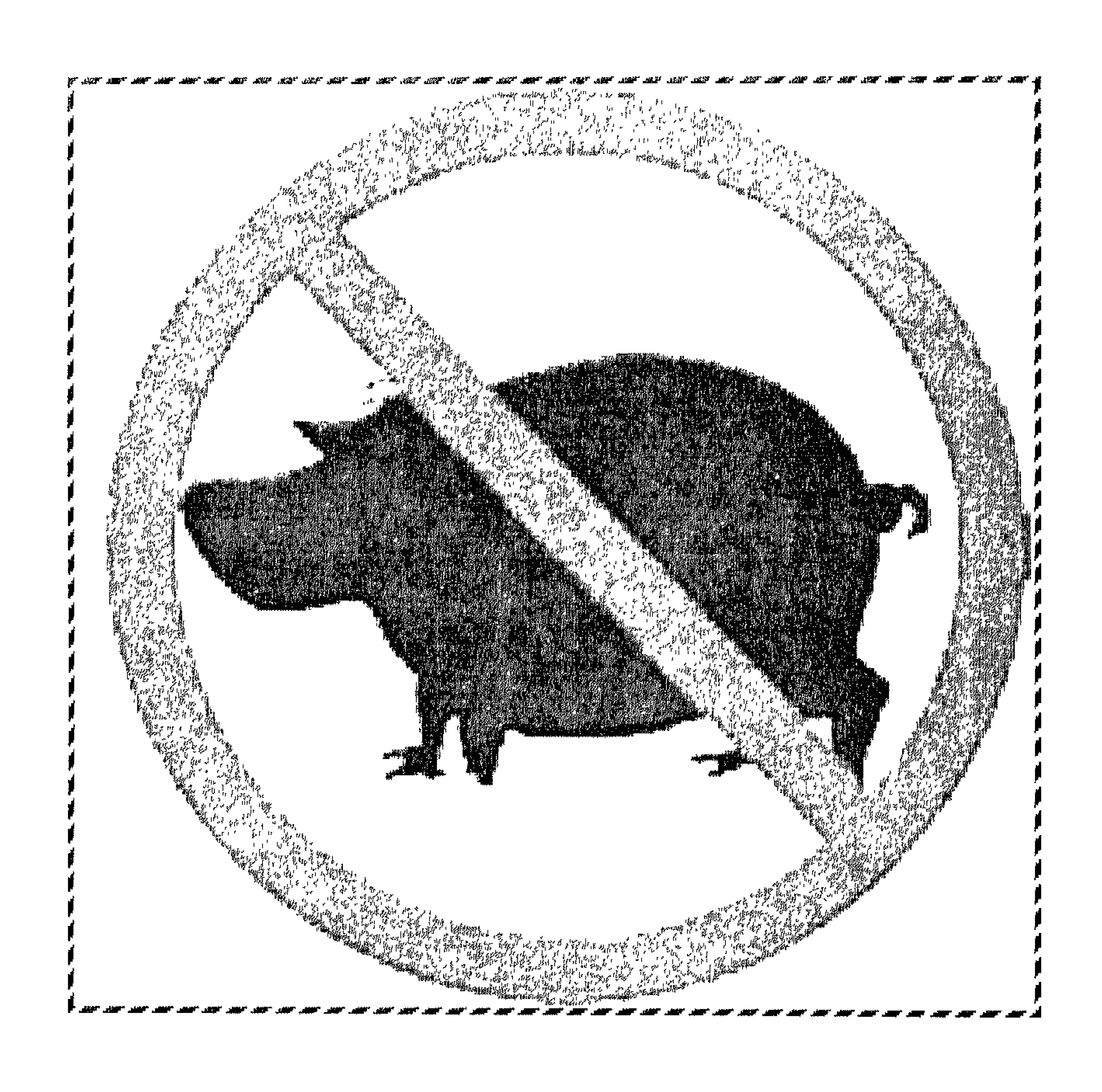
وفى العاشر من شهر سبتمبر عام ١٩٨٤ اعترف المعارض الكوبى وقائد منظمته «أوميغا ـ ٧» أنه نشر «حمى الضنك» فى كوبا عام ١٩٨١ بواسطة جراثيم سلمتها له وكالة المخابرات الأمريكية (وهى الحمى التى تسببت فى وفاة ٣٥٠ ألف إنسان وإصابة مليون آخرين).

وفى أوائل الثمانينيات طردت باكستان الطبيب الأمريكى دافيد نيلين بعد فضيحة استيلاد جراثيم خطيرة فى المركز الطبى الأمريكى فى «لاهور» (الذى أنشئ عام ١٩٦٢ بحجة دراسة الملاريا تحت إشراف وإدارة «نيلين»).

وينهى الكاتب الكبير مقاله بالسؤال: بعد كل هذا كيف نستبعد الفرضية القائلة بأن فيروس الإيدز تسرب من دهاليز المخابرات الأمريكية؟

8

بروس إيفينز..
انتحار في ظروف غامضة!!



فوجئ العالم بإقدام عالم أميركى يحظى بمكانة كبيرة فى أبحاث الدفاع البيولوجى على الانتحار بالتزامن مع قرب إعلان مكتب التحقيقات الفيدرالى «إف. بى. آى» توجيه اتهامات له بارتكاب جرائم رسائل الجمرة الخبيثة «إنثراكس» التى ألحقت أضرارا بالولايات المتحدة فى الأسابيع التى تلت هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

وذكرت التقارير الإخبارية أن العالم الأميركى بروس إيفنز «٦٢ عاما» الذى عمل منذ ١٨ عاما فى أبحاث الدفاع البيولوجى فى مختبر «فورت ديترك» تلقى إخطارا بموعد محاكمته فى هجمات رسائل الجمرة الخبيثة التى قتلت خمسة أشخاص.

وقال أحد أصدقاء العالم البيولوجى إنه أخذ جرعة هائلة من مادة التايلينول مع الكودين. وأن محاولات إسعافه فى مستشفى بـ «ميريلاند» قد باءت بالفشل حيث توفى هناك.

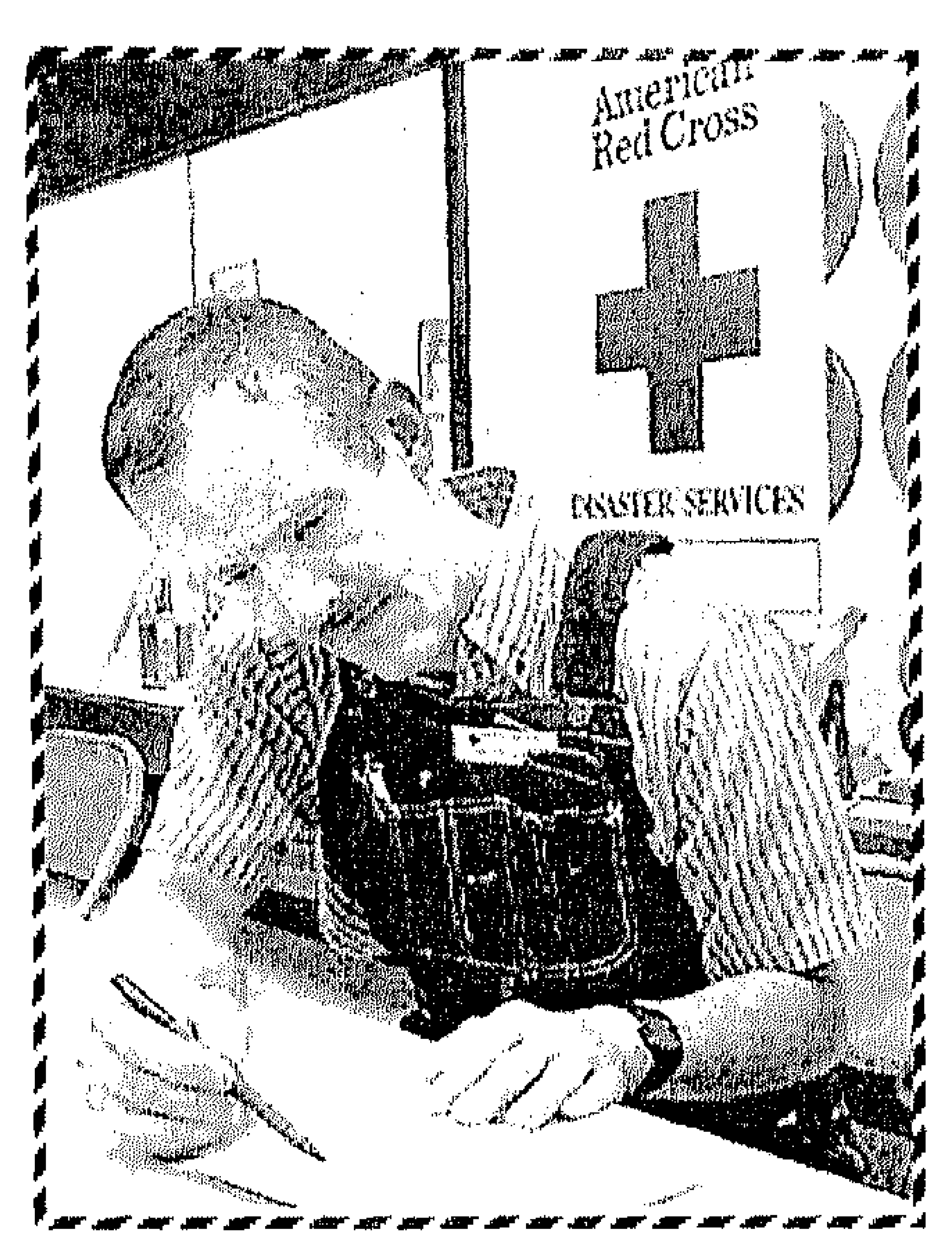
وأشارت التقارير الصحفية الأمريكية إلى أن تحقيقات «أف. بى. آى» ركزت على المختبر الذى يعمل فيه إيفانز. (الرجل الذى أرعب أمريكا - واشنطون - محمد صالح - صحيفة «الشرق الأوسط» - ٨ أغسطس ٢٠٠٨).

وأوضح العالم هنرى س. هينى الذى عمل مع إيفانز فى أبحاث استنشاق الجمرة الخبيثة فى فورت ديتريك، أنه وآخرين من الفريق أدلوا بشهاداتهم أمام هيئة المحلفين الاتحادية الكبرى فى واشنطن، وأنه تم التحقيق معهم فى رسائل الجمرة الخبيثة لأكثر من عام.

وكانت هجمات الجمرة الخبيثة بدأت عقب هجمات الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، الأمر الذى دفع المحققين الأميركيين للاشتباه فى أنها من تدبير عناصر تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن.

وقامت السلطات الأميركية حينها بمعالجة جميع الرسائل البريدية الواردة إلى المؤسسات الحكومية بالإشعاعات، لقتل أى جراثيم قد تكون بداخلها.

وبعد أسبوع من إعلان نبأ وفاته، أعلن المدعى الفيدرالى الأميركى أن بروس ايفنز العالم الذى انتحر هو «المسؤول الوحيد» عن الهجمات القاتلة بواسطة رسائل بريدية مسممة بمسحوق الجمرة الخبيثة.



العالم الأميركى بروس ايفنز
الذى لا يزال انتحاره لغزا محيرا

وقال المدعى العام جيفرى تايلور خلال مؤتمر صحفى «استنادا إلى جميع الأدلة التى تجمعت لدينا نحن متأكدون أن بروس ايفنز كان الشخص الوحيد المسؤول عن هذه الهجمات» التى أعقبت اعتداءات الحادى عشر من سبتمبر.

من جهته قال مسؤول التحقيق فى جهاز «إف. بى. آى» جوزف برسيكينى: «فى ختام تحقيق دقيق جدا توصلنا إلى نتيجة أن ايفنز هو المسؤول عن الوفاة والمرض والرعب الذى أثاره بإرساله رسائل مسممة بمادة الانثراكس. ونظرا للأدلة المتوفرة كان يتصرف بمفرده».

وأوضح تايلور «هناك سلسلة من عناصر الإثبات تم جمعها بشكل متأنٍّ تقود الى نتيجة واقعية وهى ان ايفنز وضع الانثراكس فى مغلفات فى

صندوق البريد».

وأفرجت السلطات القضائية عن وثائق التحقيق الذى أطلقت عليه تسمية «اميريتراكس» وتتضمن عشرات الإفادات والاستدعاءات والتحليلات المتعلقة بكتابة الرسائل المجهولة. وأعلنت الشرطة الفدرالية إجراء أكثر من ٩١٠٠ عملية استجواب وحوالى ٦١٠٠ استدعاء ضمن إطار التحقيق الذى وصفته بأنه «الأكثر توسعا وتعقيدا» فى تاريخ الولايات المتحدة.

وكانت التحقيقات التى استمرت سبعة أعوام قد لاقت انتقادات شديدة ولا سيما إثر الخطأ الأول الذى ارتكبته الشرطة الفدرالية التى لوحقت قضائيا بعدما ركزت تحقيقاتها على مشتبه به أول لطخت سمعته وقضت على حياته المهنية.

وكان هذا الهجوم الغامض بالجمرة الخبيثة لأول مرة يوم ١٨ سبتمبر ٢٠٠١، قد بدأ بخطابات وصلت إلى مكتب السيناتور الديمقراطى توم داشل زعيم الأغلبية فى مجلس الشيوخ والسناتور الديمقراطى باتريك ليهى رئيس لجنة الشؤون القانونية ومكاتب مجلة «ناشونال انكوايرر»، وجريدة «نيويورك بوست» بالإضافة إلى أهم ثلاث قنوات تلفزيونية: «سى. بى. إس»، و «آى. بى. سى» و«إن بى سى».

وفتحت بعض الخطابات وكان فى كل واحد خطاب تهديد ومسحوق سام يصيب من يستنشقه أو يلمسه. ونقل ٢٢ شخصا إلى مستشفيات بعشر مدن، منهم موظفو بريد نقلوا الأظرف، وسكرتيرات فتحن الظروف، وقتل خمسة، وأصيب ١١ بعاهات دائمة.

وكان على كل ظرف بريدى خاتم بريد من مدينة «ترنتون» بولاية نيوجيرسى.

وكانت خطابات التهديد عبارة عن سطور قليلة متشابهة، مكتوبة بخط يد واضح، تقول الآتى: «بعد الهجوم الجوى، جاء وقت الهجوم الكيماوى.. هذا هو انثراكس. هل أنتم خائفون.. الموت لأميركا.. الموت لإسرائيل.. الله أكبر».

وقد أثارت كلمة أنثراكس على الفور خوفا كبيرا فى أميركا، وانتشر الخبر فى كل مكان. والمعروف أن الانثراكس هو بالعربية «الجمرة الخبيثة»، واسمه الطبى «باسيليوس انثراسيس». وأصل الكلمة «انثراكيتيس» وهى يونانية ومعناها الفحم، وذلك لأن الإصابة به تحرق الجلد وتحول لونه للأسود.

ويصيب المرض الحيوانات أكثر من الناس. لكنه لا يظهر إلا نادرا، حتى وسط الحيوانات. غير أن العلماء العسكريين صاروا يتابعون الحيوانات التى يصيبها الانثراكس، ويستخلصونه فى المعامل، ويصنعون منه أسلحة جرثومية.

وينتشر الانثراكس عن طريق باكتيريا تشم عن طريق الأنف، أو تبلع، أو تلتصق بالجسد، أو لحوم حيوانات مصابة تؤكل، أو عبر دم حيوان، أو دم بشرى، مصاب، أو على جلد أو صوف حيوانات مصابة.

لكن ألانثراكس الذى استعمل بعد أسبوع من هجوم ١١ سبتمبر من نوع «أيمز» الذى طوره علماء الأسلحة الجرثومية من بقرة أصيبت به فى تكساس سنة ١٩٨١، وصار من أخطر أنواع الأسلحة الجرثومية.

قبل ذلك كان هؤلاء العلماء يستعملون نوع «فولام» من بقرة أصيبت به فى أكسفوردشير (بريطانيا) سنة ١٩٣٥، وأحضر علماء أميركيون كميات منه إلى مصنع انثراكس بالقاعدة العسكرية الأميركية فى فورت دتريك (قلعة دتريك) بولاية ماريلاند. فى البداية اعتقد الـ «إف. بى. آى» ان الذين خططوا لهجوم ١١ سبتمبر بالطائرات هم الذين خططوا لهجوم ١٨ سبتمبر بمادة الانثراكس.

وزاد خوف الأميركيين من هجوم إرهابى كيماوى. ونشرت الصحف أن الرئيس بوش ونائبه شينى ضغطا على محققى «إف بى آى» ليعلنوا لأميركا والعالم ان الإسلاميين المتطرفين وراء ما حدث. لكن بعد تحقيقات فى ست قارات ومقابلة ٩ آلاف شخص وإجراء ٧٠ تحقيقا وإصدار ٦ آلاف استدعاء قانونى لم يبرهن محققو «إف بى آى» أن الإسلاميين المتطرفين وراء الحادث بل ولم يعرفوا من وراء الحادث.

بدأت التحقيقات فورا بعد الهجوم الأولى وبعد عام من الهجوم الجرثومى نشرت مجلة «نيو ساينتست» أن محققى «إف بى آى» يعتقدون أن مصدر الانثراكس هو «يوسامريد» (اختصار اسم: «مركز الأمراض المعدية التابع للأبحاث الطبية التابعة للجيش الاميركى») وهو يقع بقاعدة «فورت دتريك» العسكرية والتى تهكما يسميها بعض العاملين فيها وبعض جيرانها «فورت دوم» (قلعة يوم القيامة) وهى قريبة من واشنطن العاصمة. وتعد أكبر مركز فى العالم لصناعة الأسلحة الجرثومية.

وهكذا بمجرد أن ذهب محققو «اف بى آى» الى «فورت دتريك» للتحقيق فى مصدر هجوم الأنثراكس صار المتهم الأول هو مصنع انثراكس. ركز المحققون على ٣ علماء هناك:

❖ **الأول**: د. ستيفن هاتفيل. راقبه محققو «إف بى آى» لخمس سنوات. وفى السنة الأخيرة أعلنوا انهم لم يجدوا أدلة ضده. فرفع قضية تعويض للمضايقات النفسية والإساءة للسمعة. وكسب ستة ملايين دولار.

❖ **الثانى**: د. فيليب زاك لكنه كان فصل قبل الهجوم بعشر سنوات. غير أنه صار من علماء الأسلحة الجرثومية الذين يطالبون القوات الاميركية المسلحة بوقف إنتاجها ووقف تخزينها. ولم يجد المحققون شيئا ضده.

❖ **الثالث**: د. بروس آيفينز. عمل فى المكان لعشرين سنة تقريبا. وبعد تحقيقات معه استمرت اربع سنوات وجد منتحرا.

وقالت ابنته (مثلما قال زملاؤه فى المعمل) إنه برىء. وأنه انتحر بسبب ملاحقات ومضايقات محققى «إف بى آى» له.

وما زاد من غضب أسرة وأصدقاء الدكتور ايفينز أن مكتب التحقيقات الفيدرالية أعلن لاحقا خلال نهاية الأسبوع أن القضية أغلقت وأن هناك أدلة كافية لإدانة الدكتور ايفينز موضحة أنه خلال سنوات التحقيق والمراقبة السبع كان سلوكه مثيرا للريبة وغير طبيعى كما أن نوع الانثراكس

الذى استخدم فى هجمات أميركا خرج من معمله مشيرة إلى أنه لو لم ينتحر لكانت (إف بى آى) وجهت اليه اتهامات رسمية.

وذكرت شبكة التلفزيون الأميركية (إن بى سى) أن فحوص الحمض النووى الريبى (دى إن إيه) التى أجريت على المسحوق الأبيض الذى عثر عليه فى ظروف تنطبق على عصية الجمرة الخبيثة التى تستخدم فى مختبر للنخبة للأبحاث حول الأسلحة البيولوجية فى فورت ديتريك فى ولاية مريلاند. وكان ايفينز يعمل فى هذا المختبر الذى لا يسمح سوى لحوالى عشرة أشخاص بالوصول إلى هذه البكتيريا فيه.

وأشارت أدلة أخرى إلى احتمال تورط هذا العالم. فقد تحدثت صحيفة «نيويورك تايمز» نقلا عن «شخص مطلع على مجرى التحقيق طلب عدم كشف هويته» عن صندوق بريد استأجره ايفينز ولكن باسم مستعار وشهادات ذكرت أن العالم كان يبقى فى المختبر حتى ساعة متأخرة من الليل فى فترة وقوع الهجمات.

أما صحيفة «واشنطن بوست» فقد جمعت شهادات أشخاص قالوا إن عوارض اضطرابات عقلية بدأت تظهر على ايفينز مؤخرا.

وأضافت إنه أدخل الى مستشفى من أجل فحص حالته العقلية فى العاشر من يوليو وهو اليوم نفسه الذى سحب فيه رؤساؤه منه تصريح الدخول إلى عدد من المواقع الحساسة فى المختبر «نظرا لتدهور حالته النفسية».

ونقلت «نيويورك تايمز» التى نشرت نص تصريحات طبيبته النفسية إلى هيئة محلفين أنه وصف لمجموعة من الأطباء النفسيين «خطة مفصلة جدا لقتل زملائه لأنه كان على وشك أن يتهم بخمس جرائم قتل».

وقالت مديرة برنامج مركز فريديريكس للطب النفسى فى مريلاند «جين دالى» إن «تشخيص حالته من قبل عدد من الأطباء النفسيين يفيد أنه قد يكون قاتلا مهووسا».

وكان هذا المركز وراء صدور قرار الحد من المواقع التى يمكنه دخولها فى المختبر وقرار إدخاله المستشفى.

وأكد بول كيمب الذى كان محامى ايفينز «كان يتعاون منذ ست سنوات مع التحقيق ويساعد الحكومة فى كل الأسئلة التى تطرحها».

وأضاف أن «الضغوط المتواصلة التى تعرض لها بسبب هذه الاتهامات والتلميحات هى التى أدت به إلى الموت».

وقالت وزارة العدل الأميركية فى بيان إن «التحقيق الذى يحمل اسم (اميريتراكس) واحد من أكثر القضايا تعقيدا واتساعا». ويقوم به «١٧ من العناصر الخاصين فى مكتب التحقيقات الفيدرالى وعشرة مفتشين فى البريد».

وكان هؤلاء قد رسموا صورة للقاتل: عالم محنك يعمل بمفرده أو يستفيد من تواطؤ آخرين يقيم على الأراضى الأميركية وعلى علم تام بوسائل معالجة عصيات الجمرة الخبيثة الخطيرة.

إلا أن أسرة الدكتور ايفينز وآخرين كان لهم موقف مختلف تماما وهو أن تحقيقات الاعوام الماضية لم تثبت أى شىء مؤكد ضده فلماذا فقط أعلن (إف بى آى) توجيه اتهامات رسمية لـ ايفينز بعد انتحاره وبعدما غاب ولم يعد بمستطاعه الدفاع عن اسمه وعن نفسه وكما أن هناك قضايا كثيرة تظل غامضة لا يكشف عن حقيقتها فإن قضية هجمات الجمرة الخبيثة فى أميركا أو الانثراكس ربما تكون من هذه القضايا.. خاصة بعد انتحار الشخص الوحيد الذى كان يمكن أن يحل ألغازها.

يعتقد ان الـ «انثراكس» هو الطاعون السادس الذى أشارت إليه التوراة اذ يقول سفر الخروج فى التوراة: «ثم قال الرب لموسى وهارون: خذا ملء أيديكما من رماد الأتون. وليذره موسى نحو السماء أمام عينى فرعون. ليصير غبارا على كل أرض مصر. ويصير على الناس وعلى البهائم. دمامل طالعة ببثور فى كل أرض مصر. فأخذا رماد الأتون ووقفا أمام فرعون وذره

موسى نحو السماء.

فصار دمامل بثور طالعة فى الناس والبهائم. ولم يستطع العرافون أن يقفوا أمام موسى من اجل الدمامل لأن الدمامل كانت فى كل العرافين والمصريين».

وأشار الى الـ «انثراكس» هوميروس المؤرخ اليونانى الشهير. ويعتقد أنه انتشر مع «الطاعون الأسود» الذى اجتاح أوروبا فى القرن الرابع عشر وقتل ثلث الأروبيين.

وفى سنة ١٨٧٧ اكتشف الألمانى روبرت كوخ جرثومة الـ «انثراكس» فى تربة مراع كانت ترعى فيها أبقار.

وفى سنة ١٨٨١ اكتشف الفرنسى لويس باستور العلاج للحيوانات والناس. وبعد عشرين سنة بدأ علماء عسكريون يستخرجونه فى المعامل لإنتاج أسلحة جرثومية.

وخلال الحرب العالمية الثانية أنتج المصنع خمسة آلاف قنبلة جرثومية أغلبيتها من الـ «انثراكس».

وخلال سنوات الحرب الباردة عندما وقع الرئيس نيكسون اتفاقية حظر إنتاج الأسلحة البيولوجية والكيماوية مع الاتحاد السوفيتى تحول المكان إلى إنتاج «أسلحة دفاعية» لكن الـ «انثراكس» ظل موجودا فى المكان ويعمل فيه ثمانية آلاف شخص تقريبا معظمهم من العلماء العسكريين والمدنيين.

وقبل سنوات قليلة اكتشف علماء فى نفس المكان أخطر أنواع الـ«انثراكس». ويسمى «رستون» ويستخرج من نوع نادر من انواع القرود ويوجد بجنوب شرقى آسيا.

انتحار عالم الأحياء الدقيقة الأمريكى بروس إيفينز الذى كان يعمل فى مختبرات الجيش الأمريكى فى فورت ديتريك قد ينهى لغز حادثة الجمرة الخبيثة (Anthrax) التى أثارت هلع العالم قبل بضع سنوات. وهو يشكل دراما مثيرة اختلطت فيها الأوراق فخرج الإرهاب الذى كان المتهم الأول

بريئا وخرج علماء مجندون للدفاع عن الوطن متهمين أو مدانين.

وسرعان ما تركزت الشكوك حول أحد العلماء الذين يعملون بمختبرات فورت ديتريك، وهو العالم ستيفين هاتفيل، حيث تم اعتباره مشتبها وتم تسليط التحريات عليه و تفتيش سكنه. وأنكر هاتفيل أى علاقة بخطابات الجمرة الخبيثة، ثم رفع قضية رد اعتبار ضد الحكومة الأمريكية فى عام ٢٠٠٣م.

وقد صدر الحكم بعد عدة سنوات ببراءة هاتفيل كما أقرت وزارة العدل فى شهر يونيو الماضى ٢٠٠٨ بدفع ٤,٦ مليون دولار تعويضا له.

ومع ذلك لم تنته شكوك المحققين حول العلماء العاملين فى فورت ديتريك بل اتجهت إلى عالم آخر هو الدكتور بروس إيفينز.

الغريب أن إيفينز كان فى البداية بعيدا تماما عن الشكوك وعلى علاقة ودية مع فريق التحريات بل كان متعاونا معه.

ثم بدأ الوضع يختلف قبل حوالى عامين حين أخذت التحريات تتجه نحوه بشدة كلاعب رئيس، بل وحيد، فى جريمة الرسائل المفخخة وتم إبلاغه بنية وزارة العدل توجيه اتهام رسمى إليه بتهمة الضلوع فى حادثة الرسائل القاتلة.

وكان إيفينز قد قضى آخر ١٨ عاما من عمله بمختبرات فورت ديتريك على إنتاج لقاح للجمرة الخبيثة لصالح الجيش الأمريكى.

وقد تم إنتاج اللقاح وتجريبه على الجنود ولكن ظهرت له بعض المضاعفات التى عرقلت اعتماده. وربما كان إحساسه بفشل مساعيه فى إنتاج اللقاح الآمن من الدوافع التى قادته إلى ارتكاب جريمة الرسائل المفخخة لكى يجذب الانتباه حول أهمية عمله وأهمية إيجاد لقاح للجمرة الخبيثة.

كان للعلم دور كبير فى ربط الفصيلة الفريدة لبكتيريا الجمرة الخبيثة التى تم عزلها من الرسائل والحالات المصابة بالفصيلة التى وجدت فى مختبر إيفينز والتى عمل هو على تطويرها، ولم تكن متاحة لأحد سواه.

وقد تميزت هذه الفصيلة بطفرات معينة تم التعرف عليها عام ٢٠٠٥، وكان العثور على هذه الفصيلة بحوزته، فى نظر المحققين، بمثابة العثور على سلاح الجريمة.

وقد تبين لفريق التحرى أن إيفينز حاول تضليل التحريات بإعطاء المحققين فصائل مختلفة لاختبارها وكذلك بمحاولته تلبيس التهمة على غيره من العاملين فى نفس المختبرات.

بل إن توقيت إرسال الرسائل المفخخة عقب أحداث الحادى عشر من سبتمبر مباشرة كان من أنجح وسائل التمويه. وقد تتالت الملابسات التى تؤيد ربط إيفينز بالحادثة، مثل قضائه ساعات متأخرة فى المعمل خلال الأسابيع التى سبقت إرسال الرسائل المفخخة. ومثل كتابته رسالة لأحد أصدقائه استخدم فيها عبارات شبيهة بتلك العبارات المستخدمة فى الرسائل المفخخة.

ومثل استعماله بكثرة لجهاز التجفيف بالتبريد لتحضير مسحوق البكتيريا القاتلة. وقد انتهى التحرى إلى إثبات أن الأظرف المستخدمة فى الرسائل المفخخة بيعت فى مكتب البريد الكائن فى فورت ديتريك حيث يقع صندوق البريد الخاص بإيفينز.

ومع تكثيف التحريات حوله أخذت حالة إيفينز النفسية فى التدهور واتجه إلى الإفراط فى تناول المسكنات وشرب المسكرات بل استعمال المخدرات مما اضطره للخضوع للعلاج النفسى مرتين بالمستشفى.

وأخذت تصدر عنه تصرفات غريبة وتهديدات بالقتل لزملائه فى العمل. ومع ذلك فقد تمسك هو ومحاموه ببراءته من حادثة رسائل الجمرة الخبيثة القاتلة.

■ ■ ■

9

الطاعـــون..

ما أشبه اليوم بالبارحة!!



الموت الأسود هو الاسم الذى عرف به وباء الطاعون على مر التاريخ بسبب سرعة انتشاره، وفتكه بعشرات الملايين من البشر.

ويقول الأستاذ الدكتور عبد الهادى مصباح الخبير البيولوجى المعروف إن اليابان كانت فى طليعة الدول التى كانت تجرى أبحاثا على إنتاج الأسلحة البيولوجية واستخداماتها فى الحروب فى الفترة التى سبقت، وأثناء الحرب العالمية الثانية وحتى نهاية الحرب فى عام ١٩٤٥، وأمام محكمة مجرمى الحرب اعترف العلماء اليابانيون الذين تم أسرهم بعد انتهاء الحرب واستسلام اليابان بأنهم استخدموا الأسلحة البيولوجية فى ١٢ محاولة أثناء الحرب، وذلك أثناء هجومهم على ١١ مدينة صينية، وكانت الأنهار والآبار ومصادر المياه والطعام هى الهدف من وراء هذه الهجمات من خلال بكتيريا الأنثراكس، الكوليرا، السالمونيلا، الشيجيلا، وكذلك ميكروب الطاعون.

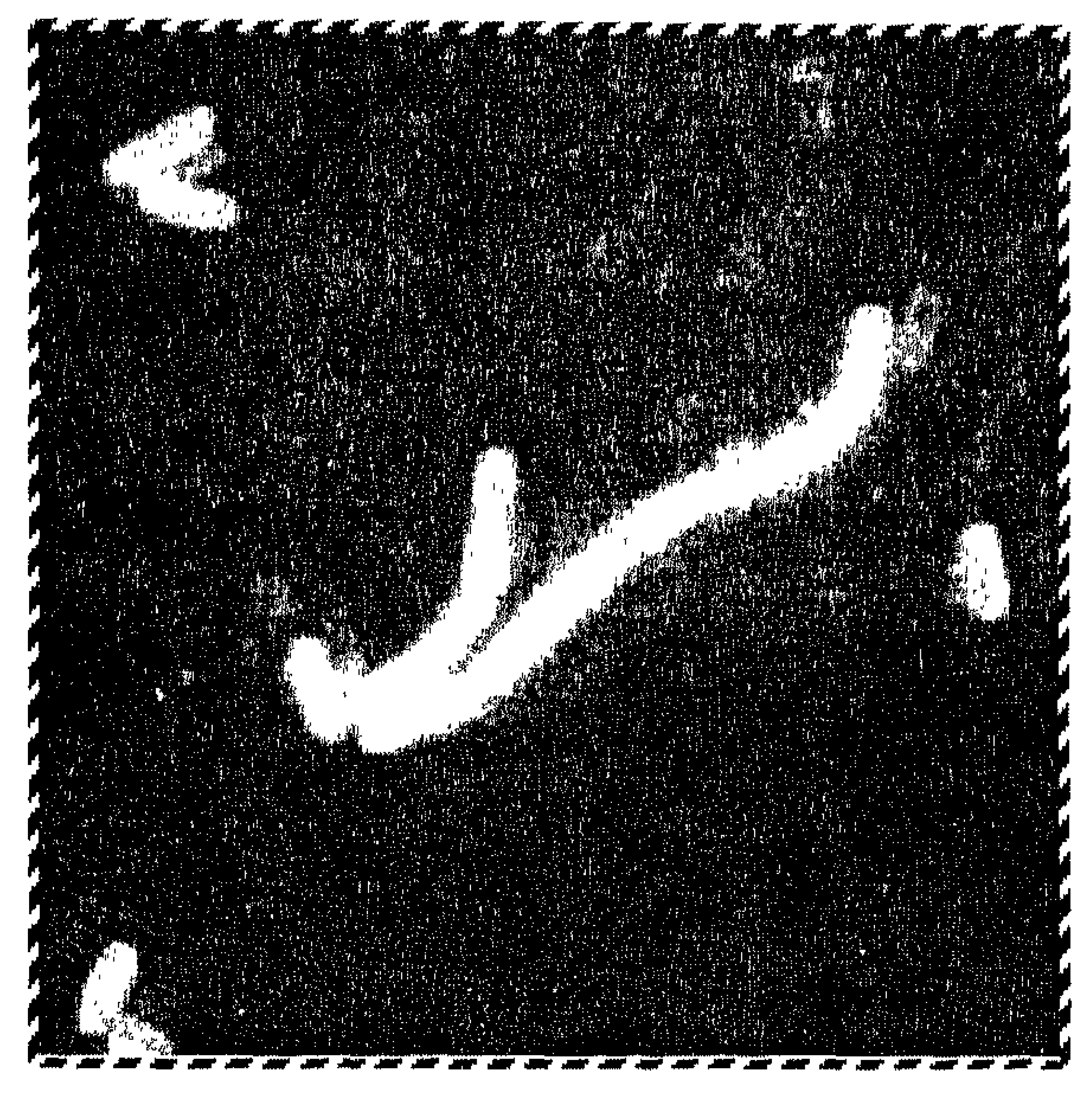
ويضيف دكتور عبد الهادى مصباح فى مقال علمى له نشر بصحيفة الأهرام تحت عنوان: «حوادث وأحاديث عن الطاعون»: كانت الطائرات فى بعض الأحيان تطلق هذه الأنواع من البكتيريا على شكل «إسبراى» أى «رذاذ يتم رشه» من الجو ليستنشقه الناس ويصابوا بالعدوى.

وكان اليابانيون يربون الفئران التى تحمل ميكروب الطاعون ثم يتركون البراغيث تتغذى عليه لتحمل الميكروب، ثم بعد ذلك يتم تجميع هذه البراغيث المحملة بالعدوى. ويتم إطلاقها على بعض المدن الصينية بواسطة اليابانيين، الذين كانوا يطلقون ما يقرب من ١٥ مليون برغوث محمل بميكروب الطاعون من الجو فى كل هجمة من هجماتهم.

وفى ٥ مايو عام ١٩٩٥ أرسل لارى هاريس الذى كان يعمل اخصائيا فى أحد معامل الميكروبيولوجى بأمريكا فى طلب ٣ زجاجات من بكتيريا الطاعون من مركز تجميع العينات ATCC بميرلاند، ووافقوا بالفعل على إرسال الطلب له إلا أن إلحاحه ومكالماته اليومية لاستعجال الطلب جعلهم

يشكون فى تصرفاته، وتم الابلاغ عنه.

وأثناء التحقيق معه تبين أنه عضو فى منظمة إرهابية عنصرية وأنه كان سوف يستخدم هذه البكتيريا فى عملية إرهابية، حيث كان ينوى وضع هذه البكتيريا فى كرة زجاجية توضع تحت عجلات القطار فى مترو انفاق نيويورك، وعندما يأتى القطار سوف تتكسر وينطلق الميكروب الذى سوف يستنشقه مئات الآلاف.



جرثومة الطاعون

وربما يسبب موتهم وسوف تشير أصابع الاتهام آنذاك إلى العراق، وفى عام ١٩٨٩ هرب العالم السوفيتى فلاديمير باسيتشنك إلى انجلترا، وكان هذا العالم أحد أهم العلماء السوفيت فى مجال الميكروبيولوجى وتصنيع الأسلحة البيولوجية وأفشى أسرارا كشفت النقاب عن ترسانة الأسلحة البيولوجية فى الاتحاد السوفيتى التى نمت وترعرعت فى السبعينيات والثمانينيات، والتى كانت كل من المخابرات الأمريكية والبريطانية تحاول الوصول إلى تفاصيلها، إلا أن التفاصيل الكاملة التى أدلى بها باسيتشنك

أظهرت غير ذلك.

فقد كشف النقاب عن برنامج التسليح البيولوجى الذى يجرى من أجل أغراض عسكرية داخل معاهد الأبحاث المدنية التى تسمى بيوبريبارات التى بدأت فى عام ١٩٧٣م.

ثم نمت وترعرعت فى فترة السبعينيات والثمانينيات، وكان لها ٥٢ مركزا بحثيا وموقعا وخمسة مصانع ضخمة، وقد كشف باسيتشنك بعض الأسرار الخاصة بتصنيع قنابل جرثومية من ميكروبات معروفة مثل الطاعون، بعد تعديلها جينيا باستخدام الهندسة الوراثية، بحيث لا يجدى معها استخدام التطعيم المتداول الذى يقى من الطاعون، كما لا يجدى معها أى من ١٦ نوعا من أشهر المضادات الحيوية المستخدمة فى الغرب لمقاومة مثل هذا النوع من البكتيريا.

وبالتالى إذا سقطت قنبلة من هذا الطاعون السوبر على مدينة بها ١٠٠ ألف مواطن ـ فإن نصفهم سوف يموت فى خلال ساعات قليلة أو على الأكثر أيام.

والطاعون مرض معد قديم تسبب فى كثير من الأوبئة التى حصدت الملايين فى العصور القديمة والوسطى، وكان يسمى بالموت الأسود نظرا لانتشار بقع نزفية منتشرة تحت الجلد من ضمن ما يحدثه من أعراض، ومع ظهور أى وباء جديد قاتل مثل الإيدز يطلقون عليه طاعون العصر إشارة لما يمكن أن يسببه من خسائر فى الأرواح.

وسبب الطاعون نوع من البكتيريا تسمى يرسينيابستس نسبة إلى مكتشفها الأول أليكساندر بستس وهذه البكتيريا تحتفظ بها القوارض مثل الفئران، وتتكاثر بداخلها وتنمو وتنتقل عدواها إلى الإنسان عن طريق البراغيث التى تلدغ الفأر المعدى ثم تلدغ الإنسان، أو نتيجة عض الفئران

المعدية للإنسان بشكل مباشر، أو من إنسان إلى آخر بشكل مباشر أيضا عن طريق الرذاذ والكحة والعطس فى حالة الطاعون الرئوى.

وفترة الحضانة ما بين التقاط العدوى وظهور الأعراض المرضية تتراوح مابين ٢ ـ ٦ أيام حسب نوع الطاعون وهناك ثلاثة أنواع معروفة من الطاعون:

١ ـ طاعون الغدد الليمفاوية ويمثل نحو ٨٤٪ من الإصابات بالطاعون، ويحدث عندما يلدغ البرغوث المعدى الإنسان بعد أن يلدغ الفأر المصاب بالعدوى، فينقل إليه عدوى بكتيريا الطاعون، التى تتكاثر وتنتشر فى مكان اللدغة، ثم تنتشر عن طريق السائل الليمفاوى إلى الغدد الليمفاوية (الحيل) الموجودة فى هذه المنطقة، ثم الموجودة فى الجسم كله، مما يسبب تضخما فى الحجم، وارتفاعا فى درجة الحرارة، وحدوث آلام شديدة بها، وأحيانا تقرحات، ونزف.

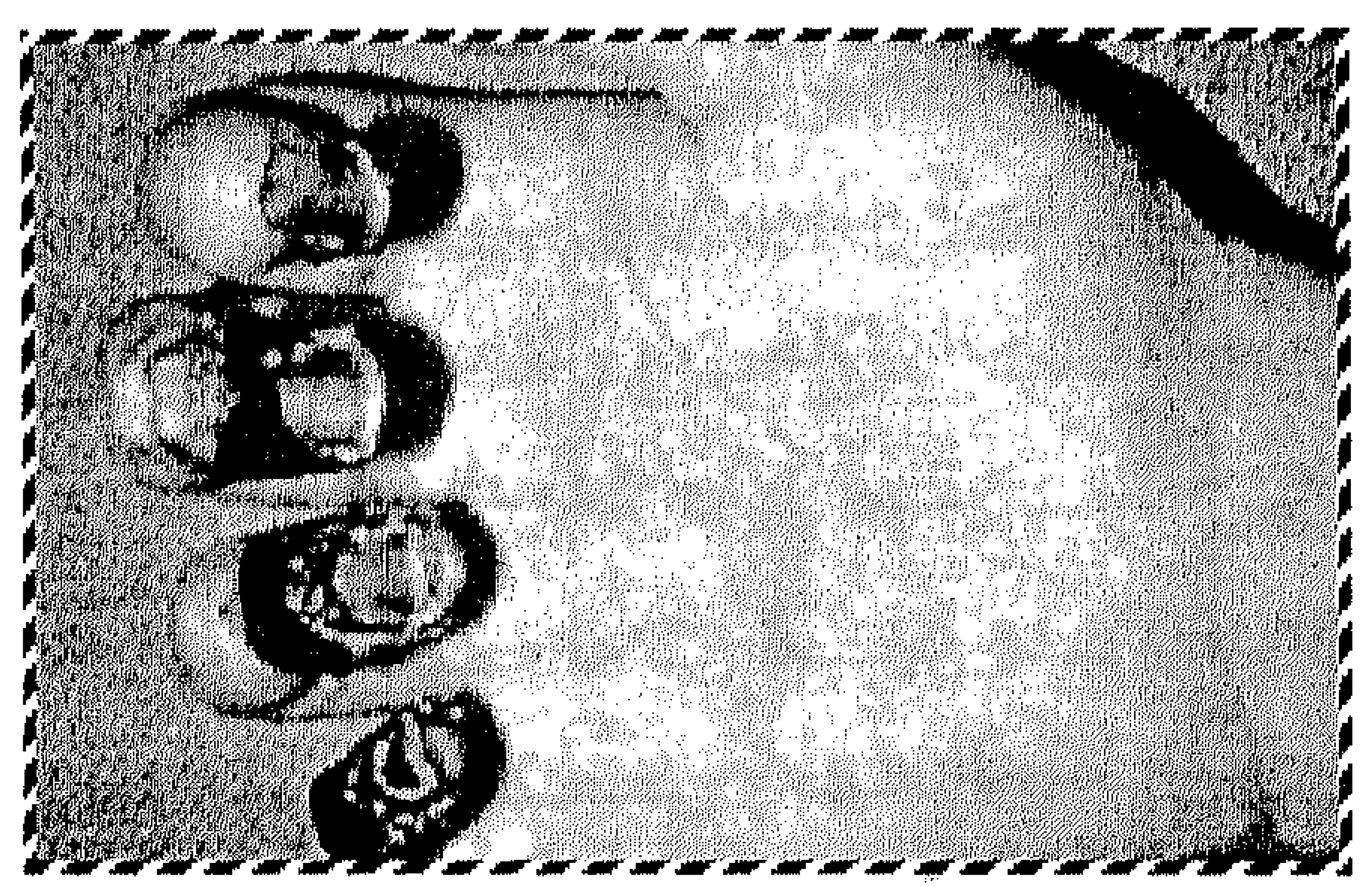
وفى هذه الأثناء تفرز بكتيريا الطاعون سموما خطيرة تسبب مضاعفات قد تنتهى بالموت. وهذا النوع يمكن علاجه اذا تم اكتشافه فى مرحلة مبكرة، ويوجد له تطعيم ولقاح واق.

٢ ـ طاعون تلوث الدم ويحدث فى ١٣٪ من حالات العدوى، نتيجة المضاعفات التى تحدث من النوعين الآخرين من الطاعون، حيث تسبب العدوى البكتيرية تلوثا فى الدم، وتبدأ السموم الداخلية إندوتوكسين للبكتيريا تنتشر فى الدم وتحدث حالة متناقضة من التجلطات داخل الأوعية الدموية، والنزيف الذى قد يظهر على شكل بقع نزفية غامقة تحت الجلد (وهو ما أعطاه اسم الموت الأسود) أو من أماكن مختلفة من الجسم داخليا وخارجيا، كحة أو قىء مصحوب بدم، مع حدوث أعراض التسمم، واستخدام المضادات الحيوية مثل: ستريبتومايسين، جنتامايسين، كينولونز، دوكسى سيللين فى مرحلة مبكرة يقلل من نسبة حدوث الوفيات لتصل إلى

٤ ـ ١٥٪ والأشـخـاص الذين يمـوتون من هذا النـوع يمـوتون في نفس يوم ظهور الأعراض المرضية عليهم.

٣ ـ الطاعـون الرئوى وهـو أخطر أنـواع الطاعـون، وتنتـقل عـدواه عن طريق استنشاق الرذاذ المعـدى أثناء العطس والكحـة من انسـان مصـاب بالعدوى إلى إنسان آخر بشكل مباشر، ويمثل نحو ٣٪ من حالات العدوى، وتتـراوح فتـرة الحضـانة لهـذا النوع مـا بين ١ ـ ٤ أيام، وهو أخطر أنواع الطاعـون، ولا يوجـد له تطعيم، وهذا النـوع هو الذى يسـتـخـدم كسـلاح بيولوجى، وأعراضه تتمثل فى ارتفاع فى درجة الحرارة، صداع ـ إحساس بالضعف والهزال ـ كحة ـ ضيق تنفس ـ سعال أو قىء مصحوب بدم. ونسبة الوفيات من هذا النوع من الطاعون تتراوح ما بين ٥٠ ـ ٩٠٪ ويتم تشخيص مرض الطاعـون عن طريق تحليل PCR من أجل اكتشاف الحامض النووى للبكتيريا المسببة للطاعون.

كما يمكن فحص البكتيريا وعزلها وصباغتها بصبغة رايت جيمسا ورؤيتها تحت الميكروسكوب، وطرق الوقاية تتمثل فى القضاء على القوارض والبراغيث، وعدم تجميع المخلفات والقمامة والرش وأكرر دائما وأقول إن النظافة والتخلص مما يسبب هذه الأوبئة هى مسئولية الجميع وليست مسئولية الصحة وحدها.



يد مصابة بالطاعون

والمعروف أن الفئران تلعب دورا خطيرا فى نقل مرض الطاعون للبشرالموت الأسود هو الاسم الذى عرف به مرض الطاعون على مر التاريخ لسرعة انتشاره وقضائه على عشرات الملايين من البشر.. وهذا ما يسبب الرعب لدى الكثيرين بمجرد علمهم بأنه ظهر على الحدود الغربية لمصر.. وهذا يجعلنا نطرح الكثير من التساؤلات حول طرق الانتشار الوبائى لهذا المرض القاتل واحتمالات الوقاية منه وعلاجه.

فى البداية يؤكد الدكتور مدحت الشافعى أستاذ المناعة الاكلينيكية بجامعة عين شمس أن الطاعون مرض له قدرة على الانتشار فى صورة وباء لمختلف مناطق العالم، ذلك بمجرد أن يصاب به شخص واحد فيكون من السهل انتشاره بين المخالطين له فينتقل بالرذاذ فى الهواء ليحدث التهابا رئويا حادا للمصاب، وتكون خطورته الأكبر أن أعراض الاصابة بالميكروب لا تظهر مباشرة بمجرد الاصابة ولكنها تحتاج وقتا ينقل للمصاب خلاله الميكروب بين المخالطين له أو إلى الأماكن التى ينتقل اليها فى العمل أو الترحال، وهذا يفسر سرعة انتشار الطاعون فى مسافات بعيدة.

ويضيف أستاذ المناعة والخبير البيكتيريولوجى الكبيرأن هناك أنواعا من الطاعون منها اثنان أساسيان. الأولى ينتقل عن طريق الهواء، ويصيب الرئتين فى صورة التهاب رئوى حاد، والثانى: يصيب الغدد الليمفاوية ويحدث بها تورما والتهابا وهو ينتشر بالهواء أو التنفس والرذاذ، ولكن إذا تقرحت الغدد وظهر الميكروب على سطح الجلد فإنه يمكنه أن يعدى الآخرين فى حالة التلامس ليدخل من خلال الجلد المجروح، ولكنه عادة لا يصيب الرئتين إلا عن طريق الدم.

ويشير الباحث فى مساهمة له فى تحقيق علمى بعنوان «الطاعون قادم من الغرب! » أجراه الزميل الصحفى وجيه الصقار، إلى أن أهم أعراض الطاعون الرئوى تظهر فى صورة حمى شديدة وسعال، وضيق وسرعة فى

التنفس، وآلام بالصدر ورعشة مستمرة ويكون البصاق مختلطا بالدم، وأن تدهور الحالة يعنى إصابة المريض بالفشل التنفسى، وصدمة دموية بكتيرية، وإعياء شديد وآلام بالعضلات حيث ترصد منظمة الصحة العالمية سنويا نحو ٣ آلاف حالة سنويا من المصابين بالمرض على مستوى العالم، لذلك فإن الوعى والمتابعة الصحية ضرورية بتناول المضادات الحيوية ولمدة أسبوع عندما تظهر بعض الأعراض والمؤشرات بالإصابة أو احتمالات الإصابة، وينصح الدكتور مدحت الشافعى بضرورة استخدام المضادات الحيوية مبكرا كلما كان هناك مؤشر يحتمل الإصابة ويفضل أن يبدأ من اليوم الأول لهذه الإصابة أو التعرض لظروف العدوى، ويمكن استشارة الطبيب حول نوعية المضاد الحيوى المناسب لحساسية الميكروب وهى نحو ٦ أنواع أساسية مشهورة.

وفى هذه الحالة يجب أن يحرص المخالطون للمرضى على استخدام الماسكات على الفم والوجه مثلما الحال مع مرض انفلونزا الخنازير، وتعريض المنطقة التى ينتشر بها المرض للشمس باستمرار لأن أشعتها تقضى على الطاعون.

وقال: إن تشخيص الإصابة بمرض الطاعون الرئوى يكون بأخذ عينة من البصاق المائى أو المدمم، أو عينة دم من المصاب، وبالنسبة للطاعون الليمفاوى أو الغددى يمكن أخذ عينة من الغدة المتورمة بالسحب من خلال حقنة، وترسل العينات إلى المعامل الرئيسية للتعرف على النتيجة فإذا كانت إيجابية يوضع المريض تحت الملاحظة لمدة ٢٤ ساعة، ذلك أن الطاعون مرض وبائى ظهر فى مصر على سنوات متباعدة وفى أمريكا التى سجلت فى مناطقها الغربية الجنوبية إصابات تمثل ١٥٪ من مواطنى هذه الولايات، وذلك لوجود حيوان السنجاب المشابه للفأر فى هذه المناطق حيث يسهل اصابته بالمرض ونقله للسكان، وأضاف أن الفئران تلعب دورا خطيرا فى نقل المرض للبشر فهى بمثابة المستودع الرئيسى والوسيط الطبيعى للإصابة

بالمرض فينتقل منها عن طريق البراغيث، وفى حالة موت القوارض تنتقل العدوى للانسان أيضا عن طريق البراغيث، لذلك فإن مكافحة القوارض والبراغيث أساس مواجهة هذا المرض.

ويشير د. محمد فتحى عبدالوهاب رئيس الجمعية المصرية للحميات والأمراض المعدية إلى أن هناك ٣ أوبئة خطيرة وشهيرة فى تاريخ هذا الطاعون الأول: فى منطقة الشرق الأوسط وحوض المتوسط خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين حيث قتل نحو نصف سكان المنطقة والوباء الثانى ضرب أوروبا ما بين القرنين الثامن والرابع عشر وأدى الى وفاة نحو ٤٠٪ من السكان، والثالث: بدأ فى الصين فى عام ١٨٥٥، ومنها انتشر لأنحاء قارات العالم وقضى على ملايين البشر وترجع خطورته الى صعوبة اكتشافه فى بداية الإصابة إذ أن فترة حضانته ما بين ١٥ ـ ٦٧ يوما فى الطاعون الغددى ومن ٣ ـ ٤ أيام للطاعون الرئوى. حيث تسمى بكتيريا الطاعون بالبكتيريا البرسينية نسبة لمكتشفها الذى عزل الميكروب المسبب للطاعون واستحدث علاجا كمصل مضاد للمرض وهو الذى كشف عن أن الفئران والبراغيث هى مصدر الإصابة وانتشار الوباء وذلك فى عام ١٨٩٤ عندما انتشر الوباء بأوروبا.

كما ترجع خطورة هذا المرض والوباء الى استحالة إزالته أو القضاء عليه مثل شلل الأطفال حيث ينتشر بالفعل فى ملايين الحيوانات وتنقله البراغيث التى تعيش على أجساد هذه الحيوانات، ويرى الباحث ضرورة الوعى بأخطار هذا المرض ووسائل مواجهته وحتى لا ينتشر الطاعون، وذلك بالقضاء على البراغيث وعدم التعرض للدغها، أو مخالطة مرضى الطاعون، والحذر والحيطة من مضاعفات المرض فى حالة الإصابة والتى تصل لدرجة الإصابة بالتهاب حاد سحائى، وهبوط حاد فى ضغط الدم ويتطور الى التهاب بالأغشية المحيطة بالقلب.

10

مختبرات الموت الأمريكية
وسر الجمرة الخبيثة!!



بعد تفشى الجمرة الخبيثة فى العالم، قال العلماء وسلطات تطبيق القوانين، إن مكتب المباحث الفيدرالى، «إف بى آى» قرر توسيع مدى تحقيقاته حول هجمات الجمرة الخبيثة القاتلة، لتشمل المختبرات الحكومية والمتعاقدين معها لأنها يمكن أن تكون مصدرا محتملا للجمرة الخبيثة نفسها أو لمعلومات حول من يستطيع أن يصنعها.

وبينما كانت النظريات حول هذه المصادر تنحصر حتى الآن فى أفراد فى الداخل يعملون منفردين، أو فى مجموعات غيرها أو حكومات أجنبية، إلا أن سلطات تطبيق القانون كانت تبحث احتمال أن يكون الجانى شخصا يعمل داخل المؤسسات الحكومية نفسها ويتمتع بمعرفة علمية تؤهله صنع الجمرة الخبيثة.

وعندما سئل أحد المسؤولين فى مجالات تطبيق القوانين، حول ما إذا كان «إف بى آى»، سيخضع للتحقيق المعامل العسكرية وغير العسكرية التى كانت لديها عينات من مسحوق الجمرة الخبيثة شبيهة بتلك التى أرسلت إلى الأفراد وإلى بعض العاملين بهذه المراكز نفسها، أجاب بأن ذلك سيحدث: «بالتأكيد، فنحن نقوم بتحقيقات دقيقة وقاسية باحثين عن أى خيط وعن أى مدخل».

ولا تعرف حتى الآن أية معلومات دقيقة حول التحقيقات الداخلية. ولكن عناصر من السلطات الفيدرالية شرعت فى التحقيق مع أشخاص من المؤسسة العسكرية، التى حلت محل البرنامج القديم لصناعة الأسلحة البيولوجية.

وتعتبر المؤسسات التى تخضع للتحقيق فى ميريلاند الغربية، المتعامل الأساسى مع عينة «أميس» من الجمرة الخبيثة، التى حددها المسؤولون الفيدراليون بأنها العينة الأكثر خطورة والتى أدت الى قتل ٥ من الأشخاص الذين تعرضوا لاستنشاق المسحوق.

. وقال الكولونيل آرثر فريدلاندر، كبير الباحثين بمختبر الدفاع البيولوجى التابع للجيش، ومقره فورت ديتريك، بولاية ميدلاند، فى مقابلة معه، إن المسؤولين يتعاونون مع المحققين الفيدراليين.

وقال وهو يتحدث بتردد شديد: «سألونا عن الموظفين الذين يتعاملون مع المسحوق. لم يسألونى عن خبراتى الشخصية بل استفسروا فقط عن الآخرين». وفريدلاندر هو من كبار خبراء الجمرة الخبيثة.

ويستبعد فكرة المصدر الداخلى للجمرة، وقال إن من أرسلوا المسحوق، وبصرف النظر عن هويتهم «كانوا يعرفون تماما ما يفعلون. ولكن القفزة من ذلك لاستنتاج أن من قام بذلك الفعل موجود فى مختبر حكومى، تعتبر قفزة كبيرة أكثر من اللازم».

وقال إنه لا يرى من بين العاملين فى مؤسسته: معهد أبحاث القوات المسلحة للأمراض المعدية، من يعرف كيف يصنع المسحوق الجاف للجمرة الخبيثة الذى استخدم فى هذه الهجمات.

وقال إن العلماء فى معهده الرائد فى مجال الدفاع الجرثومى، يستخدمون المسحوق المبتل الذى يسهل صنعه ويستخدم فى تطوير الأمصال واختبار مدى فاعليتها. وأضاف الكولونيل فريدلاندر «منذ فترة طويلة لم ننفذ برنامجا عدوانيا ولا يوجد لدينا من لديه الخبرة الضرورية لهذا العمل».

ويقال إن هناك حوالى العشرة من المعامل الأميركية تملك عينة «أميس»، ولكن لا يوجد من يعرف على وجه الدقة عدد هذه المعامل لأن الباحثين ظلوا طوال العقود يتبادلون المعلومات والجراثيم المسببة للأمراض مثل الجمرة الخبيثة.

ولا شك أن المعامل العسكرية مثل ذلك الذى فى «فورت ديتريك»، بالإضافة إلى المتعهدين الذين يعملون مع القوات المسلحة، حلقات أساسية فى شبكة

الجمرة الخبيثة، وخاصة عينة «أميس»، وذلك لأنهم كانوا دائما فى طليعة البحوث الوطنية حول الأمصال، ووسائل الدفاع ضد الأسلحة الجرثومية.

بدأت الولايات المتحدة برنامجها العسكرى لصناعة الاسلحة الجرثومية خلال الحرب العالمية الثانية وتمكنت خلال بضعة عقود من ابتداع وسائل كثيرة لنشر الأمراض.

وعلى رأس هذه المواد الناشرة للأمراض، مسحوق الجمرة الخبيثة، الذى يكفى جالون واحد منه لقتل ٨ ملايين من البشر. وكان الرئيس نيكسون قد أعلن ضرورة التخلى عن الأسلحة الجرثومية عام ١٩٦٩ وكان من دعاة الاتفاقية الدولية التى حرمت استخدام هذه الأسلحة عام ١٩٧٥م.

وشرع المسؤولون الفيدراليون والعلماء والمحققون الهواة، ومنذ ظهور مسحوق الجمرة الخبيثة، فى البحث عن المصدر الذى قام بإرساله.

وبينما يرى بعضهم أن الفاعل موجود داخل أميركا، وربما يكون عالما ناقما أو مجموعة عسكرية، فإن آخرين يعتقدون أن الأمر تقف وراءه دولة مثل العراق أو مجموعة إرهابية أجنبية.

ويوجد داخل الولايات المتحدة عدد كبير من المعامل والمتعهدين ومئات الأفراد ممن يمكن أن يتحصل على عنصر ما من العناصر الأساسية للجمرة الخبيثة والوصفات الخاصة بصنعها. وكان المنحى الداخلى للتحقيقات منسجم تماما مع الصورة التى نشرها «إف بى آى» للمشتبه فيه.

وهو حسب تلك الصورة رجل ذو اهتمام شديد بالعلوم، لا يجد مشكلة فى التعامل مع المواد الخطرة. وهو «يستطيع الحصول على مسحوق الجمرة الخبيثة ويملك المعرفة والخبرة لصناعته وتشذيبه».

ومن جهة اخرى قامت خبيرة خاصة فى الأسلحة الجرثومية، هى باربرا هاتش روزنبيرغ، وبمبادرة شخصية، بنشر ورقة تقول فيها إن شخصا

من داخل إحدى المؤسسات الحكومية، أو شخصا على علاقة معه، هو المسؤول عن هذه الهجمات.

ومع أن الدكتورة روزنبيرغ ليست متخصصة فى تحديد صور المجرمين، إلا أنها قدمت شهادتها حول الأسلحة البيولوجية أمام الكونغرس، وكانت مستشارة لبيل كلينتون عندما كان رئيسا للولايات المتحدة، كما قدمت أوراقا فى مؤتمرات عالمية للحد من الأسلحة ومن ضمنها مؤتمر عقد بجنيف.

وقالت سلطات تطبيق القانون إن فرضية الدكتورة روزنبيرغ ربما تكون هى الصحيحة، ولكنهم ركزوا على أن التحقيقات لا تزال واسعة القاعدة وكثيرة الاحتمالات.

ووصف أحد المقربين من التحقيقات الفيدرالية فرضية روزنبيرغ بأنها «أكثر الفرضيات قربا إلى الصواب».

وقال المسؤول معلقا على ورقتها، ومتحدثا عن فرضيتها: «ربما لم اكن لأضعها بهذه القوة، ولكنها وجيهة دون ريب».

ولكن بعض المحللين الآخرين ومن ضمنهم العلماء والخبراء فى الأسلحة البيولوجية، يبدون شكوكا حول النظرية، قائلين إن المعارف والخبرات الضرورية لصنع هذه العينة من الجمرة الخبيثة متوفرة لدى الكثيرين.

وكانت الورقة التى تحوى فرضية الدكتورة روزنبيرغ قد وزعت بواسطة «معهد أبحاث استوكهولم للسلام العالمى ونزع السلاح».

والدكتورة روزنبيرغ ظلت تقول إن الحكومات هى التى تملك الإمكانيات لصناعة الأسلحة البيولوجية المتقدمة وليس الأفراد ولذلك فإنها تقول إن إبرام الاتفاقات التى تحظر تصنيع مثل هذه الأسلحة يعد أمرا ضروريا.

والدكتورة روزنبيرغ هى رئيسة مجموعة نزع السلاح فى رابطة العلماء الأميركيين بواشنطن.

وتقول الدكتورة روزنبيرغ إن عينة «أميس» ربما لا تكون قد ظهرت عام ١٩٨١ أو ١٩٨٢ كما يعتقد الكثيرون، ولكنها ربما تكون قد صنعت قبل عقود من ذلك التاريخ واستخدمت فى البرنامج الأميركى السرى لصناعة الأسلحة البيولوجية.

وهى تتفق مع النتيجة التى توصل إليها بعض الخبراء حول أن مسحوق الجمرة الخبيثة الذى وزع عن طريق الرسائل قد خضع لمعالجة متقدمة جعلته يطفو بسهولة، كما حدث بالضبط فى البرنامج الأميركى للأسلحة الهجومية، وهو على عكس برنامج الكولونيل فريدلاندر الدفاعى الذى يستخدم المسحوق المبتل.

وقالت الدكتورة روزنبيرغ: «كل المعلومات المتوفرة تدعم نظرية أن واحدا من المعامل الحكومية هو المصدر، إما للجمرة الخبيثة نفسها، او للمعادلة الأميركية لتصنيعها».

وتعتقد الدكتورة روزنبيرغ أن الهجمات إما أن تكون قد انطلقت من البرنامج الأميركى نفسه، أو قام بتصنيعها شخص تعلم المعادلة من هذا البرنامج.

وقالت إن هذا القاتل: «عالم أميركى فى الأحياء الدقيقة، على صلة حاليا، أو كان على صلة بمسحوق الجمرة الخبيثة الموجود فى صورته الهجومية هذه داخل معمل حكومى.

وإذا لم يكن الأمر كذلك فربما يكون قد تعلم هذه الوصفة من خبير أميركى شرح له كيف يصنعه. وربما يحتفظ بإناء أو اثنين فى قبو ما لتنشيط ذاكرته».

واعتمدت الدكتورة روزنبيرغ فى إعداد ورقتها على مقابلات أجرتها مع خبراء فيدراليين ومستقلين وعلى التقارير المنشورة والمقالات العلمية.

وقال ريتشارد ابرايت، عالم الأحياء الدقيقة بجامعة «رتجرز»، والذى تابع قضية الجمرة الخبيثة متابعة لصيقة واطلع على ورقة روزنبيرغ، أنه

وجد الورقة ستفزازية وغير مقنعة.

وقال الدكتور ابرايت: «هذا هو الحد الأقصى فى التنظير. هناك نقاط منطقية، ونقاط أخرى غير ذلك. وأنا متأكد أنها بدأت بنظرية المصدر الداخلى ثم اختارت الحقائق على هذا الأساس، ومع ذلك فإن أعداء أميركا سيستفيدون من هذه الورقة ويضخمون استنتاجاتها».

وأضاف: «إن كل دولة معادية للولايات المتحدة ستستغل هذه الورقة، وسيقولون إنها مؤامرة حكومية مدبرة. وأنا لا أومن بذلك مطلقا، ولكن سيظهر دون ريب من يؤمن به ويدعو له». وقد وجدت ورقة روزنبيرغ آذانا صاغية بأوروبا، حيث أشارت لها حركة الخضر الألمانية باعتبارها يمكن أن تكون صائبة.

وقال خبير أميركى متعاطف مع فرضية روزنبيرغ إن الجمرة الخبيثة يمكن أن تكون قد جاءت من معمل غير عسكرى.

وقال: «هناك مؤسسات حكومية ومتعهدون ذوو صلة بمواد بالغة الخطورة. ولكن المرجح أن المسحوق الذى أرسل عن طريق البريد أعده شخص ذو خبرة واسعة، ولم نعثر على أى دلائل تشير إلى غير ذلك».

■ ■ ■

11

« سى. آى. إيه » الرهيبة
وحكاية فرانك أولســون !!



بعد تفجيرات ١١ سبتمبر بفترة وجيزة اعترفت وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون» بأن الولايات المتحدة كانت قد كدست فى قاعدة «نيللِيسن» إحدى أكثر القواعد سرية فى البلاد، أكبر احتياطى من الأسلحة البيولوجية والكيميائية فى العالم وكان الجزء الأعظم من هذا الاحتياطى من تصنيع علماء وكالة المخابرات الأميركية، أحد أولئك العلماء كان أخصائى الكيمياء الحيوية، وهو أحد الرواد فى الأبحاث التى أدت إلى تكديس ذلك المخزون الهائل.. واسمه «فرانك أولسون».

فى ذلك اليوم من سبتمبر ٢٠٠١ـ كما يقول «جوردون توماس» فى كتابه: «الأسلحة السرية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية» كان إيريك ـ ابن فرانك أولسون ـ فى السادسة والخمسين من عمره، قد أصبح خبيرا فى ميدان علم النفس الطبى، ويسكن مع أسرته فى بلدة فريدريك بولاية ميريلاند غير بعيد عن المكان الذى كان يعمل فيه والده لحساب وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية.

وفى الوقت الذى كانت تعاد وتعاد مشاهد الخراب الذى سببته تفجيرات ١١ سبتمبر على شاشات التلفزة كان إريك أمام حاسوبه الذى سجل عليه العديد من الوقائع الغريبة الخاصة بوفاة والده والتى كان من بين الأكثر إثارة للدهشة منها قوله: لقد اغتيل أبى لأن وكالة الاستخبارات المركزية كانت تخشى فضح أكبر سر أميركى فى فترة الحرب الباردة وربما أكبر سر فى جميع الأزمنة. إنه سر أبحاث الوكالة المركزية حول الأسلحة الكيميائية والبيولوجية وآليات السيطرة الذهنية، وكان أبى قد لعب دورا مهما فى هذين البرنامجين.



فرانك أولسون

وفى معرض الحديث عن قصة «فرانك أولسون» يعود مؤلف هذا الكتاب إلى يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٥٣ حيث وجد أرمان باستور المسؤول الليلى فى فندق ستاتلر فى مانهاتن، رجلا لا يرتدى سوى ثيابه الداخلية ممددا على الرصيف ومضرجا بالدماء، ولم يكن سوى فرانك أولسون الذى كان يشغل الغرفة رقم ١٠١٨ فى الفندق التى وجد أرمان باستور والشرطيان اللذان رافقاه شخصا آخر فيها هو الدكتور روبرت لاشبروك، الاختصاصى أيضا بالكيمياء الحيوية والذى اكتفى بالقول إنه يعمل لـ «حساب الحكومة». (كتاب: «الأسلحة السرية لوكالة المخابرات المركزية الأميركية» ـ جوردون توماس ـ عرض: محمد مخلوف ـ صحيفة «البيان» الإماراتية).

لقد توفى فرانك أولسون عند نهاية الحرب الكورية وبداية الحرب الباردة، وقد اكتشف ابنه ايريك فيما بعد، كما يشير المؤلف، انها أيضا كانت الفترة التى بدأ فيها والده بالإعراب عن شكوكه لزوجته أليس فيما يخص أخلاقيات عمله وحيال التجارب السرية وكم هى غير شرعية تلك

التى يقوم بها زملاؤه فى وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية لاختبار فعالية بعض الجراثيم على البشر. فقرأ: «جرى نشر جراثيم حية فى سان فرانسيسكو بواسطة رشاشات.

وظهرت على السكان أعراض شبيهة بالرشح، لقد أدخل الكثيرون إلى المستشفى وتسبب حدوث وفيات عديدة فيما بعد إلى تلك التجربة، وترتب على ذلك رفع دعوى ضد الحكومة لكن لم تؤد إلى شىء، كان فرانك أولسون هو الذى أعد الطريقة المستخدمة لنشر الجراثيم فى سان فرانسيسكو».

وكان ذلك النوع من التجارب قد حظى بمباركة رجل مشى وراء الجميع فى جنازة فرانك أولسون فى ذلك اليوم البارد من نوفمبر ١٩٥٣، كان أحد الرجال المهمين فى وكالة الاستخبارات المركزية وكان اسمه «سيدنى جوتليب».

ولمدة تزيد على عشرين سنة لم يبق من هذا الاسم سوى ذكرى باهتة فى ذهن اريك أولسون، إلى أن نشرت صحيفة «واشنطن بوست» فى شهر يونيو ١٩٧٥ مقالا تحت عنوان «الكشف عن سر انتحار» وجاء فيه إن موظفا مدنيا كان يعمل لحساب الجيش وجدوه ميتا بعد أن ألقى بنفسه من نافذة فندق فى نيويورك بعد أن أعطى مخدر ال. اس. دى أثناء اجتماع لوكالة المخابرات الأمريكية. فهم إيريك فى الحال أن المقصود هو والده.

وفى عام ١٩٩٤، أخرج إريك نعش والده، وكانوا قد قالوا للعائلة ـ كما قال إريك للمؤلف ذات يوم ـ بأنه لا يمكن رؤية جثة فرانك لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة «لأنها كانت مشوهة جدا وأن السقطة أدت إلى آثار خطيرة فى الوجه، وفى الحقيقة كان قد جرى تحنيط الجثة وكانت عمليا بحالة ممتازة، لقد اكتشفنا عندها التواء آخر فى نسيج الأكاذيب التى أحاطت بموت والدى».

ودلت عملية التشريح التى قام بها فريق من الأطباء الشرعيين تحت

إدارة البروفيسور جيمس ستار من جامعة جورج واشنطن، على أن «وفاة فرانك أولسون تسمح بالتفكير بعملية القتل عمدا». إذ ليس هناك أى جرح على الوجه أو الرقبة يدل على أن السقطة سببت الوفاة، بالمقابل هناك كدمة زرقاء واسعة تحيط بالعين اليسرى توحى بأنه «تعرض للضرب على الرأس بآلة راضة قبل الإلقاء من النافذة».



هكذا أفردت الصحافة الأمريكية صفحاتها
لنشر قصة فرانك أولسن

هذه «الآلة الراضة» يمكن أن تكون ضربة بقبضة اليد، إن هذه الطريقة فى القتل موجودة بين طرق الاغتيال الموجودة فى دليل وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية الذى نجح اريك بالحصول على نسخة منه كما يقول مؤلف هذا الكتاب.

ويشير مؤلف هذا الكتاب أيضا إلى أن العديد من أجهزة الاستخبارات الخارجية كانت قد اهتمت بوفاة فرانك أولسون، ومن بينها جهاز

الاستخبارات السوفييتى «كى جى بى» وجهاز الاستخبارات الألمانى الشرقى «ستاسى» ويضيف اعتمادا على الوثائق التى اطلع عليها بعد انهيار النظام السوفييتى أن اغتيال فرانك أولسون كان محط دراسة جهاز الاستخبارات البريطانية «إم آى» وجهاز الاستخبارات الخارجية الفرنسى «دى. إس. تى» ثم نقرأ:

«إن جهاز الموساد هو الذى جنى أكبر الفوائد من تلك الوفاة، إذ اعتبارا من عام ١٩٧٦، عندما وضع الرئيس الأميركى جيرالد فورد حدا لجميع عمليات الاغتيال التى تقوم بها وكالة المخابرات الأميركية، عهد سرا بالتخلص من أعداء الولايات المتحدة إلى جهاز الموساد.

ويقدر أنه قام بعد ذلك بقتل ما يزيد على ألف شخص من أعداء الولايات المتحدة وإسرائيل، وإحدى الطرق المتبعة شبيهة بالانتحار المزيف لفرانك أولسون. ولا تزال هذه التقنية مستخدمة من قبل وحدة كيدون المختصة بالاغتيالات داخل الموساد والتى تؤيد دولة إسرائيل عملها».

ويتحدث مؤلف هذا الكتاب عن قضية أخرى لها علاقة بقضية قتل فرانك أولسون، وتتعلق باغتيال عميل خدم لسنوات طويلة داخل جهاز وكالة المخابرات الأميركية، وكان يعرف أيضا بالتجارب السرية للباحثين العمليين فى الوكالة.

اسمه وليام بيل بومكى، وبعد أن كان قد خدم لفترة فى مكاتب الوكالة جرى تحويله إلى القسم العلمى والتكنولوجى للعمل فى مشروع أعطوه تسمية «إم. كى. الترا» والذى كان يهدف إلى دراسة وسائل استغلال العقل البشرى، وكان المشرف عليه هو الدكتور «جوتليب» الذى كان شديد الاهتمام أيضا بالأسلحة الجرثومية.

لم يكن بيلى بوكلى شخصا كفئا فحسب وإنما كان أيضا صديقا جيدا

جديرا بالثقة. وكان باستطاعته آن يعمل بوظيفة مرموقة فى «وول ستريت» أو فى الحكومة، لكنه فضل العمل فى وكالة الاستخبارات المركزية لأنه «لم يكن لدى الولايات المتحدة آبدا حتى حينه وكالة استخبارات بتلك الأهمية والتنظيم فى زمن السلم» على حد قول مؤلف هذا الكتاب الذى التقى به للمرة الأولى فى روما ثم يشير: «فيما بعد وخلال لقاءاتنا فى بيروت آو فى الأمكنة الأخرى بدأ بوكلى يتحدث لى بصراحة أكثر فأكثر عن الماضى، ويصف لى شخصيات المتورطين فى عمليات.

لقد تحدث لى عن تجارب السيطرة الذهنية على الآخرين وعن الفترة التى كان فيها فى كوريا، هكذا أصبح بيل بوكلى، أحد مصادر معلومات هذا الكتاب وأحد شخصياته الرئيسية.

وكان بوكلى قد غدا صديقا مقربا من وليام كيسى، مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية لعدة سنوات، وتحول «الاحترام المتبادل» بينهما فى البداية إلى «صداقة حقيقية»، نقرأ: «لقد أصبح عندها المساعد الخاص لكيسى وكان يرافقه غالبا إلى القواعد الخارجية لوكالة الاستخبارات المركزية، خاصة إلى منطقة الشرق الأوسط، وكانت تلك الأسفار تنعش لدى بيل بوكلى رغبة العودة إلى ميدان العمل».

فى شهر يونيو ١٩٨١ جرى تعيين بيل بوكلى، مديرا مساعدا لفرع وكالة الاستخبارات المركزية والتقى بمؤلف هذا الكتاب، ثم كان لهما لقاء آخر فى صيف عام ١٩٨٢م.

وكان هناك لقاء آخر بين الرجلين فى شهر مارس من عام ١٩٨٣ فى واشنطن، وفى نفس المساء أعلن التلفزيون عن تفجير أمام سفارة الولايات المتحدة فى بيروت، وكان من بين الـ ١٦ قتيلا عدد من عملاء وكالة المخابرات الأميركية من بينهم روبرت آميس رئيس فرع الوكالة فى الشرق الأوسط، وكان قد وصل إلى لبنان منذ أربع وعشرين ساعة فقط.

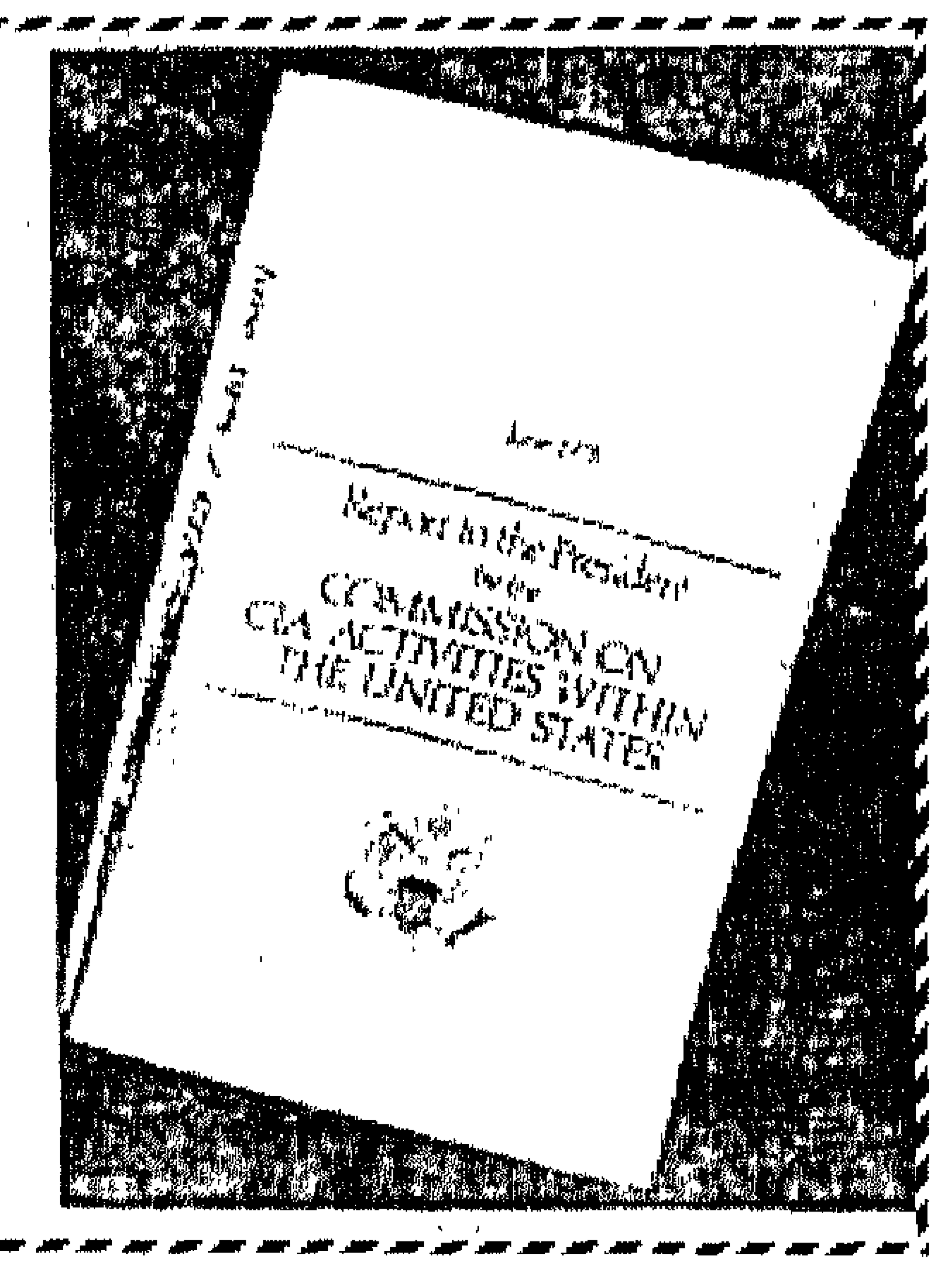
كان بوكلى على أهبة الاستعداد للعودة إلى بيروت من جديد، وقد قال لمؤلف هذا الكتاب قبل سفره: «اسمع، هناك أمر قد يهمك، إن الإسرائيليين يقولون إن حزب الله قد بدأ بتحديث بنيته، وقد وظف طبيبا اختصاصيا بوسائل السيطرة الذهنية كان قد أمضى دراساته فى روسيا وإذا عرفت المزيد عن هذا الأمر سوف أخبرك بذلك» ثم يردف المؤلف قائلا:

كانت تلك هى الكلمات الأخيرة التى قالها وليام بوكلى لى ويضيف: إلى جانب قضيتى بيل بوكلى وفرانك أولسون اكتشفت قضية أكثر إثارة للصدمة من آغلبية القضايا التى قمت بالتحقيق حولها خلال مسيرتى المهنية كلها.

CIA Infiltrated 17 Area Groups, Gave Out LSD

Suicide Revealed

District the Focus



وثيقة مشروع «إم. إم. كى. الترا» الذى كان يهدف إلى دراسة وسائل استغلال العقل البشرى منشورة مع الموضوع بإحدى الصحف الأمريكية!!

ويتصدر بتلك القضية دور الدكتور سيدنى م. جوتليب المتوفى فى ٧ مارس ١٩٩٩ ونسبت وفاته إلى أزمة قلبية كما كان سائدا فى عائلته وقد مشى فى جنازته حشد متنافر من البشر بينهم عملاء متقاعدون من وكالة الاستخبارات المركزية الذين لم يفقدوا أبدا عادة تفحص أية حالة قبل

الدخول إليها وأعضاء فرقة دينية تتبنى فلسفة «الزمن» الصينية وأطفال من المدرسة المحلية.

عاش جوتليب ثمانين سنة، أمضى ٢٢ منها فى الظل كمدير للقسم العلمى فى وكالة الاستخبارات المركزية وحيث أشرف من ذلك الموقع على إجراء تجارب لتأثير المخدرات وخاصة الـ «إل إس دى» على البشر وكان يفترض أن يمثل قبل وفاته بخمسة عشر يوما فقط أمام محكمة نيويوركية بشأن عملية تسميم أحد ضحاياه الكثيرين كان ذلك فى باريس عام ١٩٥٢م.



OBITUARIES

Sidney Gottlieb, 80, Dies; Took LSD to C.I.A.

Dosing Americans with psychedelics for national security.

هكذا فتحت الصحف فى أمريكا ملف

وفاة جوتليب بمجرد الإعلان عن رحيله

كان الضحية فى ذلك اليوم هو رسام شاب يدعى ستانلى ثمليكمان وكان الدكتور غوتليب قد دس له السم فى كأس قدمه له فى أحد المقاهى الباريسية وذلك بعد ان وقع الخيار عليه لإحدى التجارب لكن ملف التحقيق أغلق بالطبع مع وفاة الدكتور غوتليب وفى يوم وفاته أيضا أصر أريك ولسون على ان لا يتوقف عن البحث عن دوره فى قتل أبيه عام ١٩٥٣ وأصبح يدعو الدكتور غوتليب صراحة بتعبير «قاتل أبى».

ويشير مؤلف هذا كتاب: «الأسلحة السرية لوكالة المخابرات الأمريكية» إلى أن العديد من رؤساء وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية من آلن دالس الرئيس الخامس للوكالة حتى ريتشارد هيلمز رئيسها الثامن الذى يروى المؤلف عنه أنه منذ وصوله إلى مقر الوكالة بعد تعيينه مديرا لها استدعى الدكتور سيدنى جوتليب واستمع له ساعات ثم قال له:

سيدى كل ما تريده سوف تحصل عليه.. ومهما يكن.. لكن الأمر اختلف تماما مع وصول وليام كولبى إلى إدارة الوكالة الاستخباراتية الأميركية.. إذ أنه أفشى ما يقوم به غوتليب من نشاطات إلى الكونغرس الأميركى وكانت تلك هى المرة الأولى التى تكشف فيها وكالة مخابراتية أسرارها هى بنفسها كما يعلق المؤلف.

وكان الدكتور سيدنى جوتليب قد أخفى طيلة الاثنين وعشرين عاما التى أمضاها فى الوكالة المركزية الأميركية للاستخبارات طبيعة عمله عن أسرته وعن أقرب أصدقائه وكان رجلا كتوما مما ساعده على الاحتفاظ بوظيفته رغم كل «التصفيات» التى عرفتها أجهزة الوكالة. أما الصورة التى اشتهر بها فهو أنه كان رجل علم حازم ومستعد باستمرار لتجاوز حدود الأخلاق من أجل تجاربه.

وفى أوج فترة الحرب الباردة تلقى وزير الدفاع الأميركى وثيقة بأن «جوتليب» كما قالت إحدى الصحف على لسانه «ان الولايات المتحدة الأميركية هشة جدا فى مواجهة هجمات جرثومية ومن الضرورى إنتاج أسلحة أكثر فعالية مما تمتلك الآن فى هذا الميدان.

فينبغى علينا ان نكون فى مستوى الرد» هذا وقد وافق الكونغرس سرا على ميزانية مقدارها ٩٠ مليون دولار من أجل تجديد ترسانة منذ زمن الحرب العالمية الثانية بالقرب من مدينة بين يلوت الصغيرة فى اركانساس وحيثما كانت توجد مصانع لإنتاج الجراثيم بكميات كبيرة.. لم يكن ذلك

الموقع سوى جزء من إمبراطورية الدكتور سيدنى غوتليب ذات الأطراف المترامية أكثر فأكثر.

كان سيدنى جوتليب ابن أسرة يهودية هاجرت من المجر وكان فى وقت مبكر قد جعل من جوهر نشاطاته العمل على إيجاد طرق جديدة لإخضاع الآخرين ذهنيا وجعلهم يطيعون بدون تردد جلاديهم وهذه كانت مهمته داخل وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية.

■ ■ ■

12

لغز اغتيال العالم
فيليب شنايدر!!



هناك قصة أخرى تتعلق بالقصص التى لا تنتهى للحرب البيولوجية، ومنها قصة العالم الشهير فيليب شنايدر.

فيليب شنايدر عالم جيولوجى، ومهندس كيميائى متخصص ببناء معامل الأبحاث البيولوجية، عمل لدى الحكومة الأمريكية لأكثر من ١٥ عاما، شارك فيها ببناء عدة قواعد أمريكية تحت الأرض، كما قام ببناء معامل فى القواعد تحت الأرض، لم يكن دوره يقتصر على بناء المعامل والتأكد من الخصائص الأمنية للقواعد والمعامل البيولوجية، بل كان يتابع باستمرار هذه المعامل للتأكد من سلامتها وعدم وجود تسريبات فيها.

وفى أحدى زياراته لقاعدة فى نيو مكسيكو، وبعد أن قام بإجراءاته المعتادة لتفريغ الغازات المحتبسة فى القاعدة، اظطر هو كرئيس للمهندسين ومساعد له للنزول إلى أسفل القاعدة وهو الأمر الذى يتطلب تصريحا أمنيا عاليا كان يحمله.

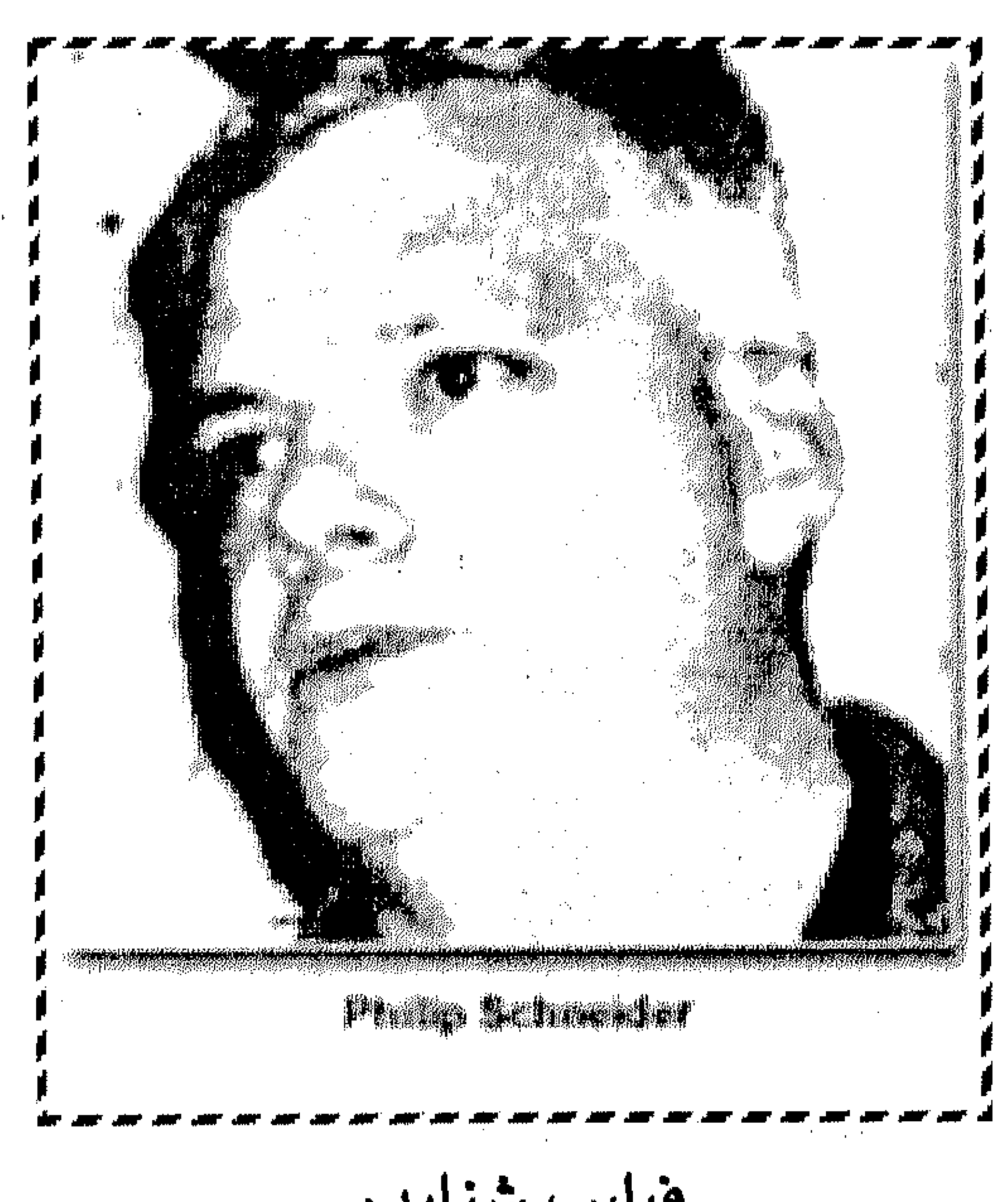
وهناك فى باطن الأرض شاهد فيليب ما سيغير حياته إلى الأبد، وما سيضطر لاحقا لدفع حياته من أجل كشفه، لقد وصف ما رآه بأنها مجموعة من الكائنات الرمادية لها هيئة تشبه البشر، وقامة أقصر بقليل، وما يميزها هو أن أجسامها تبدو مخاطية، وسرعان ما هاجمته تلك المخلوقات مما أضطره لإطلاق النار عليها للدفاع عن نفسه.

وكانت المفاجأة الأكبر، أن الرصاص غير مجدى مع تلك المخلوقات، ووصف أحد تلك المخلوقات عندما تلقى الرصاصة فى صدره بأنه مسح عليها بيده فالتأم الجرح وكأن أى أذى لم يصبه، عندها حاول فيليب الهروب منهم إلى المصعد للرجوع إلى سطح الأرض، وفعلا استطاع الهروب ولكن صاحبه لم يفلح فى ذلك أبدا فقد هاجمته تلك المخلوقات وأمسكته ويعتقد فيليب أنها قتلته.

بعد هذه الحادثة علم فيليب أنه تعرض لما يعرف بمخلوقات الكواكب

الأخرى ولكنه لم يتوقع أن يراها تحت الأرض وفى المعامل التى أشرف على بنائها وتحت علم الحكومة الأمريكية.

غيرت هذه الحادثة مسار حياة فيليب فقد جمع فى سنواته اللاحقة كل الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع، وبدأ بإلقاء محاضرات فى الجامعات والمعاهد وفى الأماكن العامة ليحذر الشعب الأمريكى من الحقائق المرة التى توصل إليها، والتى تعرض من اجلها إلى أكثر من ١٠ محاولات اغتيال، يعتقد أن الله أنجاه منها ليوصل رسالته إلى الناس (ملفات رحمانوف ـ Rahmanoof Files ملف فيليب شنايدر).



فيليب شنايدر

إحدى هذه المحاولات أودت بأصابع يده، الأمر الذى تراه واضحا فى المحاضرات المنشوره له، وبعد سنتين من تلك المحاضرات فى عام ١٩٩٦ وجد فيليب مقتولا فى بيته وسرعان ما استطاعت السلطات المحلية تلفيق قصة يئسه ومرضه وانتحاره، الأمر الذى نفته زوجته السابقة مؤكدة أنها تعرفه أكثر من أى شخص آخر وأنها عاشت معه ما يكفى لتعرف مدى

إيمانه وصبره، وعدم يئسه من الحياة مع مرضه المزمن الذى كان يعانى منه ويصارعه من آجل البقاء يوميا.

وهذا هو نص الرسالة التى كتبتها زوجته وأرسلتها للعالم ليعرفوا حقيقة اغتيال زوجها السابق:

http://www.apfn.org/apfn/ex_wifePhil.htm

الحقائق التى توصل إليها فيليب شنايدر والتى أدت إلى اغتياله:

لم أجد أى كتاب مؤلف لفيليب شنايدر يبين فيه ما توصل إليه وذلك عائد لانشغاله فى آخر حياته بالسفر وإلقاء المحاضرات، الكثير من هذه المحاضرات المسجلة تم إتلافها من قبل جهات مجهولة، والجزء الذى استطاع أصحابه إنفاذه إلى وسائل الإعلام كان عدة محاضرات لا تتجاوز أصابع اليد، قام أصحابه بنشرها فى الأنترنت، فقنوات الأعلام الرسمية لا تبث تلك الأشرطة، ومن خلال هذه المحاضرات يذكر فيليب ما توصل إليه:

إن المخلوقات الرمادية التى رآها فى باطن الأرض هى من كواكب أخرى، تواجدت على الأرض من ملايين السنين، استطاع التأكد من ذلك عن طريق معادن تم العثور عليها فى العقد الماضى، وبعد إجراء فحوصات على هذه المعادن تبين أنها لا تنتمى إلى الأرض، حيث أن أوزانها خفيفة جدا مقارنة بالمعادن الأرضية، وقدرتها على تحمل الحرارة تفوق قدرة كل المعادن الأرضية بمئات الأضعاف، يعتقد علماء الجيولوجيا أن هذه المعادن تكونت جراء سقوط نيازك على الأرض منذ ملايين السنين الأمر الذى ينفيه شنايدر مؤكدا أن هذه المعادن مصهورة ومصنعة من معادن غير أرضية وليست من نتاج الطبيعة، مما يعنى وجود كائنات متطورة عاشت قبل الجنس البشرى على الأرض وأنها كانت قادرة على الانتقال بين الكواكب عن طريق تقنيات طيران متطورة باستخدام مواد عالية الكثافة لمقاومة الحرارة العالية الناتجة عن السرعة الهائلة التى يحتاجها الطبق الطائر أثناء سفره.

ويؤكد أيضا أن الأنواع الحديثة من الطائرات السرية الأميريكية التى لم يتم استعمالها بعد، والتى تمت هندستها وصناعتها فى القواعد تحت الأرض ـ «underground bases» تستخدم هذا النوع من المعادن، الأمر الذى يدعو شنايدر للاعتقاد بأن هناك تعاونا علميا سريا بين هذه المخلوقات المتقدمة التى تواجدت على الأرض مرة منذ ملايين السنين والحكومة الأمريكية، وأن قلائل جدا من القادة الأمريكان على علم بشأن تلك الاتفاقيات.

كما يعتقد شنايدر أن الغواصات النووية الحديثة تمت صناعتها بمساعدة تلك الكائنات، حيث أن المواد المصنعة للأنواع المتقدمة من تلك الغواصات مجهولة وغير موجودة على الأرض، وهى نفس المواد التى تم العثور عليها والتى يعتقد أنها من كوكب آخر ولذلك يتم صناعة أعداد قليلة منها، وهذه الغواصات تملكها الولايات المتحدة كما يمكلها الاتحاد السوفيتى السابق، وأنهم امتلكوها فى وقت متقارب الأمر الذى يدعو للتساؤل حيث أن فترة السبعينيات من القرن الماضى التى تعرف بفترة الحرب الباردة، تجعل من المستحيل وجود أى تعاون علمى الأمر الذى يعنى استحالة حصول تعاون عسكرى فى مجال هذه الصناعات.

يجيب شنايدر عن هذا التساؤل بأن التعاون العسكرى قائم بين الخبراء الروس والأمريكان منذ بداية الستينيات، وأنه كان يتم تدريب العلماء الروس فى القواعد تحت الأرضية الأمريكية التى تتواجد بها المخلوقات الفضائية، وهناك يتدرب الطرفان ويتعاونون فى مجال الصناعات النووية والأسلحة المتقدمة، الأمر الذى يجهله الشعب الأمريكى حيث يعد مخالفا لقوانين الحرب الباردة، هذه الحقيقة مع حقيقة أن عملاء الاستخبارات الروسية كانوا يتواجدون فى أمريكا، وأن هناك جهة داخل الحكومة تحمى هؤلاء العملاء وتمنع التعرض لهم من قبل الحكومة

الأمـريكيـة، أدت إلى اقـتناع شنايدر بأن هناك حكومـة داخل الحكومـة الأمريكية هى التى تسيطر على مجريات الأمور وتتحكم بالمجال الذى يسمح باستمرار الحرب الباردة وأن لها سيطرة كاملة على جهاز الاستخبارات الأمـريكى، وهى التى تضع الخطط والميزانيـات لإنشـاء القـواعـد تحت الأرضية، وهذا ما يقود فيليب إلى العتقاد بأن هناك حكومة واحدة تحكم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية بالخفاء وأن قلة من القادة الوطنيين الأمريكان على علم بهذه الحقيقة.

يسمى فيليب هذه الحكومة «الحكومة الخفية ـ Secret Government» حيث يعتقد أنها ستحكم العالم أجمع بما أنها تحكم أكبر قوتين على وجه الأرض، ويعتقد شنايدر أن هذه الحكومة تقاد من أشخاص مجهولين، وليس من قبل الرموز التى نراها فى الإعلام، وأن لها أهداف تختلف عن تلك الأهداف التى وضعها الآباء المؤسسين لأمريكا. (ملف وليم كوبر يحتوى معلومات مطابقة ومؤكدة لهذه الحقيقة) وهى تسيطر على كل القادة والساسة أصحاب القرار فى أمريكا والعالم كما أنها تسيطر على كل اقتصاديات الدول وهذه الحكومة تدار من قبل أشخاص أعلى من الرؤساء الظاهرين.

كما أنها ومنذ منتصف القرن الماضى قامت بإنشاء ١٢٩ قاعدة تحت الأرض بعض هذه القواعد بحجم مدينة كاملة وبعضها يتكون من عدة طوابق، وأن هذه القواعد متناثرة فى أنحاء أمريكا ويتم التنقل بينها عن طريق قناة ضخمة يربط هذه القواعد يستخدم تقنيات مغناطيسية للانتقال السريع بينها، كما أن هناك عشرات الآلاف من الأشخاص يعيشون فى تلك القواعد، والبعض منهم يعتقد أن الحياة فوق سطح الأرض خرافة.

وأنها تستخدم تلك القواعد السرية لتطوير تقنيات عسكرية وأخرى بيولوجية وأخرى للتحكم بالأرض، حيث يعتقد أنهم قاموا بالثمانينيات من القرن الماضى بإنتاج أدوات قادرة على إنتاج زلازل ذات قدرات تدميرية

وتوجيهها فى أماكن معينة من الأرض.

كما يعتقد أن كل أنواع الفيروسات الحديثة يتم إنتاجها فى المعامل البيولوجية فى هذه القواعد، وأن الفيروسات الحديثة ليست أمراضا من صنع الطبيعة وأن أمراض العصر المستعصية تسببت بها تلك الفيروسات والتى هى من صنع الإنسان.

أما عن التمويل اللازم لإنشاء تلك القواعد الضخمة حيث القاعدة الواحدة تفوق تكلفتها ٣٠ مليار دولار، والحكومة الأمريكية تنفق ما يقارب التريليون دولار سنويا عن طريق ما يعرف بالميزانية السوداء، وهى ميزانية تستخدم لتمويل هذه المشاريع الضخمة والهدف المعلن منها هو دعم الصناعات العسكرية الأمريكية وتطويرها.

الغريب أن بعض المؤمنين بهذه النظرية يعتقدون أن الميزانية السوداء تأتى من تجارة المخدرات العالمية، حيث أن جهاز الاستخبارات الأمريكى يقوم بالإشراف على شبكات المخدرات فى العالم عن طريق بيعها بواجهات عصابات المافيا وتجار المخدرات ومن ثم القبض على هؤلاء التجار ومصادرة أموالهم وتسخير أرباحها للميزانية السوداء.

ويذكرنا هذا بما حدث فى الثالث والعشرين من يناير ٢٠٠٧، وفى قضية بدت كواحدة من قصص الخيال العلمى، عندما نظرت احدى محاكم مونتريال فيما إذا كان من الممكن رفع قضية ضد الحكومة الكندية نيابة عن أكثر من ٢٥٠ مريضا نفسيا تعرضوا عن غير علم منهم لتجارب جوهرية فى الخمسينيات.

كانت هذه التجارب وتحمل اسم «أم. كى. ألترا» جزءا من برنامج سرى للسيطرة على العقل بتمويل من المخابرات الأمريكية والحكومة الكندية فى الخمسينيات من القرن الماضى.

واشتملت تجارب حقبة الحرب الباردة التى قام بها طبيب اسكتلندى فى مونتريال العزلة الإجبارية والغيبوبة الصناعية والعلاج بالصدمات الكهربائية وعقاقير الهلوسة ومنها عقار «الـ اس دى» والمخدرات التى تحدث الشلل.

وقالت جانين هوارد وهى جدة فى الثامنة والسبعين للمحكمة فى مونتريال إنها عانت على مدى سنوات نتيجة التجارب التى أجراها دكتور ايوان كاميرون بمعهد «آلان ميموريال انستتيوت» للصحة النفسية التابع لجامعة مكجيل فى مونتريال.

وكانت التجارب جزءا من برنامج سرى للمخابرات الأمريكية يهدف لمعرفة تقنيات السيطرة على العقل بقيادة كاميرون الذى توفى عام ١٩٦٧، وأطلقت المخابرات الأمريكية تجارب إم كى ـ ألترا عام ١٩٥٣ بقيادة الكيميائى الأمريكى سيدنى جوتيب.

ويتردد أنها مولت مشروعات فى الداخل والخارج منها دراسة مونتريال وكانت تأمل من ورائها إلى اكتشاف طرق لاستخراج المعلومات من المسجونين والتأثير على القادة الأجانب من خلال عمليات غسيل المخ. وتعرض المشروع للمراجعة عام ١٩٧٤ عندما كشفت تقارير صحفية أن تجارب إم كى ـ ألترا أجريت لاشخاص عن غير علم منهم، حيث أعطيت لهم عقاقير الهلوسة وتم مراقبة تصرفاتهم بشكل سرى. وكان تم تفكيك المشروع قبلها بعام وتدمير السجلات التى تتضمن أنشطته.

وتمحور بحث كاميرون حول «قوة نفسية» كان يعتقد أنها يمكن أن تكون بمثابة علاج محتمل للاكتئاب والعته وتتضمن محو ذاكرة المريض ثم إعادتها مرة أخرى.

وقالت هوارد إنها خضعت بداية لرعاية كاميرون وهو رئيس سابق للجمعية الدولية للأمراض النفسية عندما استشارته عام ١٩٥١ بخصوص حالة اكتئاب أصيبت بها عقب ولادة الطفل الثانى من أولادها الأربعة. وأنها

كانت تحت رعايته الطبية مرتين أخريين حتى عام ١٩٦٢م.

وقيل فى جلسة المحكمة أن هوارد ومئات آخرين كانوا بمثابة فئران تجارب لكاميرون، التى تضمنت تشغيل رسائل مسجلة بشكل متكرر فيما يرقد المريض فى حالة شبه غيبوبة صناعية بعد إدخاله فيها عن طريق بعض العقاقير.

وقالت هوارد إنها لم تكن تعرف البتة أنها تخضع لمثل هذه التجارب وأنها تستغل من قبل دكتور كاميرون ومساعديه كخنازير تجارب.

وصرحت للصحفيين بقولها خرجت من هذا الأمر مريضة للغاية إلى حد أن أمى اضطرت للإقامة معى لمدة ١٠ سنوات.

وكانت المخابرات الأمريكية قد دفعت لهوارد وآخرين ٦٧ ألف دولار لكل فى إطار تسوية عام ١٩٨٨م.

وتكشف الوثائق التى ضمنها جوردون توماس كتابه: «الأسلحة السرية لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية»: أن أطراف الحرب الباردة قد قطعوا الشوط كاملا فى تجهيز ترسانات هائلة من الأسلحة الكيميائية والبيولوجية، على الرغم من إدراكهم للتأثير الوحشى لهذه الأسلحة، التى استخدمتها اليابان ضد المدنيين فى الصين، واستخدمتها الولايات المتحدة فى محاولة تقصير أمد الحرب الكورية، لكن المسلسل لا يتوقف عند هذا الحد، وإنما تكشف الوثائق كيف يتم تحول أسرى الحرب إلى حقل تجارب واختبارات مخيفة، بلا حدود.

ففى ١٧ سبتمبر ١٩٩٦، تقدم رجل متوسط العمر للمثول أمام لجنة من ممثلى الأمن القومى الأمريكى كى يدلى أمامهم بأغرب شهادة عن التجارب القاتلة التى أجريت على أسرى الحرب الأمريكيين أثناء الحرب الكورية، اسم ذلك الرجل هو (جان سينجا)، وكان الأمين العام السابق للحزب

الشيوعى التشيكوسلوفاكى، والذى كان أيضا مديرا للموظفين فى وزارة الدفاع ببلاده، وكان قد ترك السلطات الأمريكية تنتظره ثلاث عشرة سنة كى تستمع إليه، أى إلى أن قرر الهرب إلى الغرب بعد أن أحس بأن اعتقاله قد اقترب بتهمة ارتكابه جرائم سياسية ضد الدولة. وبعد يومين فقط من هروبه، وصل إلى الولايات المتحدة ليحصل فورا على الجنسية الأمريكية، وعلى وظيفة فى أجهزة الاستخبارات.

لقد تحدث (جان سينجا) لمدة نصف ساعة أمام اللجنة الأمنية، وكان ما قاله يشكل أحد أكثر الوثائق إثارة للذهول حول الحرب الباردة. وكان مما قاله: «كنت تحت إمرة الروس عندما سمعت للمرة الأولى عن أسرى الحرب الأمريكيين والكوريين الجنوبيين الذين كان الأطباء السوفييت يستخدمونهم، ولن أزعم أننى أعرف مصير جميع سجناء الحرب المفقودين، لكننى أعرف ما حصل لعدد كبير منهم. اختصارا أقول: إن المئات منهم جرى استخدامهم لإجراء تجارب عليهم فى كوريا وفيتنام.

وفى بداية الحرب الكورية تلقينا من موسكو تعليمات ببناء مستشفى عسكرى فى كوريا الشمالية، كان هدفه الرسمى هو معالجة جرحى الحرب، لكن ذلك لم يكن فى الواقع سوى غطاء أو واجهة، حيث إن الهدف السرى للغاية من بناء ذلك المستشفى كان إجراء تجارب على أسرى الحرب الأمريكيين والكوريين الجنوبيين، وكان الأطباء العسكريون يتدربون عليهم فى ميدان معالجة الجروح الخطيرة، أو بتر الأعضاء، كما كان يتم استخدامهم من أجل تجريب آثار العناصر الكيميائية أو البيولوجية، أو تقدير آثار الإشعاعات الذرية».

وكان السوفييت يستخدمون الأسرى الأمريكيين أيضا من أجل معرفة مدى قدرتهم على التحمل جسديا ونفسيا، وكذلك لتجريب عدة أنواع من المخدرات التى تساعد على السيطرة الذهنية على الآخر، وكان على

تشيكوسلوفاكيا أن تبنى أيضا محرقة فى كوريا الشمالية من أجل التخلص من الجثث بعد إجراء التجارب على أصحابها فى حياتهم. (المخابرات الأمريكية تكشف فضائح الحرب الباردة - اللواء الدكتور على محمد رجب - تقرير - مجلة خالد العسكرية - أول مارس ٢٠٠٨).

ولم يستخدم الأمريكيون الكوريون الجنوبيون وحدهم كحقل تجارب بشرية، بل جرى أيضا استخدام الآلاف من الأسرى السوفييت والتشيكوسلوفاكيين للغرض نفسه.

وكان الأمريكيون والكوريون الجنوبيون مهمين للمشروع السوفيتى، ذلك أنه كان من المهم فهم تأثير مختلف أنواع المخدرات والعناصر الكيميائية والبيولوجية والإشعاعات الذرية على عروق أخرى، وعلى بشر جرت تربيتهم بصورة مختلفة، وكان السوفييت يريدون أيضا معرفة ما إذا كان هناك فرق - حسب البلد الأصلى - فى قدرة الجنود على تحمل وطأة حرب نووية ومتابعة القتال.

وكان السوفييت يفكرون جديا بضرورة التحضير للحرب النووية، ولتطوير المخدرات والمنتجات الكيميائية، وكان ذلك يتطلب القيام بتجارب على بشر من جنسيات معادية مختلفة، وبما أن الولايات المتحدة كانت العدو الرئيس فى ذلك الوقت، فإن أسرى الحرب الأمريكيين كانوا أكثر المطلوبين لإجراء التجارب عليهم.

وعند نهاية الحرب الكورية، كان هناك مئة فقط من سجناء الحرب لا يزالون بمثابة عناصر قابلة للاستخدام من جل إجراء اختبارات، ويعتقد أن الآخرين ماتوا أثناء التجارب، إذ لم توجد تقارير تدل على أنه لا يزال هناك أسرى مرضى على قيد الحياة بالمستشفى، وهذا باستثناء المئة الذين كانوا لا يزالون على قيد الحياة عند نهاية الحرب، وهؤلاء الباقون جرى تحويلهم على أربع دفعات إلى تشيكوسلوفاكيا أولا لإجراء فحوصات طبية لهم، ثم تم إرسالهم إلى الاتحاد السوفيتى.

وأكد «جان سينجا» - الأمين العام الأسبق للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى - وقوع الأمر نفسه فى (فيتنام) و (لاوس) أثناء الحرب الفيتنامية، والفرق الوحيد هو أن تلك العمليات كانت أفضل تنظيما، وبالتالى، أجريت التجارب على عدد أكبر من الأسرى الأمريكيين فى (فيتنام) أو (لاوس) أو (الاتحاد السوفيتى) السابق، وكان يتم تنظيم عملية استلام أسرى الحرب عند استقدامهم، وتأمين أماكن لهم قبل تحويلهم إلى الاتحاد السوفيتى، حيث جرى نقلهم فيما بعد فى حافلات طليت نوافذها الزجاجية باللون الأسود، واقتيدوا إلى براغ، حيث حلوا فى ثكنات عسكرية، أو مراكز أمنية أخرى، بانتظار ترحيلهم إلى الاتحاد السوفيتى السابق، وما بين عام ١٩٦١م وعام ١٩٦٨م جرى نقل ما لا يقل عن (٢٠٠) أسير حرب أمريكى عبر براغ إلى موسكو، وتلك العملية جرت فى إطار السرية التامة، وكانت المعلومات الخاصة بها مصنفة على أنها أسرار دولة، أى أكثر من «سرى للغاية»، ويعتقد أنه لم يكن فى تشيكوسلوفاكيا كلها أكثر من (١٥) شخصا يعرفون بنقل أسرى حرب أمريكيين إلى الاتحاد السوفيتى.

بعد شهادة «جان سينجا» الأمين العام الأسبق للحزب الشيوعى التشيكوسلوفاكى، جاء دور الكولونيل الأمريكى المتقاعد «فيليب كورسو»، الذى كان مديرا لأجهزة الاستخبارات الأمريكية أثناء الحرب الكورية فى القيادة الشرقية، وبعد تأكيده على أنه كان يعرف بوجود عدة قوافل من أسرى الحرب الأمريكيين فى الحرب الكورية، الذين جرى تحويلهم إلى الاتحاد السوفيتى السابق، حيث مورست عليهم عمليات غسل دماغ، وارتكبت فى حقهم أشنع الفظاعات، أضاف: «عند عودتى إلى الولايات المتحدة جرى تعيينى فى مجلس تنسيق عمليات البيت الأبيض، وفى مجلس الأمن القومى، حيث كان اهتمامى بجميع المشروعات الخاصة بأسرى الحرب الأمريكيين، وقد اكتشفت عندها أن السياسة الأمريكية منعت الانتصار فى كوريا، وكانت تلك السياسة معادلة لحالة شك حقيقية، وقد

صرفت جهودنا من أجل استعادة أسرانا من العدو، بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى، وبعد سنوات، تحدثت عن ذلك الوضع مع وزير العدل فى مكتبه، وقد شاطرنى الرأى، وقد أسمينا تلك السياسة بسياسة (ورقة التوت)، وفى عام ١٩٥٣م، كان هناك (٥٠٠) أسير أمريكى بين مريض وجريح، على بعد (١٥) كيلومترا من نقطة مبادلة السجناء، لكن لم تتم مبادلتهم أبدا».

ويضيف (فيليب كورسو): «عندما كنت فى الخدمة فى القيادة الشرقية، تلقيت العديد من التقارير التى أكدت أنه جرى تحويل أسرى الحرب الأمريكيين إلى الاتحاد السوفيتى، وقد تنوعت مصادر تلك التقارير من أسرى حرب صينيين أو كوريين شماليين، وتقارير عملاء لنا، ومحاضر لوطنيين صينيين، ومن الهاربين والأسرى الأمريكيين الذين عادوا».

وقد أعدت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية تقارير حول المخزون الهائل الذى كان يمتلكه الاتحاد السوفيتى السابق فى نهاية الحرب العالمية الثانية من الأسلحة الكيميائية والبيولوجية، وخصوصا فى أوكرانيا، ومنطقة الأورال، والجمهوريات الإسلامية آنذاك. وقد أكدت تلك التقارير أن السوفييت كانوا قد كدسوها هناك، تحسبا لاحتمال نشوب نزاع مع الصين، وقد وجدت وثائق عديدة تعود لأجهزة الاستخبارات الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية، وكانت تتحدث بالتفصيل عن القدرات السوفيتية فى مجال التسليح البيولوجى، وكانت أهم المختبرات السوفيتية موجودة على ضفاف نهر الفولجا. ويتحدث أحد تلك التقارير عن أنه كان يتم حقن الفئران بجراثيم الطاعون، ثم يتم قذفها بصناديق تتحطم عند ملامستها الأرض، وبذلك تتحرر الفئران لتشيع المرض على نطاق واسع.

وأكدت تقارير وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية على أن الصين كانت قد كدست أيضا كميات كبيرة من الأسلحة البيولوجية، وأطلقت برامجها فى هذا الميدان منذ عام ١٩٤٠م، بعد أن كانت طائرة يابانية قد ألقت كميات كبيرة من الأرز والقمح المحشوة بمادة (الانثراكس) السامة على

مدينة صينية، وبعد عام فقط، كانت مدينة صينية أخرى قد عرفت المصير نفسه، ولكن هذه المرة بحبوب أرز وقمح مضمنة بجراثيم الطاعون، وكانت أعداد الضحايا كبيرة فى الحالتين.

وأثناء الحرب العالمية الثانية، لقى الآلاف من الجنود الصينيين حتفهم بسبب جراثيم متنوعة ألقتها الطائرات المعادية، لكن لم ترد الصين على ذلك بالمثل أبدا. وعندما اندلعت الحرب الكورية كانت خشية واشنطن كبيرة بعد ذلك من أن تستخدم الصين الأسلحة البيولوجية تلك المرة، مع التأكيد على أنه قد جرى اختبار جراثيم تؤدى للإصابة بأربعة أمراض من أجل استخدامها ضد كوريا الشمالية من قبل الأمريكيين، وهى أمراض الجمرة الخبيثة (الانثراكس)، والحمى المالطية (المتموجة)، و(الحمى التلرية) نسبة إلى منطقة تلار فى كاليفورنيا، حيث ظهر المرض للمرة الأولى، (وداء البغاء) الذى يمكن أن يصيب الإنسان أيضا.

وكان تقرير قد صدر عن اللجنة العلمية الدولية للتحقيق فى الوقائع الخاصة بالأسلحة الجرثومية فى كوريا والصين ـ وهو تقرير منشور عام ١٩٥٢م، ويتألف من (٧٠٠) صفحة ـ قد وصل إلى نتيجة مفادها أن السكان الصينيين والكوريين جرى استهدافهم بالفعل بأسلحة جرثومية. كما أن ذلك التقرير تضمن قائمة بالأسلحة التى جرى استخدامها ضد كوريا الشمالية، وكان من أكثر الأسلحة استخداما أقلام تحوى حبرا ملوثا بالجراثيم المسببة للأمراض، وأيضا ريش مغطى (بالانثراكس) (جرثومة الجمرة الخبيثة)، وبراغيث، وقمل، وذباب، تحمل كلها جراثيم الطاعون، والحمى الصفراء.

كان العالم الأمريكى (فرانك ولسون) قد قام بعدة أسفار إلى بريطانيا كى يدرس النشاطات الخاصة بالتسلح البيولوجى مع الدكتور (وليام سارغان)، المسؤول البريطانى عن ذلك القطاع فى إطار جهاز الاستخبارات الانجليزية (إم آى ٦). وفى أحد أسفاره ـ بتاريخ ٩ مايو ١٩٥٠م ـ ذهب إلى قاعدة تابعة للقوات الجوية البريطانية، التى كان يستخدمها آنذاك عملاء

وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية وجهاز الاستخبارات البريطانى للانطلاق إلى أوروبا.

ويروى أحد التقارير أن أحد الباحثين البريطانيين شرح لـ (ولسون) أنه كان يحاول الحصول على سم زعاف من مرارة تمساح، وأنه كان ينبغى للحيوان أن يكون حيا كى يكون السم فعالا، لذلك فكر هذا الباحث أن يسأل مخازن شهيرة فى لندن، والتى رفعت شعار: (نبيع كل شئ)، عما إذا كان بإمكانها أن تستورد تمساحا له من أفريقيا، ولم يتم تنفيذ تلك الفكرة، إذ رفضها رؤساؤه بسبب ما تحمله من مخاطر، واقترح باحث آخر فى مجال الكيمياء مشروع خلط نوع من الأسمنت، كان شائع الاستخدام فى البناء بالاتحاد السوفيتى بمادة تجعله يتفسخ فيما بعد، وأطلع (ولسون) فى بريطانيا على العديد من السموم المستخدمة من القواقع البحرية وغيرها.

وكان (ولسون) قد وصل إلى إنجلترا فى مايو ١٩٥٣م، حيث حصل على ترخيص يسمح له بزيارة المناطق البريطانية والفرنسية والأمريكية فى برلين الغربية، والتى كان يهم بالذهاب إليها، وقد رأى هناك - فى برلين - للمرة الأولى استخدام أحد اكتشافاته على المدانين بأن يكونوا حقولا للتجارب، وواجه (ولسون)، للمرة الأولى، حقيقة ما كان يفعله، ولم يخف أنه حضر عملية قتل المدانين بالتجارب التى كانت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية تستخدمهاالتجاربها فى ألمانيا، وكان يطرح على نفسه الكثير من الأسئلة، وكان بحاجة إلى من يطمئنه حيال رغبته للحديث مع رؤسائه المباشرين عما رآه. وكان (ولسون) هو النموذج الكلاسيكى للعالم المخبر الذى يرى للتو النتيجة النهائية لعمله.

وبعد إقلاع (ولسون) مباشرة إلى الولايات المتحدة من إحدى القواعد التابعة للقوات الجوية الملكية البريطانية بالقرب من لندن، عمل الدكتور (سارغان) ما اعتبره واجبه، ونصح رؤساءه فى الأجهزة السرية البريطانية بعدم السماح ل (ولسون) بالوصول إلى الأبحاث التى كانت تجرى فى

مختلف المؤسسات السرية التى زارها سابقا فى بريطانيا، واعتبر (سارغان) أن (ولسون) قد أصبح شخصا مؤهلا للذهاب إلى وسائل الإعلام كى يكشف لها ما يجرى، وأنه كان يعتبر ذلك واجبا وطنيا.

كان (سارغان) على دراية كاملة بأن التقرير الذى سوف يكتبه عن (فرانك ولسون) سوف يتم تحويله إلى رؤسائه فى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وكان الأمريكيون والبريطانيون دائما على درجة عالية من التلاحم حيال مثل هذا النوع من المشكلات.

وكان مما كتبه (سارغان) فى ذلك التقرير، قوله: «إن (ولسون) كان مشوشا بعمق مما رآه فى أقبية وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية فى ألمانيا، وهناك عناصر مختلفة تدل على أنه لم يكن ينوى الاحتفاظ بسر ما قد رآه».

وقبل عدة أسابيع فقط من موت (فرانك ولسون) فى ٢٣ نوفمبر ١٩٥٣م، كان الدكتور (ستانلى غوتليب) يركز أبحاث قسمه كلها حول مادة واحدة هى (إل. إس. دى)، وكان قد اكتشف أن جرعة صغيرة جدا من ذلك المخدر يمكن أن تعطى نتائج باهرة، إذ أن الذين يأخذونه يفقدون مفهوم الزمن والمكان الذى هم فيه، ويفقدون التمييز بين الخير والشر، أى إنهم يفقدون كوابحهم، ويكثرون من مزاعمهم، ويقولون بصوت عال ما يجول فى رؤوسهم، إن رجالا أصحاء الجسد والعقل يصبحون مجانين مؤقتا، وكان هناك رجل جرى خلط ما يشربه بقليل من هذه المادة، فتبدى له أنه يرى قوس قزح يخرج من الأرض، ووحوشا تنبثق من الجدران، ثم سقط على الأرض وهو يصرخ ويقول: «إننى مستعد للاعتراف بأى شىء كى يتوقف ذلك».

هذه النتائج دفعت الدكتور (غوتليب) للتفكير بأنه قد ينبغى استخدام مادة (LSD)، فى حالة (ولسون)، أى اعتباره (حقل تجارب)، إذ قد يمكن بذلك التعرف بسهولة أكبر على استعداداته، وقد جاء فى إحدى الوثائق أنه

فى مطلع نوفمبر ١٩٥٣م، أخبروا (ولسون) أن عليه حضور ندوة مدتها ثلاثة أيام، حيث سيتم نقاش آخر التطورات التى وصل إليها مشروع الأسلحة السرية، وفى يوم ١٨ من ذلك الشهر، توجه إلى حيث سيتم عقد الندوة، وكان عدد الحضور حوالى اثنى عشر شخصا من المعنيين بالموضوع، وكان الجميع خبراء بالاغتيال.

وفى نهاية اليوم الأول، وعند العشاء أصر (غوتليب) - وهو خبير فى عمليات الاغتيال - على أن يجلس (ولسون) بجانبه، وكان شديد اللطف معه، ثم عندما فرغوا من الطعام، دعاهم جميعا لشرب كأس قبل الذهاب إلى النوم، وهكذا، عرف (غوتليب) النوع الذى يفضله (ولسون) ليعطيه فى مساء اليوم التالى كأسا منه ممزوجا بمادة (LSD)، وبعد عشرين دقيقة، أخذ (ولسون) يردد للجميع: «أنتم لستم سوى عصابة من الجواسيس، وينبغى على ألا أوجه كلاما لكم». ثم خرج وهو تحت تأثير المخدر وذهب إلى منزله، ولم يقل لزوجته عند وصوله سوى جملة واحدة، هى: «لقد كنت فى عالم مختلف، وكنت مشوشا جدا».

وفى اليوم التالى - وكان يوم أحد - أبدى (ولسون) مزاجا أفضل، ودعته زوجته لحضور فيلم سينمائى، وكان عن رجل يناضل وحده ضد منظمة قوية، ولم يتفوه (ولسون) بكلمة واحدة عند العودة إلى المنزل، وذهب للنوم مباشرة، لينهض فى صباح اليوم التالى مبكرا، ويغادر المنزل، وهو يقول لزوجته إن عليه الاهتمام بقرار حاسم، وعندما وصل إلى المكتب بادر رئيسه المباشر بقوله: «إما أن تطردوننى أو أستقيل».

وفى أحد فنادق نيويورك، انتهت حياة (فرانك ولسون) ليلة ٢٣ نوفمبر ١٩٥٣م، وطويت القضية يومها على أساس أنه انتحر. إذ ألقى بنفسه من الطابق العاشر للفندق.

■ ■ ■

13

حرب الغازات الإسبانية ضد الريف المغربى!!



فى الحادى عشر من شهر أبريل عام ٢٠٠١، أكد باحثان أوروبيان فى التاريخ لجوء القوات الاستعمارية العسكرية الفرنسية والإسبانية لاستخدام الغازات السامة ضد المدنيين فى مناطق الريف شمال المغرب إبان الحرب التى شنت لإخماد المقاومة الريفية بقيادة الزعيم محمد عبد الكريم الخطابى فى العام ١٩٢٤م.

وقال سيبستيان بلفور الخبير الأكاديمى الإنجليزى فى مؤتمر صحفى بالرباط عقدته جمعية الدفاع عن ضحايا حرب الغازات السامة بالريف بعد أن منعت السلطات المحلية لمدينة الحسيمة عقد ندوة دولية حول الموضوع: «إن الدلائل موجودة حول استعمال الغاز السام المحظور المسمى غاز الابريت فى الحرب التى بقيت حربا شبه سرية واخبارها مجهولة لدى الاسبان».

ولم يستبعد بلفور احتمال ارتفاع نسبة الإصابة بالسرطان عند سكان الريف، باستعمال غاز «الابريت» الفتاك، لإنهاء الحرب بسرعة، غير أنه ترك الحسم النهائى فى الظاهرة للنتائج التى قد تستخلص من بحث علمى ميدانى دقيق العلاقة ما بين مرضى السرطان وآثار الغازات.

وأوضحت الباحثة الإسبانية مارية روزا أن «حالات لمرضى مغاربة عرضوا فى المستشفى الفرنسى بطنجة فى فترة من التاريخ كانت شبيهة بحالات ضحايا الغازات السامة خلال الحرب العالمية الأولى». وطالبت «بالاعتراف الأخلاقى على الأقل بالجريمة المقترنة فى حق سكان المنطقة».

وقال مسؤول فى الجمعية المغربية لضحايا حرب الغازات السامة فى تعليقه عن منع الندوة: «نحن متشبثون بعقد الندوة لاحقا، وسنقوم بجميع المساعى للسماح لنا بممارسة حقنا فى البحث والتقصى فى الموضوع، والمنع يناقض القوانين المغربية والحريات العامة ومبادئ ومقتضيات الدستور وحقوق الإنسان بالمغرب، ومحامى الجمعية يدرس إمكانيات رفع دعوى قضائية ضد السلطة الإدارية التى فاجأت الجميع بالمنع».

وقال عزيز بن عزور المسؤول بمكتب الجمعية «تولد لدينا الأمل فى عقد الندوة بعد رسائل إيجابية من وزير العدل ووزير الشؤون الخارجية فى الحكومة».

مشيرا إلى أن الوزيرين تمنيا النجاح لندوتنا فى كشف الحقائق. وقال ابن عزور هناك مفارقة وتناقض فى سلوك الحكومة. وعقلية خاصة فى التعامل مع قضايا منطقة الريف.

وتساءل بن عزور «لماذا كل هذا، الخوف من قضية المعالجة مع التاريخ» سياسية وأكاديمية من المغرب وفرنسا وإسبانيا.

وأكدت الجمعية أن العروض العلمية المبرمجة فى الندوة مثل عرض للخبير سيبستيان، «الذى يشتغل على الأرشيفات العسكرية» تثبت بما لا يدع مجالا للشك أن القوات الاستعمارية الفرنسية والإسبانية استعملت فعلا غازات سامة فى حربها ضد المقاومة المغربية فى المناطق الشمالية المغربية.

وأكدت الجمعية أن لديها معطيات «تثبت أن المضاعفات الصحية التى يعانى منها سكان المنطقة، خاصة مرضى السرطان ناجمة عن استعمال غازات سامة».

وقد جاءت حرب الغازات السامة فى إطار رغبة الإسبان فى السيطرة على الريف المغربى التى تعود إلى ما يزيد من خمسة قرون، فعندما تمكنوا فى بداية القرن ١٥ من القضاء على آخر المعاقل الإسلامية بإسبانيا، نقلوا الصراع إلى الضفة الجنوبية لحوض المتوسط، ابتدؤوا بتخريب مدينة تطوان واحتلال مدينتى مليلية وسبتة وعدد من الجزر، ثم تكثفت هجوماتهم فى أواخر القرن ١٩ وبداية القرن العشرين، بعد احتلالهم الكامل لتراب الريف سيعلنون فى ١٠ يوليو ١٩٢٧ نهاية الحرب.

وبعد سنوات من إذلال الريفيين وقمعهم واستغلال خيراتهم ونهب ثرواتهم عمدوا فى سنة ١٩٥٦ إلى تسليم جزء من أراضى الريف فى

ظروف غامضة إلى المسيطرين على الدولة المغربية، الذين عاثوا فى الريف فسادا وإجراما.

اليوم لا يزال المئات من الإسبان يقصدون الريف قصد السياحة والاستثمار وبدعوة مساعدة الريفيين على التنمية وتطوير الخدمات الاجتماعية، وأصبح الآلاف من الريفيين مجبرين على ركوب الأخطار للعبور نحو إسبانيا بحثا عن العمل.

وعلى امتداد هذه القرون ارتكبت اسبانيا الكثير من الجرائم فى حق الريف و الريفيين، أبرزها تلك التى اقترفتها خلال الفترة الممتدة من ١٩٢١ و١٩٢٧ (فترة حرب الريف)، وعلى رأسها جريمة استعمال المواد الكيماوية التى استمر الصمت بشأنها مدة تزيد عن ٦٠ سنة.

وتقول بعض الروايات إلى أن الإسبان كانوا يعمدون إلى إحراق محاضر الاجتماعات التى كانت تناقش فيها استعمال المواد الكيماوية، لعلمهم بأن هذا الاستعمال تحرمه الاتفاقيات الدولية التى كانت حينذاك، وأهمها معاهدة فيرساى لسنة ١٩١٩ التى حرمت على الألمان بالخصوص صناعة المواد الكيماوية الحربية، ثم بروتوكول جنيف لسنة ١٩٢٥ الذى منع الاستعمال على الجميع لكنه سمح للدول التى تتوفر عليه بتخزينه. ورغم ذلك انتهك الإسبان هذه الاتفاقيات.

وكان سكان جبال الريف، بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابى، قد قاوموا قوات الاحتلال الإسبانية وألحقوا بها هزيمة نكراء فى معركة أنوال عام ١٩٢١، فعمدت إلى إلقاء مئات الأطنان من القنابل شديدة الانفجار، قبل أن تجرب لأول مرة فى تاريخ البشرية إلقاء الغازات السامة بالطائرات بدءا من عام ١٩٢٤، واستمرت فى ذلك إلى ما بعد استسلام آخر المجاهدين عام ١٩٢٦، وبخصوص الغازات المستعملة فى حرب الريف، ذكرت مصادر غربية متعددة أن القوات الإسبانية ألقت على المجاهدين غاز

الخردل وغاز «كرون بيكرينا» وغاز الـ «فوسجين» وغازات أخرى، كان لها أثر كبير على نفسية المجاهدين الريفيين، وهو ما أدى إلى استسلام القائد محمد بن عبد الكريم الخطابى يوم ٢٦ مايو ١٩٢٦ بمنطقة «ستادا» من قبيلة «بنى يطفت»، ونفيه إلى جزيرة «لارينيون».

وقد نقلت صحيفة «الشرق الأوسط» فى شهر مارس عام ٢٠٠٣، عن طريق مراسلها محمد الراوى، شهادات بعض شهود العيان من أهل الريف الذين كانوا ـ آنذاك ـ لا يزالون على قيد الحياة منهم الحاج حدو القايد عمار ومحمد الريفى.

ويعتبر الحاج حدو القايد عمار، ١٠٢ سنة، وهو من بلدة «أجدير» ـ كما يقول مراسل الصحيفة الذى التقى به ـ من بين قلة نادرة ممن عاشوا تلك الأحداث، اذ كان فى عز شبابه عندما كانت الطائرات الإسبانية تلقى غازاتها السامة على المجاهدين فى جبال الريف قبل ثمانية عقود.

وظلت تلك المناظر المروعة من الذكريات عالقة حتى اليوم فى ذهنه. وقال هذا الشيخ الوقور إن الغزاة الإسبان ضربوا المنطقة بـ «أرهاج» (السم باللهجة الامازيغية)، وأصيب السكان إصابات خطرة، فمات كثير منهم، وأصيب بعضهم بالعمى مؤقتا، فيما فقد آخرون أبصارهم. وعانى كثيرون من حروق وتشوهات جلدية.

وأضاف أن أهل المنطقة كانوا يعالجون التشوهات الجلدية بزيت الزيتون الساخن أو بعصير الليمون. كما كان المجاهدون يعمدون إلى تغطية أفواههم وأنوفهم بخرق مبللة بالماء لتفادى استنشاق «أرهاج» (السم).

وأكد محمد الريفى، المعروف باسم «سانتياغو»، ٩٥ سنة، أن المواقع والبقع الأرضية التى تفجرت فيها قنابل الغاز السام لم ينبت فيها منذ ذلك الوقت أى غرس أو نبات. والمناطق الأكثر تضررا كانت هى قبائل «بنى

وريباغل» وحاضرتها بلدة «أجدير». كما شملت الإصابات مناطق أخرى من بينها «بنى بوفراح» و«تيزمورين» والمنطقة الساحلية، بل أصيبت حتى منطقة «شفشاون» البعيدة نسبيا.

من ناحية أخرى، أبرزت المؤرخة الإسبانية «ماريا روسا دى مادارياغا» مؤخرا ضرورة إقرار إسبانيا باستعمال أسلحة كيماوية من قبل الجيش الإسبانى ضد الساكنة المدنية فى الريف بداية القرن العشرين.

وأكدت المؤرخة الإسبانية، التى ألفت العديد من الكتب والدراسات حول الريف، خاصة «إسبانيا والريف: كرونولوجيا تاريخ شبه منسى»، أنه «يجب الفصل بين مسألة الاعتراف والنقد الذاتى وبين مسألة التعويض لأسر الضحايا».

وذكرت دى مادارياغا، فى معرض حديثها بمدريد فى إطار مائدة مستديرة حول استعمال الجيش الإسبانى للأسلحة الكيماوية فى حرب الريف، بأن الإسبان كانوا يسعون لـ «إبادة» سكان الريف بعد معركة أنوال (١٩٢١)، والتى وصفتها «بأكبر هزيمة لجيش استعمارى فى القرن العشرين».

وكان البرلمان الفرنسى قد رفض، فى١٤ فبراير٢٠٠٧، الموافقة علي مقترح قانون يتعلق بالإقرار باستعمال إسبانيا أسلحة كيماوية منذ الهزيمة الإسبانية فى معركة أنوال ضد سكان الريف، في حين أن هذه الأسلحة كانت ممنوعة بموجب معاهدتى لاهاى لسنتى ١٨٩٩ و١٩٠٧.

وقد تم رفض مقترح القانون، الذى تقدم به حزب اليسار الجمهوري الكاتلونى، بمجموع ٣٣ صوتا في صفوف الحزب الاشتراكى العمالي الإسبانى (أحد أحزاب الحكومة) والحزب الشعبى (المعارضة)، واللذان يتوفران على أغلبية بالبرلمان الإسبانى.

وقد رفض كل من الحزب الاشتراكي العمالى الإسبانى والحزب الشعبى نص المقترح جملة دون تقديم أى تعديل يمكن من التوصل إلى حد أدنى من التوافق.

واعتبرت الكاتبة الإسبانية أن «أصحاب مقترح القانون المذكور ارتكبوا خطأ الخلط بين النقد الذاتى للدولة الإسبانية ومنح تعويض للضحايا. كان عليهم التأكيد فقط على الاعتراف إذ أنه حتى قانون الذاكرة التاريخية حول الحرب الأهلية الإسبانية لا يتضمن تعويضات».

وقد نظمت المائدة المستديرة، التى قدمت الكاتبة الإسبانية دى مادارياغا المداخلة فى إطارها، المجموعة الثقافية (نيكور)، التى يوجد مقرها بمدريد، عقب عرض وثائقى «أرحاش» (سم الأفعى بالأمازيغية) أنجزه المغربى طارق الإدريسى.

وإلى جانب ماريا روسا دى مادارياغا، استند العديد من المؤرخين والباحثين الإسبان المرموقين، من قبيل خوان باندو وكارلوس لازارو وأنخيل فيناس، إلى الأرشيف الرسمى للدولة الإسبانية للتأكيد على أن الجيش الإسبانى لجأ إلى استخدام أسلحة كيماوية لإخماد مقاومة سكان شمال المغرب، التى قادها الراحل عبد الكريم الخطابى ما بين ١٩٢١ و ١٩٢٧.

وكان الضباط يطلقون اسم «قنابل إكس» أو «قنابل خاصة» على هذه الأسلحة التى كانت تصنع انطلاقا من مواد كيماوية خطيرة جدا كالفوسجين والديفوسجين والإيبيريت والكلوروبيكرين.

وأكدت دى مادارياغا أن هذه القنابل صنعت فى مليلية المحتلة بمواد كيماوية مستوردة مباشرة من ألمانيا.

مختلف الوثائق والمراجع والكتب المؤلفة من قبل العديد من الصحافيين والباحثين والمؤرخين والجنود وشهادات الضحايا والمعايشين لحرب الريف والمشاركين فيها أثبتت مما لا يدع مجالا للشك أن الإسبان استعملوا موادا كيماوية، وذلك باستعمال جمع أنواع القنابل، الحارقة والخانقة والمتفجرة، مما يجعل اعتبار ما وقع حربا كيماوية بأسلحة الدمار الشامل.

14

٨٦ مليون صينى
ضحايا جراثيم اليابان !!



فى السابع والعشرين من أغسطس عام ٢٠٠٢، اعترفت محكمة طوكيو بأن اليابان شنت حربا جرثومية فى الصين خلال الحرب العالمية الثانية ولكنها رفضت طلبات بتقديم تعويضات للضحايا.

كانت هذه هى المرة الاولى التى تعترف فيها محكمة يابانية بأن الجيش اليابانى شن حربا جرثومية فى الصين ونفذتها الوحدة ٧٣١ الشهيرة ووحدات أخرى بالجيش اليابانى خلال الغزو اليابانى الوحشى للصين فى الفترة من عام ١٩٣٧ الى ١٩٤٥.

وقال كبير القضاة كوجى ايواتا بينما كان يقرأ الحكم إن «الأدلة تظهر أن القوات اليابانية ومن بينها الوحدة ٧٣١ وغيرها استخدمت أسلحة بكتيريولوجية بناء على أوامر من مقر الجيش اليابانى الإمبراطورى وأن العديد من السكان المحليين لقوا مصرعهم».

وبالرغم من أن المحكمة اعترفت بالحقائق الوحشية إلا أنها استبعدت أن تتحمل الحكومة اليابانية المسئولية القانونية. كان المدعون الصينيون قد رفعوا دعوى قضائية ضد الحكومة اليابانية مطالبين باعتذار لاستخدامها حربا جرثومية ضد المواطنين الصينيين. كما طالبوا بتعويضات.

وكانت الدعوى القضائية قد رفعت فى محكمة طوكيو فى عامى ١٩٩٧ و١٩٩٩ من جانب، ١٨٠ شخصا من بينهم ضحايا وأقارب الضحايا المتوفين فى الحرب الجرثومية. وقد أظهرت الأدلة فى المحاكمة أن الآلاف من المواطنين الصينيين ماتوا بالطاعون والكوليرا اللذين زرع جراثيمهما علماء عسكريون يابانيون فى الصين فى الحرب العالمية الثانية.

وقال المدعون إن الحكومة اليابانية حاولت إخفاء الحقائق حول الحرب الجرثومية وعدم اتخاذ آية خطوات لتعويض الضحايا.

وفى نهاية الحرب العالمية الثانية حاول الجيش اليابانى تدمير الأدلة

بهدم منشآت الوحدة ٧٣١ فى شمال شرق الصين.

كما حاولت اليابان تغطية دور الوحدة ٧٣١ ولم يوجه اتهام لأحد من أفرادها بعد اتفاقية مع القوات الأمريكية المحتلة آنذاك.

غير أن تفصيلات أنشطة الوحدة ٧٣١ خرجت إلى الضوء نتيجة للكشف عن سجلات الحكومة الأمريكية وقت الحرب وشهادة أعضاء الوحدة السابقين.

وذكرت الأنباء نقلا عن رئيس المحكمة اليابانى كوجى ايواتا قوله إن الضرر الذى تسببت فيه الحرب الجرثومية كان مروعا وهائلا، ولا يمكن اعفاء الجيش اليابانى آنذاك من الحكم بأن العمل الذى ارتكبه كان غير إنسانى.

وقال القاضى إن مسئولية الدولة تم تسويتها بالفعل طبقا للقانون الدولى، وذكر أن الأفراد ليس لهم الحق فى طلب تعويض من دولة كانوا فى حالة حرب معها. أقيمت الوحدة ٧٣١ فى شمال شرق الصين بعد أن شكل جيش كوانجتونج اليابانى دولة عميلة فى الصين عام ١٩٣١م.

ومع وجود مقر قيادتها فى هاربين عاصمة مقاطعة هيلونغجيانغ شمال شرق الصين، ظلت الوحدة وقوامها ألفا جندى تعمل حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، كما يطلق بعض المؤرخين عليها، كمصنع للقتل يزرع بكتيريا قاتلة ويشرح الأحياء.

وتسببت الوحدة فى قتل أكثر من ١٠ آلاف من أسرى الحرب الصينيين والحلفاء وأشخاص آخرين من الصين وشبه الجزيرة الكورية ومنغوليا والاتحاد السوفيتى الذين استُخدموا كحقل تجارب.

وعلى عكس ألمانيا التى اعتذرت عن الفظائع التى ارتكبتها وقت الحرب وقدمت تعويضات للضحايا، رفضت اليابان مواجهة الحقيقة بأن الفظائع التى ارتكبتها فى زمن الحرب فى الصين هى المسئولة عن مقتل وإصابة عشرات

الملايين من المدنيين والجنود الصينيين، ناهيك عن تقديم التعويضات.

وقد بلغ عدد القتلى والجرحى من المدنيين والعسكريين خلال فترة العدوان اليابانى ٣٦ مليونا وتجاوزت خسارة الصين الاقتصادية ٦٠٠ مليار دولار أمريكى.

لقد ارتكبت اليابان من نهاية القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين، جرائم عدوانية فظيعة، فنهبت من الصين ٢٣٠ مليون أوقية من الفضة كتعويض عن الحرب، تعادل ٤,٥ أضعاف دخل اليابان المالى فى عام ١٨٩٤. بعد الحرب بين اليابان وروسيا ١٩٠٥، احتلت اليابان ليوشون وداليان بالصين وفى عام ١٩٣١، اعتدت على شمال شرقى الصين. ابتداء من عام ١٩٣٧، وسعت اليابان حربها العدوانية إلى شمال وشرق وجنوب الصين.

كان الجيش اليابانى يقتل المدنيين وينهب الثروات بجنون فى كل مكان يصله، وارتكب جرائم وحشية نادرة المثال فى تاريخ البشرية الحديث، وسبب مصائب خطيرة للشعب الصينى. وقد بلغ عدد القتلى والجرحى من المدنيين والعسكريين الصينيين خلال العدوان اليابانى ٣٥ مليونا، وتجاوزت خسارة الصين الاقتصادية ٦٠٠ مليار دولار أمريكى.

نفذ الجيش اليابانى المعتدى على الصين سياسة «حرق كل الأشياء ونهب كل الممتلكات وقتل كل الصينيين» الوحشية. تحت إرشاد هذه السياسة، قام الجيش اليابانى بمذابح فظيعة لا حصر لها. مثلا، فى مايو ١٩٤٢، قام الجيش اليابانى باكتساح قرية بيتونغ بوسط مقاطعة خبى، أطلق الغاز السام فى الخنادق التى احتمى بها أبناء القرية، مما أسفر عن موت أكثر من ألف شخص من أبناء القرية والميليشيا، وثمة مذابح لا يحصى لها عدد مثل هذه المذبحة.

وبعد أن تصاعدت وتيرة الحرب اليابانية ضد الصين، دعا يشى

يشـيـرو، وهو طبـيب فـى الجـيش اليـابانى، إلى تشكيل قـوة لشن حـرب جـرثومية، على أن يتحمل هو مسئوليتها. فى عام ١٩٣٢، نقل يشى يشيرو قاعدة المختبرات من اليابان إلى شمال شرقى الصين، وأقام مصنعا تجريبيا للجراثيم فى بلدة أربيينخـه بجنوب مدينة هاربين، ونقله إلى بلدة بينغفانغ عام ١٩٣٥، وتحول اسمه إلى الجيش رقم ٧٣١، الذى كان أكبر قوة لحرب الجراثيم أقامها الجيش اليابانى المعتدى فى الصين.

وخلال اثنتى عشرة سنة، قام بتصنيع جراثيم الطاعون وحمى التيفويد والزحار الأحمر والكوليرا والسل والجمرة الخبيثة وغيرها من الجراثيم، ثم جربوها على أكثر من خمسة آلاف أسير ومدنى فى صحة جيدة بأساليب تشمل التشريح وتربية الجراثيم البيولوجية المتنوعة.

وأقام الجيش اليابانى قواعد ومصانع لحرب الجراثيم فى هاربين وتشانغتشون وبكين ونانجينغ وقوانغتشو الصينية وسنغافورة وماليزيا على التوالى، وفروع لها فى ٦٣ مدينة صينية. وفى إبريل ١٩٣٩، على سبيل المثال، كون الجيش اليابانى قوة لحرب الجراثيم باسم «الجيش ١٦٤٤ بكود رونغ تسى» الذى رأسه يشى يشيرو فى نانجينغ. فى أكتوبر ١٩٣٨ أقام نيشيمورا يجى «الجيش ١٨٥٥ بكود بيبينغ جيا» لحرب الجراثيم.

من عام ١٩٣١ إلى عام ١٩٤٥، استخدم الجيش اليابانى سلاح الجراثيم بحجم كبير أكثر من ٣٦ مرة على الأقل فى أكثر من ٢٠ مقاطعة ومنطقة صينية، حيث استخدم سلاح الجراثيم فى الهجوم والتراجع والاكتساح وقتل اللاجئين والقضاء على قوات حرب العصابات وتدمير القواعد الجوية.

لم يستخدم فقط جرثومة الطاعون بكمية كبيرة، بل استخدم الكوليرا والجمرة الخبيثة والتيفويد والباراتيفويد والزحار والدفتيريا والحمى الراجعة وغيرها من الجراثيم، مما أسفر عن إصابة وموت عدد كبير من الصينيين.

ويبين الإحصاء المسجل أن ٢٧٠ ألفا من المدنيين الأبرياء الصينيين ماتوا بسبب الحرب الجرثومية إلى جانب العسكريين الصينيين، أما عدد الصينيين الذين ماتوا بسبب انتشار الأوبئة التى سببتها الحرب الجرثومية اليابانية فلا يحصى.

وأثناء عدوانه على الصين، استخدم الجيش اليابانى كمية كبيرة من الأسلحة الكيماوية ضد الشعب الصينى، الأمر الذى ألحق بالشعب الصينى أضرارا جسيمة. ففى عام ١٩٢٧، أقام اليابانيون مصنعا للمواد السامة فى جزيرة وكونوجيما، بدأ تطوير وصنع قنابل الغاز السام، وخزنوا كمية كبيرة من الذخائر الكيماوية.

فى عام ١٩٣٣ أنشأ اليابانيون الهيئة العسكرية الكيماوية وقوة الحرب الكيماوية، ومدرسة القوة الكيماوية وبدأ التدريب على الحرب الكيماوية. ثم كونوا القوة الكيماوية ٥١٦، لتكون مسؤولة عن تجارب استخدام الأسلحة الكيماوية على نطاق واسع.

امتدت الحرب الكيماوية اليابانية من عام ١٩٣٧ إلى عام ١٩٤٥، فى ١٨ مقاطعة صينية، وتجاوز عدد المعارك المسجلة التى استخدمت اليابان فيها الأسلحة الكيماوية ألفى معركة أسفرت عن موت وإصابة أكثر من ثمانين ألف عسكرى صينى، والعدد الفعلى أكثر من هذا بكثير. عرف من المقارنة بين سجلات الطرف اليابانى والطرف الصينى حول الحرب الكيماوية اليابانية، أن العدد المسجل لدى الطرف اليابانى يزيد عن العدد المسجل لدى الطرف الصينى، أحيانا أكثر ٢ ـ ٣ أضعاف.

مثلا، فى يوليو ١٩٣٨، عندما هاجم اليابانيون منطقة تشيووه بمقاطعة شانشى، استخدموا نحو ألف أنبوبة غاز سام، كان دخان الغاز السام يغطى الجبهة الأمامية للجيش الصينى. وفى معركة ووهان، استخدم الجيش اليابانى الأسلحة الكيماوية ٣٧٥ مرة، وأطلق ٤٨ ألف أنبوبة غاز سام. فى

مارس ١٩٣٩، قتل الجيش اليابانى كتيبتين من جيش الكومينتانغ الصينى بالمواد الكيماوية السامة.

من أغسطس إلى ديسمبر ١٩٤٠، شن الجيش اليابانى ١١ هجوما بالأسلحة الكيماوية على طوال السكة الحديد بشمال الصين، فتسمم أكثر من عشرة آلاف عسكرى صينى. فى أغسطس ١٩٤١، عندما حاصر الجيش اليابانى قاعدة جينتساجى لمقاومة اليابان، قتل بالمواد السامة أكثر من خمسة آلاف عسكرى ومدنى صينى. وفى الثامن من أكتوبر من نفس العام، استخدم الجيش اليابانى غاز الخردل فى ييتشانغ بمقاطعة هوبى، تسمم أكثر من ألف وستمائة صينى ومات أكثر من ستمائة. فى مايو ١٩٤٢، قتل الجيش اليابانى بالمواد السامة أكثر من ثمانمائة صينى دخلوا الخنادق فى قرية بيتان بمحافظة دينغشيان فى مقاطعة خبى، فكانت «مأساة قرية بيتان» التى هزت العالم.

■ ■ ■

15

الهندسة الوراثية..
فى خدمة الحروب البيولوجية!!



الهندسة الوراثية علم يهتم بدراسة التركيب الوراثى للمخلوقات الحية من نبات وحيوان وإنسان بهدف معرفة القوانين المتحكمة بالصفات الوراثية لهذه المخلوقات على أمل التدخل فى تلك الصفات تدخلا إيجابيا وتعديلها أو إصلاح العيوب التى تطرأ عليها، ومنذ بداية الأبحاث فى الهندسة الوراثية كان أحد أهداف التقنية فى نقل الجينات هو علاج الإنسان من الأمراض الوراثية التى أخذت اهتماما كبيرا من الأطباء والباحثين لإيجاد علاج فعال وجذرى لها، إذ تظهر الأمراض الوراثية عند الولادة أو بعد فترة قصيرة من الولادة إلى جانب حالات أخرى قد لاتظهر إلا بعد منتصف العمر أو فى أواخره، وكل ذلك بسبب عطل فى الجين ومادته الرئيسة المكونة من الأحماض النووية، وهذا الخلل يحدث نتيجة طفرة فى الجين، وقد نجح العلماء فى تجارب على كثير من البروتينات المهمة لحاجة الجسم الدفاعية أو الفسيولوجية، وهكذا فإن الحلم الذى كان يراود الكثير من الباحثين لاستخدام الهندسة الوراثية فى علاج الأمراض الوراثية فى الإنسان أضحى منظورا باتجاه تصحيح الخلل الجينى.

ويشكل الحامض النووى «دى إن إيه» جوهر علم الهندسة الوراثية.. ويمكن تخيله مثل عقد من اللؤلؤ طوله بآلاف الأمتار ولكنك لا تراه بالعين المجردة، إنه أرق من خيط الملابس بملايين المرات. هذا العقد الطويل يجدل ويطوى طيا محكما ويرص ويصف بشكل بديع ليصبح كروموسوما .لذلك الكروموسوم فى الواقع عبارة عن خيط طويل ملتف من الحمض النووى.

وكما أن عقد اللؤلؤ الطبيعى يحتوى على حبات لؤلؤ مرصوصة على طوله، فأيضا الحمض النووى يحتوى على حبات مصفوفة على طوله تسمى مورثات أو جينات (مفرده مورث أو جين). يوجد ٣٠٠٠٠ مورثة موزعة على الـ ٤٦ كروموسوم (٣٠٠٠٠ حبه لؤلؤ فى كل العقود).

تحتوى هذه المورثات على وصفات (كمقادير إعداد الطعام) لتحضير

جميع البروتينات بأنواعها. وكما ذكرنا سابقا فالبروتينات هى المواد الأساسية لبناء الخلية ولاستمرارها فى العمل. فى كل خلية من خلايا جسمنا نسختان من كل مورث، واحدة منها موجودة على الكروموسوم الذى ورثناه من أمهاتنا والمورثة الأخرى موجودة على الكروموسوم الذى ورثناه من آبائنا .وكما أن حبات اللؤلؤ مرصوصة على طول عقد اللؤلؤ الطبيعى، كذلك المورثات كل واحدة منها لها مكانها الخاص والمحدد على طول الكروموسوم.

وقد تم اشتقاق اسم «دى إن إيه» من الأحرف الأولى الحمض النووى المؤكسد باللغة الانجليزية (Deoxyribo Nucleic Acid) والأحماض النووية (Nucleic Acid) مركبة من سلسلة متارصة من الحمض النووية المسماة النيوكليدات (Nucleotide).

وكل نيوكليديت يتركب من ثلاث قطع: فسفات (Phosphate) وسكر (Sugar) وقاعدة نيتروجينية (Nitrogenous base).

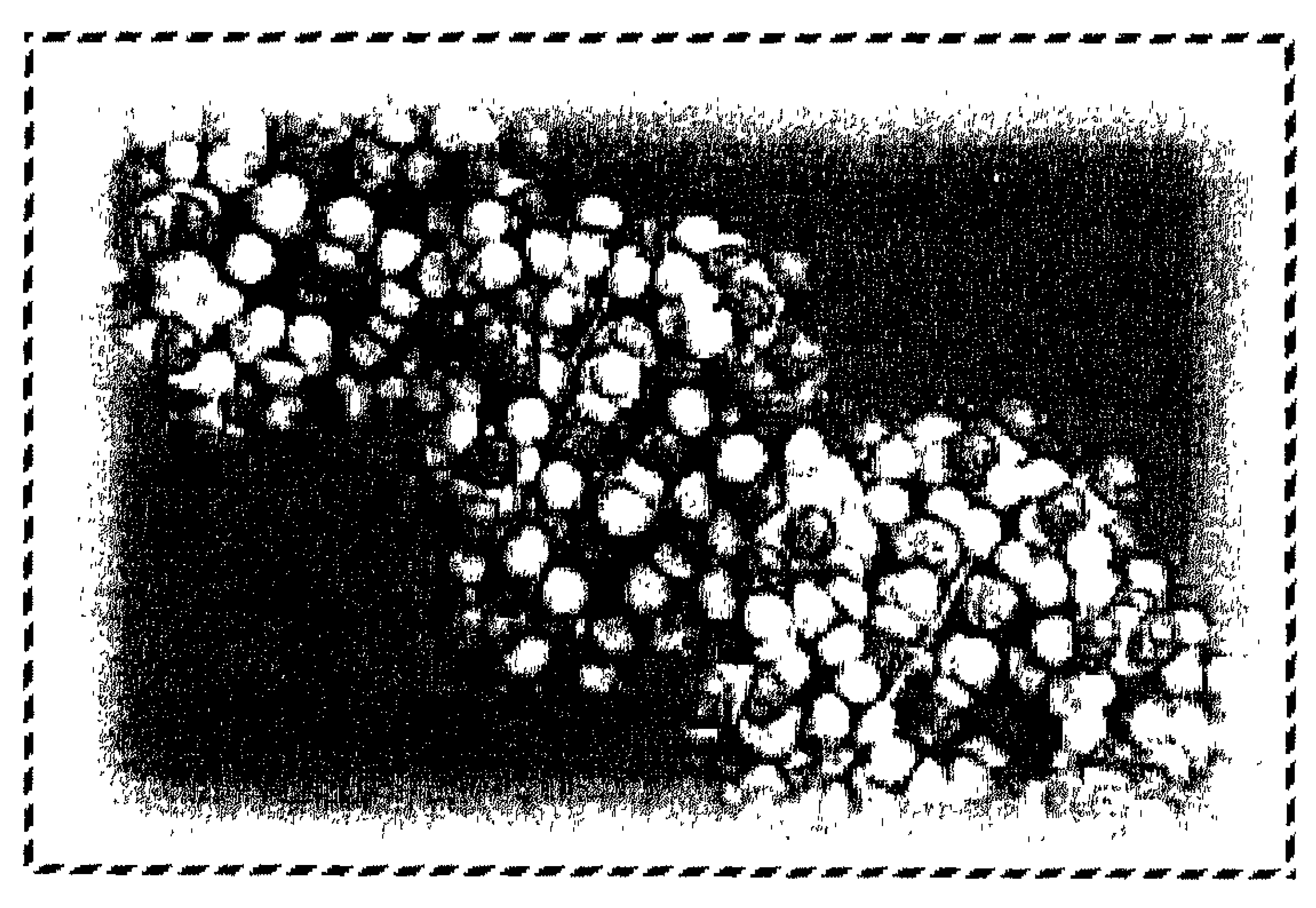
وهذه النيوكليدات تصطف جنبا الى جنب لتكون سلكا طويلا ومترابطا وذلك عن طريق رابطة فوسفاتية تربط السطر الذى قبلها بالسطر الذى بعدها (وبالتحديد تربط الكربون رقم ٥ فى السطر الاول بالكربون رقم ٣ فى السطر الذى يليها).

وهكذا يستمر هذا الخيط الطويل من النيوكليدات. والدى ان اى هو عبارة عن خيطين من من تلك النيوكليدات متلاصقين ومجدولين كما تجدل ضفيرة الشعر وذلك بشكل محكم ودقيق ويحافظ على ذلك النظام الروابط التى بين هذه المركبات خاصة الروابط الفسفورية والروابط التى بين القواعد النيتروجينية.

ومنذ أكثر من خمسين سنة تقريبا أطلق الحمض النووى ثورة فى علم الأحياء، وبعد عشرين سنة حدثت ثورة أخرى عندما تعلم بعض العلماء

كيفية التلاعب بالحمض النووى ونقله من فصيلة إلى أخرى، مذ ذاك أمكن تغيير التركيبة الجينية للنبات والحيوان فى المختبر، هذا العمل سبب عاصفة من الجدل والاحتجاجات استمرت حتى اليوم، بسبب المخاوف الرهيبة لدى أغلب العلماء من وقوع كوارث مدمرة وفوضى فى التركيب الجينى للكائنات الحية، مما ينذر بدمار حقيقى، هذا فضلا عن المحاذير الدينية والأخلاقية التى تتعلق بالموضوع.

أغلب العلماء يعدون هذا العمل تهديدا للبشرية، لأنه فى الواقع فكرة متهورة قد تفتح باب الشقاء والمعاناة أمام الأجيال القادمة على مصراعيه، وربما نجم عن ذلك أمراض فتاكة لم تكن معروفة من قبل.



الحامض النووى «دى إن إيه»

فقد يحدث تلوث ما، أو التهابات خطيرة ما، قد يخرج من المختبر مخلوقات شريرة، وربما نفاجأ بميكروبات مهلكة تدمر كل شىء.

ويظن البعض أن الحمض النووى قد يكون علم المستقبل. فقد تمنح هذه التجارب فرصة مثيرة لتقدم المعرفة فى العمليات الحيوية الأساسية، كما أظن أنها ستساعدنا فى حل المشاكل الصحية البشرية. (الحمض

النووى.. هندسة الجينات ـ قناة الجد الوثائقية).

هذه قصة الهندسة الوراثية، وكيف بدأها بعض علماء الأحياء ممن أطلق عليهم «مهندسو الجينات»، إنها رحلة طويلة مع الخوف والرجاء، والسؤال الحائر يظل باقيا: هل الهندسة الوراثية نافذة جديدة على مستقبل مشرق بإذن الله تعالى، أم هى بداية لطوفان من الشرور المدمرة!

داخل كل خلية حية توجد جزيئة هيأها الله تعالى لتحمل تعليمات الحياة، وهي الحمض النووى، هذا شكلها وفق المعلومات العلمية الحديثة، إنها طويلة جدا وتوجد على شكل لفافة داخل أخرى، رغم أنه قد يبدو متماثلا إلا أن الحمض النووى يقسم إلى آلاف الأجزاء التى تدعى الجينات، وهى رموز للأشياء الفريدة التى خلقها الله تعالى، من جلد الضفدع الأخضر، إلى عيني طفل زرقاوين سبحان الخالق العظيم، إن رموز الحمض النووى دليل حى على قدرة الله عز وجل، فك هذه الرموز كان اللغز التالى الذى يواجه العلماء، يتساءل هؤلاء العلماء: هل تتقاسم كل المخلوقات مجموعة مشتركة من التعليمات الجينية؟

للإجابة عن هذا السؤال، حاولت مجموعة من العلماء فى كاليفورنيا نقل الجينات من مخلوق إلى آخر للنظر فى إمكانية مواصلتها العمل.

لم يعر أحد اهتماما للأمر آنذاك، لكن عندما أصبح هيرب بوير أول مهندس جينى، حقق ثروات أكبر من كل أحلامه.

يقول هيرب بوير: شعرت أن هناك الكثير لنقوم به، بعد عشر سنوات من اكتشاف بنية الحمض النووى، كنت شابا، ومن الصعب على الشبان التفكير بأنه لم يبق شيء للاكتشاف، الشباب متوثب دائما للأمام، ولديه طاقة دافعة لا يمكن كبتها.

وكباحث شاب فى مستشفى سان فرانسيسكو، قضى بوير حياته فى

دراسة مخلوقات صغيرة هى البكتيريا، إنها بسيطة وتتكاثر بسرعة، ولذلك تشكل عينة مثالية للتجارب.

ذات صباح لفتت أنظاره مجموعة من البكتيريا احتوت على أنزيم يلتصق بالحمض النووي، يسير على طوله ليشقه مثل مقص كبير، مبدئيا يمكن للسلسلة الباقية أن تنضم إلى أى قطعة حمض نووى.

عندما التقى هيرب بوير بستان كوين حاول كلاهما تحريك الجينات. ويقول ستان كوين: جذبنى علم هيرب، ظننت أن عمله مثير، وظننت أن القدرة على استخدام الأنزيم لقطع الحمض النووى بشكل محدد ستكون مفيدة للتجارب التى أردت القيام بها.

قضى كوين سنوات فى عزل الجينات من فصائل متعددة، ولم يكن لديه مكان يضعها فيه، بينها جينات علجوم مخلبى أفريقى، فى مارس من عام ثلاثة وسبعين بدأ بوير وكوين تجربة تاريخية لجعل جينات العلجوم تعمل فى جرثومة، مستخدما أنزيم بوير شق كوين الحمض النووى للجرثومة وأدخل جينات العلجوم، لكن هل تتقبل الجرثومة الحمض النووى على أنه من ضمنها؟ كان اكتشاف ذلك فى قسم آخر من الجرثومة!

ومع إدخال تعليمات العلجوم الجينية من خلال النظام الخلوى، انخدعت الجرثومة لتصنع أجزاء من العلجوم، اكتشف كوين أن تعليمات الحمض النووى لتكوين الأجسام الحية كونية، يمكن نقلها وقراءتها كالملفات بين الحواسيب، تزايدت الجرثومة المنفردة بالملايين، كل منها نسخة مطابقة للأصل، أشبه ذلك معملا حيا تتكاثر فيه بقدرة الله تعالى أجزاء من العلاجم، مخلوق حى يتكاثر داخله مخلوق حى آخر، هكذا ولدت الهندسة الجينية.

ويقول هيرب بوير:

كانت تلك لحظة لن أنساها، أتوقع أن يغير ذلك علم الأحياء، والمدهش

أن هذه التقنية بسيطة وسهلة جدا عند تنفيذها.

انتشر خبر الاكتشاف بسرعة، أمكن للجميع رؤية أهمية شق الجينات، لكن عندما أوشك العلم الجديد أن يفلح، ظهرت المتاعب الأولى.

ويقول بول بورج: ذهل الناس من يسر وسهولة تنفيذ برامج الهندسة الوراثية، لكن عددا من العلماء قلق من احتمال قيام أفراد بوضع أشياء فى الجراثيم قد توجد خطرا عاما.

كان مختبر بول بورج يعمل على الجينات المسببة للسرطان، أراد شق جينات السرطان بجينات الجراثيم، لكن خططه سببت المخاوف المرعبة.

ويقول بول بورج: أرادت إحدى الباحثات التحدث عما يجرى فى مختبرها، وسبب ذلك قلقا كبيرا بين الأساتذة، أحدهم يدعى بوب بولاك، وهو الذى أخبرها أن تلك أخطر وأغرب تجربة يمكن القيام بها.

وتقول بوب بولاك: طرحت عليها السؤال التالى: هل فكرت فى خطورة تجربتك هذه؟ إنها تتخطى حواجز كثيرة!!

اقترحت بورج نقل جينات السرطان إلى البكتيريا «إى كولاى» ثم إجراء تجارب الهندسة الوراثية عليها، لكن مع الأسف يكثر هذا النوع من البكتيريا فى المعدة البشرية.

وتقول بوب بولاك: فى معدتك ملايين البكتيريا، وأكثرها شيوعا هى «إى كولاى» وفق تصورى إن تعاملت مع هذه البكتيريا وفى داخلها جينة سرطانية، قد تدخل إلى معدتك، قد لا تعلم بذلك، ولا يصيبك الإسهال، ولا تظهر أية عوارض، تحيا هذه البكتيريا فى معدتك وتتكاثر وتتوالد نسخ منها، وتعيش بسعادة، من ثم يخرج جزء من الحمض النووى بها ويوجد ورما فى معدتك.

اتصلت ببول بورج، وجرى بيننا حديثان، كان أولهما موجزا جدا، لا

يمكن القول عن حديث هاتفى أنه عنيف، لكنه كان غير سار.

ويقول بول بورج: اتصل بى لينقل لى مخاوفه وقلت إنى أعتبرها سخافة، كانت ردة فعلى عنيفة، قلت: إن ذلك محال، لم أر أى مجازفة فى الأمر.

أما بوب بولاك فتقول: لا تحك رأسك، أو أنفك أو تلمسه بهذه الطريقة؟ هذا يكفى، إن كنت فى مختبر قرب جرثومة إى كولاى، ستدخل إلى معدتك، هذا أمر بسيط.

ويقول بول بورج: ظننت أن ذلك غير محتمل، لكن بعد التفكير الهادئ والاستشارة، استنتجت أنى لا أستطيع أن أؤكد أن هذه التجربة لا تشكل أية خطورة.

طلب بيرج توقيفا مؤقتا لكل تجارب الهندسة الجينية، دعا علماء الأحياء إلى مؤتمر لتقييم المخاطر الحقيقية.

ويقول بول بورج: نحن جميعا قلقون بشأن هذه التجارب، لم لا نتحدث عنها كلنا ونرى أن كان ثمة أساس لهذا الخوف؟ هل من خطر؟ وماذا نفعل بشأنه فى حال وجوده؟

عزم بعض العلماء على الاستمرار فى أبحاثهم الجينية، لكن هل من الممكن أن يتجنبوا المخاوف الرهيبة التى يحذرهم منها أغلب العلماء الآخرين؟

الحظر على تجارب الحمض النووى كان ضرورة لا مناص عنها حتى يتثبت العلماء من عدم وجود أضرار تجرها على البشرية هذه التقنية الجديدة، لكن واتسن كان له رأى آخر.

ويقول جيم واتسن: يزدهر المجتمع البشرى كلما تقدمت الأبحاث العلمية، لكن أغلب الناس يخشون القيام بأعمال كثيرة، يمكن اعتبارهم محافظين، لم أكن محافظا بشأن السير قدما ما لم يكن لدى دافع للقلق، أظن أن هؤلاء القلقين يحبون السكون المريح، لأنه لا يكلفهم مؤنة البحث والتغيير.

فى مكان ناء فى أسيولامار بكاليفورنيا اجتمع مائة وستون عالما من أنحاء العالم للتحدث بشأن أبحاثهم الجديدة فى مجال الهندسة الوراثية.

ويقول أحد العلماء: الموضوع الذى أتى بنا إلى هنا، هو أن تقنية علم الأحياء الجزيئية قد سمحت لنا بانطلاقة واسعة فى ميدان الجينات والحمض النووى.

طوال أربعة أيام تجادل العلماء حول معضلات غاية فى الخطورة فرضتها ثورة الحمض النووى، خاصة أن الجينات المدمجة قد تحدث تدميرا حقيقيا للتوازن الجينى داخل الخلية الحية.

ويقول جيم واتسن: فى الماضى، تم تعظيم خطر علم الحمض النووى، وساواه البعض بخطر الطاقة النووية.

إلى جانب العلماء، دعيت مجموعة من المحامين والصحفيين لحضور مؤتمر علم الأحياء، فوجئ هؤلاء المدعوون بأن علماء الأحياء الذرية لا يعرفون الكثير عن العوامل المعدية، أمر مؤسف حقا ألاّ يدرك الباحثون فى مجال خطير كالحمض النووى ما قد تسفر عنه أبحاثهم من مخاطر مدمرة.

ويقول ألكس كابرون: من الأمور التى حدثت أن العاملين فى علم الأحياء الذرية الذين يعرفون مخاطر العوامل المستخدمة فى التجارب، بدؤوا يخبرون زملاءهم بشأن اتخاذ الاحتياطات اللازمة، وهالهم الأمر، بسبب ما يمكن أن يقع من فظائع!!

ويقول أحد العلماء: من الثوابت العلمية ألا تأكل أو تشرب فى المختبر، وذلك أمر يعتبره علماء الكيمياء والأحياء من المسلمات البدهية.

ويقول بول بورج: بعض الأشخاص ذوى الخبرة، استخفوا بنا، ظنوا أننا مهملون ولا نعرف أيا من التقنيات الصحيحة للعمل مع هذه المواد، فكيف نفكر فى القيام بعمل بهذه الخطورة؟

ويقول جيم واتسن: كان ذلك أشبه بمشاهدة التصرفات الشيوعية، أى السلطة القاسية، كان علينا القلق بشأن أمور كثيرة، وتجاوز هذه الأمور الثانوية.

ويقول بول بورج: ثمة أشخاص من حولك، وإن طرقوا بابك قائلين إنهم قلقون بشأن ما تقوم به، فستفعل كل ما بوسعك لحمايتهم.

ويقول أحد العلماء: إنا متأكد من أنها تجربة لا يجب القيام بها مطلقا.

كثرت الحجج العلمية، وتم تجاهل مسائل السلامة العامة، وازدادت الاحتجاجات.

حدثت مجابهات عنيفة بين مؤيدى ومعارضى الاستمرار فى أبحاث الهندسة الوراثية.

ويقول بول بورج: حان دور المحامين للتحدث فى الموضوع، كانوا الأخيرين فى البرنامج، وسببوا الخوف فى قلوب المشاهدين.

تحدث الكثيرون عن الحرية الأكاديمية. وآخرون أكدوا أن حرية المعتقد لا تسوغ إلحاق الأذى بالآخرين.

ويقول جيم واتسن: لطالما احتقرتهم لأنهم يريدون رفع العوائق.

ويقول ألكس كابرون: اعتقدت أن جزءا من مهمتى أن أسألهم ليفكروا فى سبب مجيئهم، كى يدركوا أنهم إن لم يفعلوا، فثمة الكثيرون ممن ينتظرون الفرصة للقيام بذلك!!

ويضيف جيم واتسن: ليقاضونا فى المحكمة إن أرادوا، لا يتصرف الكونغرس ما لم يمرض أحد أو تقع كارثة، لكن لم يحدث شىء من ذلك، فلا أظن أن القوانين ستصدر مالم يحدث شىء ما.

عالم آخر كان من المتوقع أن يسبب الجدال الحاد، إنه سيدنى برينر، كان مقتنعا أن المخاطر بسيطة، فقبل مجيئه إلى أسيلومار، استخدم نفسه موضوعا للتجارب.

يقول سيدنى برينر: قلت: إننى أريد القيام بتجربة على نفسى، قالوا: عليك أن تطلب النصح، سألت ممن؟ فقالوا لى: فى حال إجْراء التجارب على البشر يجب أن تسأل أحدا، فقلت: سأجرى التجارب على نفسى، لم يقولوا لى من على أن أحدثه، فيمكننى أن أحدث أى شخص وأسأله عن رأيه فى هذه التجربة، لكنى حدثت شخصا أرسلوه.

زرعت الكثير من هذه البكتيريا، ثم وضعتها فى الحليب وشربته، لم يكن مذاقه جيدا، أعترف بذلك!!

أجرى برينر تحليلا لفضلاته، فظهر أن الحمض النووى قد تحلل فى معدته، مع ذلك استمر الجدال الحاد بين الفريقين، فالمخاطر ما زالت قائمة.

بعد الكثير من الجدل قرروا تقييم التجارب وفق خطرها المحتمل، أشدها خطورة يجب أداؤه فى مختبرات مغلقة.

أكثر أشكال الحماية تشددا دعى «باء أربعة»، توجب على الباحثين ارتداء ملابس واقية، مع قوارير أكسيجين، ودخلوا المختبر عبر حجرة هوائية، كان الأمر أشبه بالعمل فى الفضاء، حقا إن العمل مع الجينات والأحماض النووية خطر للغاية!

ويقول روبرت بولاك: عملية أسيلومار أوجدت مضمار توظيف لرؤوس الأموال، لفتت أنظار المستثمرين، كونها قد تكون خطرة، وأن الحكومة وافقت عليها، وحصلت على ضمان للسلامة، جعلها جذابة للمستثمرين، وهذه من العواقب غير المقصودة.

شعر المستثمرون فى عالم التجارة بالإثارة، لكن غزلهم للحمض النووى ارتكز على افتراض أن المهندسين الجينيين قادرون على حماية ابتكارهم، كما يفعل غيرهم من المهندسين.

وتم اختبار القانون فى شيكاغو عام ثمانية وسبعين فى قضية بارزة

حددت إمكانية الحصول على براءة اختراع على المخلوقات الحية!!

باحث هندى شاب يعمل لدى شركة جنرال إلكتريك يدعى أناندا شاكرابارتى، اكتشف جرثومة تأكل النفط المتسرب، وسعى رب عمله إلى استغلال إبداعه.

ويقول شاكرابارتى: قال لى: هل حاولت أن تضمن حماية هذا الاكتشاف؟ سألته كيف أحمى اختراعى؟ فقال عليك التقدم بالتماس تطلب فيه الحصول على براءة اختراع، سألته فى دهشة: ما براءة الاختراع!!

يتلقى مكتب براءات الاختراع الأميركى يوميا مئات الطلبات لتسجيل اختراعات فريدة، هذه المواصفات المسماة براءة اختراع تمنح المخترع ملكية الاختراع، وتمنع الآخرين من نسخ الفكرة دون إذن أو دفع بديل.

كان معظم براءات الاختراع للأدوات الميكانيكية، قبل أوائل السبعينيات من القرن الميلادى الماضى، لم يعبث أحد بالمخلوقات الحية، ولم يعد علماء الأحياء أنفسهم مخترعين، كانوا أمناء فى وصف عملهم الذى يقتصر على دراسة، واكتشاف الكائنات الحية.

ويقول شاكرابارتى: كان لدى شركة جنرال إلكتريك براءات اختراعات للشوايات والبرادات والغسالات والدوائر الكهربائية وغيرها، ولم يسبب ذلك أية مشكلة لأننا نقبل فكرة الحصول على براءة اختراع للأدوات الجامدة، ظهرت المشكلة للمرة الأولى عند الحديث عن براءة اختراع لغرض مفيد، لكن هذه مخلوقات حية، الكائنات الحية هى من مخلوقات الله عز وجل.

وصلت البكتيريا التى اكتشفها شاكرابارتى إلى المحكمة، كانت حجة جنرال إلكتريك أن هذا المخلوق الحى تم اكتشافه عن طريق العقل والعمل البشرى ويمكن استغلاله مثل أى اكتشاف آخر.

بعد أشهر من المداولات، صوت خمسة ضد أربعة من قضاة المحكمة

العليا مع بالغ الأسف لمصلحة منح براءة لأى شكل من المخلوقات الحية التى تغير بعض جيناتها، وهذا الحكم يعد ضربة عنيفة لكل القيم الأخلاقية والدينية، وقد صدر لدوافع اقتصادية بحتة وليس عن قناعة علمية، فكيف يعد اكتشاف مخلوق حى خلقه الله تعالى ابتكارا نتج عن العلم والفكر الإنسانى، هذا هراء فاكتشاف الشىء الذى خلقه الله تعالى لا يعطينا الحق فى أن نزعم ابتكاره.

ويقول شاكرابارتى: عندما سمحت المحكمة العليا بنيل براءة اختراع للمخلوقات الحية، كان الأمر أشبه بفتح سد.

مهد القرار الدرب للتهافت على نوع جديد من الذهب فى عالم يتهافت فيه الناس على المكاسب المادية والمصالح الفردية، خاصة مع انتشار الأفكار البراجماتية النفعية التى لا تعرف إلا المصالح.

بمجرد صدور حكم المحكمة السابق تحمس الممولون فى مدن مثل سان فرانسيسكو للاستثمار فى الحمض النووى،، الكثيرون من الساعين إلى النجومية وتحقيق الثراء حلموا باستخدام البكتيريا لصنع مواد تنظيف بيولوجية أو أدوية، بدأ السباق للتعاقد مع العلماء ذوى الأفكار المحتملة، ممول شاب يدعى بوب سوانسن سعى إلى التعاقد مع هيرب بوير، الرجل الذى بدأ كل المسألة.

ويقول بوب سوانسن: اتصلت بالدكتور بوير، ولم يكن يعرفنى، قلت له إنى أعتبر أن هذه التكنولوجيا قابلة للتسويق، وإنى أريد التحدث إليه بشأنها.

ويقول هيرب بوير: أخبرنى أنه رأسمالى مغامر ولم أعرف معنى ذلك آنذاك، قال: قرأت بشأن هذه التقنية الجديدة، فهل تظن أن تسويقها ممكن؟

أجبت بأنى أظن ذلك، وكان عليه أن يقدر حجم استثمارنا، فقال إننا قد نوظف من عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف دولار، قلت له: كيف أعمل

بلا أية ميزانية؟!

قدم بوير خمسمائة دولار كمساهمة منه للاستثمار المشترك.

ويقول هيرب بوير: قال بوب، نحتاج إلى اسم للشركة التى ننشئها، دونت عبارة تكنولوجيا الهندسة الجينية، ووصلت إلى اسم «جنينتيك».

على الساحل الشرقى فى بوسطن، عالم آخر جذبه إغراء القدرة التجارية لعلم الأحياء والهندسة الوراثية، هذا الأستاذ فى هارفرد كان قد حقق سمعته فى الفيزياء والرياضيات، لكنه اعتبر الهندسة الجينية علم المستقبل، كان اسمه والتر جيلبرت وقرر مواجهة «جنينتيك».

ويقول والتر جيلبرت: عدد من المولين ومجموعة علماء كان اعتقادهم أن تقنية الحمض النووى يمكنها إعداد أدوية أبخس ثمنا، لكن لم يشاطرهم الجميع الاعتقاد، لم تكترث شركات الأدوية، لم تتوقع نتيجة إيجابية من الأبحاث، لم تتصور أهمية الجينات فى مجال صناعة الأدوية.

تقاسموا فكرة استغلال الآلية الخلوية للجراثيم لصناعة الأدوية، أرادوا إنتاج البروتين مثل الإنسولين أو زراعة الهورمونات التى تصنع عادة فى خلايا أجسامنا، إن أمكنهم تحديد جينات هذه المواد وإدخالها فى البكتيريا، قد تتمكن هذه المصانع الحيوية من صنع الأدوية بحجم هائل.

ويقول والتر جيلبرت: يمكن أن يسأل المرء، هل من بروتينات بشرية قد تكون ذات قيمة للبشرية؟ كان الإنسولين أول ما خطر فى الذهن، للإنسولين تاريخ طويل كجزىء، يساعد فى علاج وإنقاذ المرضى، الآن نتطلع إلى إنتاجه بكميات وفيرة فى الخلية.

منذ عشرينيات القرن العشرين، تم استخراج الإنسولين من بنكرياس الأبقار لمعالجة داء السكرى، لكن توجب استخدام أعداد هائلة منها لصنع بعض الجرامات من الدواء.

ويقول والتر جيلبرت: كانت المشكلة أن ثمة نقص فى التموين، أعذت أطنان من الإنسولين سنويا لمعالجة السكرى، وكانت المشكلة تأمين بنكرياس الأبقار والخنازير، فى تلك الفترة لم نمتلك جينات الإنسولين، وكانت المشكلة الأولى العثور على جينات الإنسولين البشرى.

حدد جيلبرت لنفسه مهمة صعبة وهى محاولة الحصول على جينات الإنسولين فى الأنسجة البشرية، قرر استخراج جينة كاملة من البنكرياس، حيث هيأه الله تعالى وأعده كى يتم إنتاج الإنسولين، لكن السؤال المهم هو: هل يمكن العبث بالمواد الجينية المستخرجة من الأنسجة البشرية؟!

كان على جيلبرت أن يقرر بسرعة، علم أنه على الساحل الغربى، كان فريق هيرب بوير يسعى إلى الهدف ذاته.

ويقول هيرب بوير: كان الإنسولين هدفا بدهيا، كنا نعده من المسلمات الميسور تحقيقها بسهولة، كان كالثمرة المتدلية من الشجرة.

خلال السباق إلى الإنسولين، احتاجت «جنينتيك» إلى التفوق، استعد لتحقيقه دايف غورديل، عندما انضم إلى جنينتيك حرص على أن يتسلق قمما جديدة، منها سفح يوسيماتى، لكن تحديه الأكبر كان يسبق والتر جيلبرت إلى الجين البشرى.

ويقول دايف جورديل: بالنسبة إلى كان ذلك اللافت الأكبر فى المشروع كان أمرا هاما، عمل عليه بعض من أمهر العلماء، كان من الجلى أن ثمة منافسة ولم يكن من الجيد أن تحل ثانيا، حتى ولو تفوقت على بعض المجموعات، لا بد من أن تحرز المكان الأول.

ابتكر جورديل أسلوبا فريدا، عوضا عن استخراج جين الإنسولين من نسيج بشرى كما فعل جيلبرت قرر تجميع عناصره، مستخدما المكونات الكيميائية الأربعة للحمض النووى، قرر أن يربط معا الوحدات الثلاثمائة

وثمانية وخمسين التى تشكل جينة الإنسولين، وبما أنها لن تأتى من أنسجة حية، يمكن إنتاجها فى مختبر عادى.

ويقول دايف جوردبل: لم يستغل جيلبرت أسلوب الحمض النووى الصناعى ولم يجرب الطريقة الطبيعية، لكن أظن أننا دفعناهم إلى القلق، فقالوا: علينا أن نكون بارعين جيدا.

لكن جيلبرت واجه المتاعب، أثارت جامعته الشكوك بشأن القيام بتجارب جينية فى هارفرد.

ويقول والتر جيلبرت: المنافسة من بعيد مقبولة، أما المنافسة القريبة أمر صعب، قد يقول طرف، هذا هو الوجه الملفت فى العلم، هل يمكننا القيام بأعمال تفيد البشرية؟ لكن طرفا آخر قد يقول لا يجب على التلميذ أن يفعل هذا، قد يكون خطرا.

ويقول أحد العلماء: البشر فى خطر، ولا يفيدون من التجارب التى تجرى على الحمض النووى المدمج.

ويقول والتر جيلبرت: تسرب الموضوع من هارفرد إلى الصحف، وعلم بها سياسيو كامبريدج المحليون، أحدهم هو العميد بيلوتشى، ظن أن بوسعه أن يحولها إلى قضية ذات أهمية قومية، وبدأ مجلس البلدية مناقشة القضية، هل نسمح بمواصلة أبحاث مثل هذه؟

لا يعلمون ماذا ستكون نتيجة هذه الأبحاث؟ قد تكون معدية أو وبائية، قد يخرج شىء قاتل ومدمر من المختبر!

مخاوف أسيليمور عادت لتطارد غيلبرت، ورفعت قضيته أمام مجلس البلدية، ومنع من العمل فى هارفرد وتوجب أن يجد مختبرا محميا فى مكان آخر، نقل معداته إلى إنكلترا، حيث حصل على أربعة أسابيع فقط لإنجاز تجربة الإنسولين البشرى، فى مختبر بريطانيا للحروب الجرثومية.

ويقول والتر جيلبرت: كان علينا استخدام قيود أكثر دقة والعمل فى بورت أند داون، مؤسسة الحرب الجرثومية حيث أمكننا الدخول إلى ما يسمى مختبرات «باء أربعة»، التى يمكنك فيها تغيير ملابسك والاستحمام واستخدام أقنعة الغاز، فى حال دق جرس الإنذار يمكن تعقيم المختبر بكامله، كان ذلك مغيظا جدا، لأن العمل صعب فى هذه الظروف، كما كان مثيرا لأنه كان علينا العمل فى فترة محدودة، عملنا على الدوام وحتى وقت متأخر من الليل.

لكن بالرغم من كل الصعوبات، حقق جيلبرت نتائجه. ويقول والتر جيلبرت: راجعنا كل الإجراءات ووجدنا ما ظننا أنها جينة الإنسولين البشرى.

بينما استعد فريق جيلبرت لإعادة النتائج إلى أمريكا، تسرب خبر اكتشافه إلى «جنينتيك».

ويقول دايف جورديل: سرت شائعات عن تحقيقهم النجاح، ودعيت إلى مكتب بوب سوانسن، وقال: نأمل ألا ترجع قبل تحقيق ما نسعى إليه.

فى هذه الأثناء، كان فريق جيلبرت قد تلقى تأكيدا على النتائج، وجدوا الإنسولين لكنه لم يكن الإنسولين البشرى.

كانت معدات جيلبرت قد استخدمت سابقا لتجارب مع الجرذان، ورغم كونه باحثا دقيقا، أفسد عمله لسنتين بسبب غسل غير صحيح للمعدات.

ويقول والتر جيلبرت: اكتشفنا أن الصفائح كانت ملوثة من تجارب سابقة، بدلا من المواد التى أردنا إيجادها، وذلك محبط جدا، إذ لم تتسن لنا سوى فرصة واحدة لتحقيق التجربة.

حان الآن دور «جنينتيك» لتكتشف إن نجحت طريقتها.

يقول دايف جورديل: فى الرابع والعشرين من أغسطس كنا نقترب من النتيجة وشاهدنا المعلومات تخرج من الآلة، وقد نجحت، سأل بوب مرتين

أو ثلاث، هل أنتم متأكدون؟ أهذا صحيح؟ ألن تعودوا بعد بضعة أيام لتقولوا إنكم كنتم مخطئين؟ أقنعته أنه لا شك فى النتيجة هذه المرة.

بالنسبة إلى جنينتيك انتهت المعركة، ستتوالى النتائج، جينة غورديل الصناعية استنسخت كلما انقسمت البكتيريا، لم يبق عليهم سوى تسريع العملية لتنتج البكتيريا آلاف الجالونات من هذا الدواء الباهظ الثمن، سبقت جنينتيك جيلبرت إلى الجائزة.

يقول والتر جيلبرت: قد توفق، وتصل إلى الجواب فى بحثك، وتظن أن لا أحد فى العالم يعرف بهذا الأمر، متعة الفيزياء النظرية هى اللحظة التى تعرف فيها أمرا يجهله غيرك، لكن أحيانا يعرف غيرك أمرا تجهله.

اليوم، الإنسولين المنتج جينيا يستخدمه ملايين البشر، إنه أحد المنتجات المهندسة التى أطلقتها جنينتيك، مغامرة هيرب بوير بخمسمائة دولار حققت نصف مليار دولار، رغم إنجازه العلمى، نبذت المؤسسة الأكاديمية بوير، حرم من جائزة نوبل التى ظن الكثيرون أنه يستحقها.

يقول هيرب بوير: كل إنسان يشعر فى وقت معين أنه غير محبوب من الجميع، ويتهم بأنه جشع، أصبح هذا من الماضى وما عاد يضايقنى، لكن كان ذلك صعبا آنذاك.

اليوم جنينتيك شركة كبيرة، الكثير من الشركات حاولت نسخ نجاحها والإفادة من موضة الهندسة الوراثية.

فى خضم هذه الصناعة رؤيا بوير وسوانسن، كل مبتدئ يشاركهما الحلم، يأمل أنه يوما ما سيكتشف دواء قيمته ملايين الدولارات.

يقول دليل جنينتيك: أهلا فى جنينتيك، هذا موقع الإنتاج فى فاكافيل كاليفونيا، إنه أكبر موقع إنتاج للأدوية المعدة من البروتين، هيرب بوير وبوب سوانسن كانا رائدين فى تصورهما لما يمكنهما تحقيقه، المجازفات التى قاما

بها بتأسيس شركة أضحت صناعة، استغرق بناء الموقع خمس سنوات ونصفا، وكلف ربع مليار دولار، هذا منشأ من ثلاثة طوابق، وتجرى العملية نزولا من الطابق العلوى حيث نبدأ مع بنك الخلايا لإعداد المنتج الحيوى نستخدم خلايا حية، وما لدى هنا إناء بيرسبترون، علاج لمرض سرطان الثدى الكامن، سنعرض عليكم فى هذا المنشأ كيفية نجاحنا فى رفع العملية لنتمكن ليس فقط من إنتاج جرعة واحدة، بل مئات الآلاف.

سأعطيكم مثلا على التحدى الهندسى، لدينا سبعة وعشرون ميلا من الأنابيب بين مستوعبات التخمير والمعدات الأخرى، أحواض تخمير بسعة ثمانية لترات، مستوعبات سعتها من أربعمائة لتر إلى آلاف اللترات، هذه العملية التى نستخدمها للانتقال من المقياس الصغير إلى مقياس هائل، أكبر مقياس نستخدمه هو حوض تخمير سعته اثنا عشر ألف لتر، يبلغ ارتفاعه طابقين، ويساوى سعة ناقلة وقود، يحتوى هذا المنشأ على اثنى عشر إناء تخمير وداخل كل منها مئات مليارات الخلايا، هذا قعر حوض التخمير الذى يسع اثنى عشر ألف لتر، إليكم بعض الخطوات الأساسية للتصفية التى نصفى فيها البروتين الذى نريده، ونتخلص من كل الخواص التى لا نريدها، وتكون النتيجة فى النهاية بروتينا ممتاز النوعية، كانت هذه جنينتيك، شكرا لزيارتكم.

خلال الثمانينيات، واصلت التقنية الحيوية ازدهارها، كانت الأهداف الأساسية الأدوية المصنعة جينيا لتحارب الأمراض الكبرى كالسرطان وأمراض القلب، قصص النجاح هذه منحت المستثمرين شهية كبيرة للسعى إلى أسواق أوسع، يمرض الناس أحيانا، لكن كل إنسان يأكل، لذا كانت فكرة الاستثمار فى الأغذية الناتجة من نباتات معالجة وراثيا، لا أحد ينكر حق أى شخص فى الاستثمار والكسب الحلال، لكن المشكلة أن النباتات المعالجة وراثيا تنتج طعاما غير آمن، ويحذر منه علماء كثيرون.

أحد المستثمرين الذين عملوا فى هذا المجال هو روب هورش الذى عمل والده فى مشروع أبولو الفضائى، اعتقد روب هورش أنه يستطيع القيام بالخطوة العملاقة للبشرية بأن يصبح أول من يعالج النبات جينيا، قصد شركة كيميائية تدعى مونسانتو.

يقول روب هورش: اعتبرت الإدارة هذا المضمار عالى الخطورة ومستبعد النجاح، كما شعرنا أن الأمر سيكون صعبا، لكن لم تواجه الشركة خسارة كبيرة.

كانت حاجات هورش بسيطة، مع مثقاب للورق، وعلبة زهور البتونيا الملونة، عرض كيفية إدخال صفات جديدة على النبات.

الخطوة الأولى هى اختيار ورقة جيدة، والثانية إحداث جرح فى السطح، وباستخدام مثقاب ورق عادى، كان من الممكن توفير قطع متماثلة من ورق النبات مع طرف دائرى مجروح، يمكن لاحقا تلقيحها بجرثومة ترابية.

أراد هورش استخدام الجرثومة الترابية للهندسة الجينية، هذه الجرثومة تصيب النبات بالحمض النووى الضار وتسبب الأمراض، لكن فى المختبر يمكن استخدامها لإدخال جينات جديدة للنبات.

يقول روب هورش: بدأت الجرثومة تلتصق بجدران الخلية وتنقل الحمض النووى إلى خلية النبتة.

راقب هورش الجراثيم تتكتل حول طرف الأوراق، أمل أن تنقل الجينات الجديدة إلى خلايا الأوراق، لتشكيل نبات معالج جينيا، قد تنجح التجربة لكن المخاوف من نتائجها مخاوف حقيقية.

يقول روب هورش: بما أن ذلك لم يتم سابقا، وكان ثمة أسباب كثيرة لاحتمال فشله، بحثنا عن أصغر دليل على نجاحه.

باكرا فى الصباح كنت أدخل الحجرات وأنظر إلى زرع البكتيريا لأتقصى ما ينتج، هل يبدو أن الجينة نجحت؟ ولم أستطع الرحيل فى عطلة

الأسبوع، فكنت آتى خلالها لأرى نتيجة التجارب، وذات صباح حدث ذلك.

أول نبتة معالجة جينيا كانت على وشك أن تزهر.

يقول روب هورش: أول شعور راودنى كان رفض ذلك، لا يمكن أن يكون حقيقة، كان علينا أن ننظر عبر المجهر لرؤية ذلك، قالوا لى، إنك تهلوس يا هورش، لا نرى أى فرق، لكن فى الواقع أمكنهم رؤية الفرق. عرض هورش بفخر نبتته الجديدة على مدرائه.

يقول روب هورش: بما أننا كنا نعمل مع زهور البتونيا، كانت ردة فعل المدراء حيال الاكتشاف باهتة، قالوا: هذا لطيف، ماذا يمكنك أن تحقق بواسطته؟

كان نجاح تجربة هورش مقدمة لطموحه الحقيقى بإنتاج مأكولات معالجة جينيا، المشكلة الحقيقية أن نجاح بعض الشركات فى إنتاج الأغذية المعالجة وراثيا ليس مأمون العواقب، فقد ينجم عن ذلك أمراض فتاكة لا تظهر إلا بعد مدة طويلة.

بالنسبة إلى هورش كانت الخطوة التالية هى الطماطم، إنها ميدان اختبار مثالى لتقنيته، لطالما كانت الطماطم صعبة، تصل إلى المتاجر ناضجة زيادة أو متضررة، حلم هورش بطماطم مثالية تقاوم الأمراض، وبعد أربع سنوات كان نموذجه الأول جاهزا للتسويق.

يقول روب هورش: فى الثانى من يونيو سنة ثمانية وسبعين، وقع حدث تاريخى فى هذا الحقل، باكرا فى الصباح، غادرنا مركز أبحاث شسترفيلد، على أمل زرع أول تجربة للطماطم المعالجة جينيا، كان الهواء باردا وهادئا، لكننا كنا متشوقين، حملنا أول مجموعة وبدأنا الزراعة.

كان هورش متشوقا ليشرح للعالم ما يتوقعه من مميزات للمأكولات المعالجة جينيا، من حقه كمستثمر يسعى للربح أن يسوق سلعته، ومن حقنا أن نخاف على صحتنا وأن نحرص على مستقبل الأجيال القادمة، فهذه

المأكولات ليست آمنة وحتى الآن يعترض عليها معظم العلماء.

يقول روب هورش: عملنا بجهد للحصول على تغطية إعلامية لأننا اعتبرنا أنه حدث تاريخي، وكان ذلك صعبا جدا، بعد عدد من الاتصالات والرسائل، لم نحصل سوى على صحفي بدوام جزئي.

عين هورش مديرا لأبحاث قد تنتج أكبر ثروة في عالم الزراعة منذ تحولها إلى صناعة، ولكن يبقى السؤال: أيهما أهم صحة الناس، أم تحصيل الثروات الطائلة؟!

بدؤوا بتغيير القطن والبطاطا جينيا، ومن ثم انتقلوا إلى منتجات الطعام الكبرى مثل القمح والذرة والأرز، حصلوا على نبتات جديدة ذات مكافحات داخلية للحشرات، كل يوم تختبر خطوط المراقبة الآلية آلاف الجينات المقاومة للحشرات، لكن هذه الأطعمة غير مأمونة، ويحذر منها كثير من العلماء، خاصة وأن مخاطرها المتوقعة لا حصر لها.

على العلماء الحقيقيين الوقوف بحزم في وجه أي عمل يضر البشرية.

يقول روب هورش: أعتقد أن إمكانات الحمض النووي هائلة للغاية، وسوف تحدث ثورة علمية حقيقية في أنماط الحياة الإنسانية، ثورة لم تشهد البشرية مثيلا لها من قبل!

استخدام البذور المعالجة جينيا ينتشر في العالم تدريجيا، سبعون بالمائة من الطعام المعالج في السوق الأميركية يحتوي على مكونات معالجة جينيا، لكن ثمة خشية عالمية من المجهول، والخوف من أن بعض العلماء يعبثون في الجينات قبل أن يفهموا التأثير البعيد لذلك على البيئة، يخشى معظم العلماء أن عددا من الشركات الكبرى قد تسيطر على إنتاج الطعام وتضر التنوع الجيني، يشعر الكثير من العلماء أن حسنات هذه التقنية لا تكافئ مساوئها الخطيرة، ولذا يأملون في وقف هذا العبث، والبعض يرى

أن فوائدها كبيرة ويدعون إلى الاستمرار فيها.

يقول بول بورج: أظن أن حسنات تقنية هندسة الجينات لم تشرح بعمق للمستهلك العادى، إنه لا يعرف شيئا عن هذه الحسنات، إنه لا يسمع إلا عن المخاطر فقط، من حقه إذن أن ينزعج.

مخاوف الناس التى ظهرت فى سيليما فى السبعينات من القرن الميلادى الماضى عادت بقوة فى التسعينيات من نفس القرن، لكن لم ينصت أحد إلى مخاوف العلماء، دمر المتظاهرون مواقع التجارب الذى سعى فيها الباحثون إلى تقييم خطر المنتجات المعالجة وراثيا.

شحن الغضب قلة الثقة فى دوافع الشركات مثل مونسينتو، المؤكد أن هذه الشركات لا يهمها إلا الربح المادى فقط.

شعر معظم العلماء أن من الخطأ العبث بالجينات، وأن جينات فصيلة لا يمكن مشاطرتها مع أخرى، لكن رأى بعض العلماء كان مختلفا، وعلى أية حال ينبغى أن نتصرف بحكمة وعقل فى هذه المسائل الحيوية، إن العبث بالجينات أمر خطير للغاية، فعلى العلماء أن يتثبتوا ألف مرة من عدم وجود أية مخاطر تجر العناء والشقاء على البشرية جمعاء، واندفاع بعض العلماء لا يسوغ القيام بكل ما يريدونه، يجب التريث والحذر.

يقول جيم واتسن: لم يظهر حتى الآن أن الحمض النووى خطر، لم يمرض أى إنسان، قد تكون تقنية الحمض النووى أكثر التقنيات أمانا فى التاريخ، عندما تعلم أنك تستطيع أن تنتج الخير بدون خطورة، هل تفترض أن يكون الأمر أسوأ ما يمكن؟ أظن أن عليك أن تفترض أن الأمور ستكون على ما يرام.

ويقول شاكرابارتى: منذ ظهور الحمض النووى المدمج نرى أن علم الأحياء والهندسة الجينية يتقدم بسرعة ولا يستطيع المجتمع مجاراتها، لذا

يحدث الصراع، وعلى أية حال أتوقع أن تستمر أبحاث الهندسة الجينية وتتواصل الخلافات بين المؤيدين والمعارضين.

النتيجة المأساوية المتوقعة للأبحاث الجينية لم تظهر بعد، وقد لاحت بعض بوادرها فى ظهور بعض الأمراض التى لم تكن تعرف من قبل، والعجيب أن بعض العلماء وجهوا أنظارهم تجاه الجينات البشرية نفسها، ولم يكتفوا بما فعلوه فى جينات النباتات والحيوانات، ولم ينتظروا حتى تتضح كل الحقائق والنتائج المتعلقة بذلك الملف، وذلك يستلزم وقفة حقيقية من كافة الجهات المعنية لمناقشة كافة جوانب الموضوع بهدوء واتزان لتحقيق مصلحة البشرية كلها.

وبعدما تبين أن خلايا كل كائن حى تحتوى على مادة وراثية تتضمن المعلومات الخاصة بتركيب أعضائه ووظائفه، فتحت الاكتشافات المتتالية الخاصة بعلم الوراثة آفاقا واسعة لنشوء وتطور علم الهندسة الوراثة، الذى محوره تقنيات التدخل للتأثير فى الموروثات وتطويعها لتنفذ برنامجا وراثيا يختلف عن برنامجها الأصلى.

وقد أصبح التحكم بعلم الهندسة الوراثية والتوسع فى تطبيقاته معيارا جديدا ورئيسيا للقوة والمقدرة. بل إن هذا العلم قد جرى تقديمه منذ البدء باعتباره سلاحا لفرض الهيمنة، سواء عبر استخدامه بموازاة الحرب الاقتصادية وفى سياق العولمة التى سرعان ما تمخضت عن أمركة طاغية، أو من خلال استخدامه فى تطوير وسائط وفعالية الحرب البيولوجية.

وقد اعتبر البروفيسور بيير بودان، من معهد الدراسات الأوروبية بجامعة بروكسل، ومجموعة من الكتاب الآخرين فى دراسة أخيرة لهم، أن الاختراقات الكبرى التى حققها التقدم العلمى فى السنوات الأخيرة ظهرت على نحو حاسم فى ثلاثة مجالات هى: المعلوماتية، الفضاء، الهندسة الوراثية.

وأشارت الدراسة إلى أن التقدم فى الهندسة الوراثية بشكل خاص حمل آمالا عريضة، لكنه حمل فى الوقت نفسه مخاوف وتهديدات خطيرة فيما يخص الدفاع الشامل عن الدولة فى المجالات الحساسة: التسليح والمجتمع والاقتصاد.

ولئن كان جوهر هذا العلم دراسة الصفات الموروثة وانتقالها والتبدلات الطارئة الثابتة أو المتعمدة عليها، فإن تطور التقنيات المستخدمة - مثل المزاوجة بين التحليل الكروماتوجرافى وقدرات العقول الإلكترونية فائقة الأداء، التى سمحت بقراءة البنية الوراثية وبالتدخل البشرى المتعمد للتأثير بالمورثات قد جعل المخاوف من تطوير أسلحة بيولوجية هائلة القدرة على الإفناء والتدمير، ومن التلاعب العابث بالأجيال الجديدة من البشر على نحو يغير من طبيعتها وقدراتها وسلوكها مسألة تؤرق الأوساط العلمية وعامة البشر على حد سواء.

زاد من خطورة الوضع عودة مفهوم الأجناس البشرية والتمييز العرقى إلى الظهور بعدما توارى قبل عدد من السنين. لقد قدم العالم البارز «نيل ريخ»، أستاذ الجينات البشرية فى جامعة ستانفورد، أدلة على وجود اختلافات جينية بين الشعوب التى تعيش فى منطقة جغرافية معينة وتنتمى إلى جنس رئيسى من البشر، مستندا إلى البيانات الجينية التى نشرها مشروع الجينوم البشرى فى مجلة «بيولوجيا الجينوم أون لاين» وخلاصتها أن حدوث - أو إحداث - بعض التغيرات فى الأحماض النووية أدى إلى تغييرات جينية طفيفة بعضها أكثر شيوعا فى مجموعات عرقية معينة دون الأخرى.

صنف «ريخ» خمس مجموعات عرقية بشرية رئيسية هى: الجنس القوقازى (الأوربيون وشعوب شبه القارة الهندية)، والجنس الشرق أوسطى والشمال أفريقى (يتعمد معظم الغربيين هذه التسمية لتحاشى الحديث عن العرب من ناحية، ولحشر اليهود فى هذه المجموعة بعد زعم تماثلهم عرقيا

سواء كانوا من الخزر السلافيين أو الاسكندنافيين أو الساكسون أو التاميل الهنود أو الفلاشا الأحباش أو اليمنيين العرب أو المغاربة البربر)، والجنس الأفريقى الذى يعيش فيما وراء الصحراء الكبرى، والجنس الآسيوى الذى يعيش فى الصين وما حولها (اليابان والفليبين وسيبريا وسائر شرق آسيا)، وأخيرا جنس سكان جزر المحيط الهادئ والهنود الحمر.

وقد أخذ «ريخ» فى الاعتبار التزاوج والتداخل والاندماج العرقى الذى تم بين مجموعات من تلك الأجناس الرئيسية فى مناطق التماس. وبهذا عاد الجدل إلى الساحة العلمية بهذا الشأن، مع كل ما يترتب عليه من تحولات وتطبيقات، بعدما كان العلماء والمفكرون قد أجمعوا تقريبا على أن مفهوم الأعراق والأجناس البشرية يفتقر إلى المصداقية، وأن الاختلاف فى السمات السطحية لا يشير إلى اختلافات بيولوجية، وإنما جرى استغلال ذلك الاختلاف لأسباب سياسية واستعمارية واستعبادية.

وعندما نستذكر كلمات الرئيس الأمريكى تيودور روزفلت سنة ١٨٩٨ فى كلية الحرب البحرية: «إن جميع الأجناس العظيمة والنازعة إلى السيطرة كانت دائما أجناسا مقاتلة. وفى اللحظة التى يفقد فيها جنس ما القدرة على القتال الشرس، فإنه يكون قد فقد حقه فى الوقوف ندا لند مع أفضل الأجناس»، التى كانت تنسجم مع المنطق الأورو - أمريكى السائد آنذاك، نفهم الهلع المشروع الذى انتشر فى مجتمعات كثيرة مع تجدد هذه الأفكار الداروينية واعتمادها قاعدة لسياسات القوة العظمى المهيمنة حاليا.

وتزداد خطورة الوضع عندما ندرك أن الدول التى شاركت فى مشروع الجينوم، وإعداد الخارطة الوراثية التى تفك أسرار الخصائص الوراثية والجينية للبشر وتكشف خفايا المركبات والخصائص والفروق بين أجناس البشر المختلفة، قد امتلكت عمليا القاعدة اللازمة لأخطر سلاح إبادة شاملة فى التاريخ البشرى.

استطاعت الأبحاث والدراسات المكثفة فى إطار ذلك المشروع أن تفك خلال عشر سنوات طلاسم ثمانين فى المئة من شريط الحامض النووى الوراثى للإنسان، مما أتاح للرئيس الأمريكى السابق بيل كلينتون ورئيس الحكومة البريطانية تونى بلير بعد ذلك بقليل إعلان اكتمال ٩٩,٩٩٪ من الخارطة البشرية، قبل الموعد المفترض لإنجاز هذه الخارطة فى العام ٢٠٠٣، والمتوقع أن يتم التعرف على مئة ألف ترتيب من الترتيبات المختلفة التى تتوضع المورثات فيها، بينما يطمح بعض العلماء إلى كشف مليون ترتيب قبل نهاية العام المذكور.

نشير هنا إلى أن المادة الوراثية أو الجينوم تسمية تطلق على المجموعة الكاملة لحزم الحمض النووى (الكروموزومات) فى كل خلية من مليارات خلايا الجسم البشرى. يوجد ثلاثة وعشرون زوجا من الكروموزومات، التى هى كتل من الحمض النووى الملتفة داخل غطاء بروتينى فى مركز كل نواة. ينتقل كل كروموزوم فى الزوج الواحد من أحد الوالدين، فلكل مولود ست وأربعون كروموزوما نصفها من الأم ونصفها الآخر من الأب، ويتألف الحمض النووى من حامض الديوكس رايبونيوكليز، الذى يشبه سلما درجاته أزواج من وحدات جزئية تسمى القواعد، وهناك أربع قواعد يرمز لكل منها بالحرف الأول من اسمه: أدينايين (A)، وسايتوساين (C)، وتايماين (T)، وجانايين (G) يؤلف تسلسل هذه القواعد ما بات يعرف بالجينات، أو المورثات، وتقدم التعليمات المشفرة التى تعلم الخلية كيفية صناعة البروتين.

والشيفرة الوراثية هى متتالية مؤلفة من ثلاثة أحرف ترمز لكل مكعب بناء لبروتين الحامض الأمينى. تقوم الخلية بقراءة الشيفرة والإمساك بالأحماض الأمينية الصحيحة وربطها بعضها ببعض لصنع البروتين. يتألف الجين العادى من بضعة آلاف من هذه القواعد، وهناك قرابة مئة ألف جين فى المادة الوراثية البشرية، كما يضم الحمض النووى قرابة ثلاثة مليارات

قاعدة، لكن ثلاثة فى المئة فقط من هذه القواعد تشكل الجينات، أما الباقى فتشكل الحمض النووى الفاقد الذى لا يحمل متسلسلات وراثية مشفرة ظاهرة، ولكن يعتقد أنه ينظم سلوك الجينات.

لقد تلاحقت تخوفات واعتراضات أخلاقية كثيرة إزاء الاحتمالات التى يتيحها هذا التقدم فى علم الهندسة الوراثية، فبدأت أصوات تعترض على أبحاث تتحدث عن «إنتاج» إنسان حيوانى، أو حيوان إنسانى Manimal من خلال دمج خصائص خارقة مثل الذكاء أو القوة الجسدية أو الشجاعة أو قوة الإبصار أو قوة السمع فى أجنة بشرية، أو العكس، بحيث يتم إعطاء بعض البشر خصائص مرغوبة يمتاز بها الأسد أو النسر أو النمر أو الدلفين مثلا. وقد تمت بالفعل تجارب دمج وخلط خصائص كائنات مختلفة، فتم مثلا استيلاد قرد فى مختبرات هندسة وراثية فى ولاية أوريجون الأمريكية يحتوى تركيبه الوراثى على جينات مأخوذة من قناديل البحر، فصارت بعض القرود المستولدة تصدر إضاءة فوسفورية من أجسامها مثلما تفعل قناديل البحر لاجتذاب شريك للتناسل أو لتحذير الأعداء.

إن أخطر ما فى هذه العمليات، وإن اقتصرت على الحيوانات دون المجازفة بتغيير خلق الإنسان، هو أنها تسرع فى انقراض أجناس كثيرة من الكائنات الحية. يتضح الاختلال البيئى الناجم عن التلاعب بالصفات الوراثية من مثال جرى نشره عن استيلاد أسود أكثر قدرة على الركض السريع، مما يؤدى إلى انقراض الغزلان بسرعة لسهولة صيد الأسود لها، وهذا يؤدى بالتالى إلى انقراض الأسود التى لن تجد غزلانا تقدمها لأشبالها بعد ذلك.

إذا ما راعينا الدراسات العديدة عن تسارع وتيرة انقراض كثير من الكائنات الحية فى القرون الأخيرة، وخاصة بعد الثورة الصناعية، بحيث تضاعف هذا الانقراض بأربعين ضعف ما كان عليه فى العصور القديمة،

نستطيع إدراك خطورة ما ينجم عن توظيف الهندسة الوراثية للعبث بالمخلوقات لمصلحة قلة من البشر تبحث عن مزيد من الهيمنة والثراء، بدلا من توظيفها لتحسين ظروف الحياة عامة.

راحت أصوات أخرى متزايدة تعترض على ما سمى «القنبلة الجينية» التى تستطيع إبادة مجموعة بشرية معينة دون سواها، من خلال استغلال معرفة الخصائص الوراثية المميزة لها، وتطوير سلاح يفتك بمن يمتلكون هذه الخصائص دون سواهم.

إن تطوير وإنتاج الأسلحة الجرثومية يزدهر ويطرق آفاقا لم تكن متوقعة من قبل كلما تقدمت أبحاث الهندسة الوراثية واكتشافاتها، بحيث يتم ابتكار وتطوير مزيد من العناصر الجرثومية الأكثر فاعلية، سواء بكتريا أو فيروسات، وتأمين وسائل الاتصال المناسبة لها. وتتيح الهندسة الوراثية للأسلحة الجرثومية استخدام عناصر معدلة وراثيا ضارة بذاتها، أو قادرة على إنتاج جزئيات سامة فتاكة تودى بضحاياها، كما تتيح تعديل الخصائص الوراثية لبعض الكائنات الحية- من ميزات وظيفية وتشريحية وسلوكية- بما يخدم أهداف مستخدمى السلاح الجرثومى، ولنا فى الحالات الوبائية لتناذر أعراض حرب الخليج الثانية وتناذر أعراض حرب البلقان اللذين أصابا عشرات الآلاف من الجنود وسواهم، ثم حالتى الجمرة الخبيثة وفيروس غربى النيل مؤخرا فى الولايات المتحدة الأمريكية... أمثلة واضحة.

كانت صحيفة بريطانية قد سلطت الضوء على سلاح جرثومى شديد الفعالية من هذا النوع يطوره مختبر نيس تزيون الحكومى الإسرائيلى بمعونة وحماية أمريكية. استند هذا التطوير إلى أبحاث معقدة متطورة فى الهندسة الوراثية، بحيث يجرى اعتماد فيروس فتاك جرى تطويره على نحو يصيب العرب دون اليهود، مع تركيز خاص على استهداف الفلسطينيين والعراقيين خاصة، وقد ذكرت المصادر العلمية والاستخباراتية الأمريكية

والأوربية التى أكدت هذه المعلومات للصحيفة البريطانية أن إسرائيل استفادت أساسا فى إنتاج هذا السلاح الجرثومى العنصرى من أبحاث متقدمة سبق أن أجرتها مختبرات النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا قبل انهياره لتطوير سلاح جرثومى يفتك بالسود دون البيض.

شككت بعض الأوساط بهذه المعلومات لدى تسربها بدعوى أن الحديث عن سلاح عنصرى مثل هذا مجرد تهويل سخيف أو خيال لا أساس له علميا، لكن الشهور اللاحقة أكدت أن الأمر كان حقيقة واقعة تنسجم مع ما تلاحق إعلانه عن اكتشافات علمية تتعلق بخريطة الجينوم البشرى. بل إن العديد من التحركات التى لم تكن منطقية أو مفهومة قد وجدت تفسيرها، مثل إصرار الولايات المتحدة على إقحام إسرائيل ضمن الدول التى اشتركت فى أبحاث إعداد الخريطة الوراثية (الجينوم). المعروف أن ذلك المشروع قد بدأ بتعاون الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان وفرنسا وألمانيا، كما أسهمت الصين بواحد فى المئة من مجمل المشروع إذ تولت جدولة الصبغى (الكروموزوم) رقم ٣.

وهكذا لم يكن متوقعا من الولايات المتحدة لدى افتضاح أمر السلاح العنصرى الجرثومى الإسرائيلى هذا، أن تعترض ولو نفاقا للحفاظ على شىء من مصداقيتها أمام الرأى العام العالمى، ولا حتى أن تفتعل ذريعة من ذرائعها الباهتة لتغطية خرقها وخرق إسرائيل لمعاهدتى حظر الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، بانتهاكات أكدتها لاحقا تقارير وتصريحات رسمية حكومية إسرائيلية وأمريكية.

ونشير هنا إلى أحد تطبيقات الهندسة الوراثية فى تطوير أسلحة جرثومية من خلال ما أوردته مجلة نيو سيانتيست الأمريكية عن ابتكار باحثين استراليين فيروسا يبيد كافة الحيوانات، وتم عن طريق المصادفة بينما كانا يقومان بتطوير لقاح لمنع الحمل من أجل الحد من تكاثر القوارض

التى تنقل الطاعون.

إن مثل هذه الأبحاث المختبرية كثيرا ما تقود إلى مضاعفات شديدة الخطورة والضرر، وخاصة عندما تلتقطها التطبيقات الحريصة على خدمة الأغراض الحربية بتطوير أسلحة سهلة الاستخدام وشديدة الفتك. لقد ذكرنا بيير بودان ورفاقه مثلا بأن «جنون البقر» مرض كان معروفا رسميا منذ أواسط العام ١٩٨٦، لكنه لم يثر قلق الرأى العام - الأوربى خاصة - إلا عندما افتضح أمر العلاقة بين مرض الدماغ الاسفنجى البقرى ومرض غروتزفيلت - جاكوب الذى يصيب الإنسان فيدمر جهازه العصبى المركزى. وبالتالى، فإن العديد من الأعراض الطارئة التى يتم اكتشافها مصادفة، والناجمة عن أبحاث وتطبيقات سرية لإنتاج أسلحة بيولوجية، لا تلفت النظر غالبا إلى أبعادها الكارثية الحقيقية إلا بعد مرور سنوات قد تكون طويلة.

وقد تنبأ العديد من العلماء البريطانيين بأن يقود مشروع الخريطة الجينية إلى كارثتى هيروشيما وناجازاكى من نوع جديد نتيجة فك الشيفرات الوراثية. وقد أكد علماء المعمل البريطانى للمواد الحربية والبيولوجية وعلماء المختبرات العسكرية الأمريكية أن امتلاك قنبلة «جينية» سيكون نتيجة طبيعية لما أنجزه مشروع الخريطة الجينية، ورجح هؤلاء أن الساعين إلى امتلاك قنبلة الإبادة الشاملة هذه، التى تستطيع التمييز فى الفتك بشعوب أخرى، سيكونون هم الدول التى تحيط بها صراعات عرقية، بحيث تجعل هذه الدول من القنبلة الجينية وسيلة سهلة للتطهير العرقى والقضاء على شعوب معينة وتطويعها.

وقد أكدت صحف بريطانية نقلا عن مصادر وزارة الدفاع الأمريكية أن بعض دول العالم المشاركة فى أبحاث الجينوم قد بدأت فعلا تطوير أسلحة جينية قادرة على التمييز بين البشر وفقا لخصائصهم الوراثية لانتقاء ضحاياها وفق المعطيات المبرمجة للقنبلة، ومن هذه الدول إسرائيل، الأمر

الذى أكدته مجلة الدفاع أيضا، وقد نبه اتحاد العلماء الأمريكيين إلى هشاشة التذرع بالاستخدامات الدفاعية للتكنولوجيا والأسلحة الجينية، حيث لا حدود تفصل بين الدفاع والهجوم هنا، ولسوف تتحقق التصورات المرعبة لإفناء مجموعات بشرية بأسرها عن طريق نشر أمراض خاصة مبرمجة من خلال استخدام المعلومات التى توفرها أبحاث الهندسة الوراثية، ما لم تقف هذه الأبحاث عند حد فك الشفرات الوراثية لشريط الحامض النووى البشرى.

لقد شددت دراسة ألمانية عنوانها «العمليات العسكرية فى العام ٢٠٢٠» على عدد من المخاطر المستقبلية الناجمة عن وجود سلاح جينى يعتمد فى تدميره على الصفات الوراثية للشعوب ويتم توجيهه ضد مجموعات معينة من البشر، استنادا إلى مساعدة المعلومات التى توفرها خريطة الجينوم البشرى. وتزداد خطورة هذا السلاح مع سهولة إمكان تصنيعه، حيث لا يحتاج إلى معامل مجهزة ومعدات متطورة، بل يمكن إنجاز إنتاجه فى غرفة بمعدات بسيطة.

■ ■ ■

16

حتى الغذاء لم يسلم
من الحرب البيولوجية!!



فى الخامس والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٩، أعلن الرئيس ريتشارد نيكسون أن الولايات المتحدة «ستتخلى، من جانب واحد، عن استعمال العوامل والأسلحة البيولوجية الفتاكة وجميع الطرائق الأخرى للحرب البيولوجية». وكان السبب الرسمى الذى قدم لهذا التخلى هو أن الأسلحة البيولوجية لم تكن لها سوى أهمية عسكرية محدودة. وفى شهادته أمام مجلس الشيوخ الأمريكى عام ١٩٨٩، أوجز «.S.M ميزلسون» (وهو باحث من جامعة هارفارد متخصص فى البيولوجيا الجزيئية وخبير فى الأسلحة البيولوجية) الأسباب الحقيقية قائلا: «أولا، إن هذه الأسلحة لا تقل خطورة عن الأسلحة النووية، وثانيا، إن تطويرها وإنتاجها قد يكون أبسط وأقل كلفة من الأسلحة النووية، ثم - وهو الأهم - إنه من السهل استنساخ برنامج الأسلحة البيولوجية الهجومية.. لقد قاد هذا التحليل الصريح إلى القول بأن برنامجنا للأسلحة البيولوجية يشكل تهديدا حقيقيا لأمننا ذاته». (الحرب البيولوجية ضد المحاصيل الزراعية - «بى. روجرز» و «إس. وينى» و«إم. داندو» - موضوع مترجم - مجلة «العلوم» - مؤسسة الكويت للتقدم العلمى - ديسمبر ١٩٩٩).

وترجع الأسلحة البيولوجية إلى عهد الإمبراطورية الرومانية على الأقل، عندما كان من الشائع إلقاء جثث الحيوانات النافقة فى إمدادات مياه العدو لتسميمها. وقد عرفت حكومة الولايات المتحدة الحرب البيولوجية بأنها «الاستزراع أو الإنتاج المتعمد للكائنات الممرضة من بكتيريا أو فطور أو فيروسات... ونواتجها الذيفانية، بجانب مركبات كيميائية معينة، بهدف نشر المرض أو الموت».

وتصور فظاعة الأسلحة البيولوجية عادة بالإشارة إلى تعمد تعريض جماعة بشرية إلى مرض فتاك، مثل الجمرة الخبيثة أو الطاعون.

وقد حاول بعض الأشرار فعلا الحصول على عوامل تسبب الموت، على

أمل استخدامها لأغراض إرهابية، وفضحت هذه المحاولات كى تدرك الجماهير أخطار الأمراض البشرية التى تنشر عمدا.

على أن هناك نوعا آخر من الأسلحة البيولوجية أقل شهرة له قدرات تدميرية ضخمة ولكنه لا يسترعى إلا انتباها محدودا. وتشمل «الوسائل الأخرى للحرب البيولوجية»، التى ذكرها نيكسون، تلك التى تهلك المحاصيل لا الناس.

وأدرك «ان دير پلانك» خبير أمراض النبات بمعهد وقاية النبات فى پريتوريا - جنوب إفريقيا أهمية الإجراءات المضادة للمحاصيل منذ أوائل الستينيات، فكتب يقول «كثيرا ما نشبه الوباء بالمتفجرات، وهذه الصفة ملائمة تماما فى زمن السلم، أما فى زمن الحرب فقد يكون الأمر أكثر ترويعا بالمعنى العسكرى، إذ لن يجد العدو من المتفجرات سوى القليل الذى يبز كائنا ممرضا يتزايد بمعدل ٤٠ فى المئة فى اليوم. ويستمر فى التكاثر لأشهر عديدة.. ينتشر خلالها الكثير من الأبواغ بسهولة كما الدخان.. يكفى أن تنثر فى الأماكن المناسبة وفى الوقت المناسب لتتولى الطبيعة إحداث الانفجار».

ساعد القرار الذى اتخذته الولايات المتحدة من جانب واحد على تمهيد الطريق لإبرام اتفاقية حظر الأسلحة البيولوجية والذيفانية (التوكسينية) لعام ١٩٧٢، التى تلزم الدول الموقعة بوقف العمل فى مجال الأسلحة البيولوجية وبتدمير مخزوناتها الحالية من تلك الأسلحة. ولكن على الرغم من موافقة ١٤١ دولة على هذه الأحكام، فإن القلق تزايد كثيرا خلال العقد الماضى إزاء أخطار الحرب البيولوجية.

وكان شبح الإرهاب أحد أسباب هذا القلق المتزايد. وثمة سبب آخر، هو الزعم باكتشاف أن العراق كان لديه برنامج ناشط للأسلحة البيولوجية قبل حرب الخليج يتضمن أسلحة مضادة للمحاصيل!!

لقد بدأ برنامج العراق للأسلحة البيولوجية فى السبعينيات، وبلغ ذروته فى الفترة من عام ١٩٨٥ إلى عام ١٩٩١، وكان يعنى بالكائنات الممرضة للإنسان مثل الجمرة الخبيثة، وبالسموم مثل التسمم البوتولينى (التسمم الوشيقى) والأفلاتوكسينات. أما العمل على مضادات المحاصيل فقد تركز على تفحم القمح، وهو مرض نباتى تسببه أنواع من الفطور تنتمى إلى الجنس تيليشيا، إذ يحل فطر تفحم القمح محل الجزء المزهر من نبات القمح، ليكون كتلا من أبواغ سوداء سرعان ما تنتشر إلى النباتات الأخرى. وتفحم القمح مرض متوطن فى الكثير من أنحاء العالم، وتسبب الإصابة الشديدة به نقصا حادا فى غلة المحصول. كان هدف العراق من هذه الجهود على الأغلب هو إيران، حيث يعتبر القمح أهم محاصيل الحبوب الغذائية لديها. (لتفحم القمح صفة إضافية فريدة تفيد عند شن الحرب: ينتج الكائن الممرض غاز ثلاثى ميثايل أمين القابل للاشتعال، والذى يمكن أن يفجر آلات الحصد التى جمعت الحبوب المصابة).

ويظهر برنامج العراق المضاد للمحاصيل مدى الحاجة إلى الاهتمام بهذه الصورة من صور الحرب البيولوجية. وكما أشار ميزلسون فإنه يظل بإمكان الدولة التى تفتقر إلى الخبرة التقنية لإنتاج القنابل الذرية أن تصنع أسلحة قد تسبب مجاعات مهلكة أو خسائر اقتصادية فادحة.

وتتركز جميع المحاصيل الغذائية الرئيسية فى عدد من الأصناف، كل منها يلائم عادة مناخا معينا وظروف تربة معينة. وتتباين هذه الأصناف فى حساسيتها لأمراض بذاتها. وتوجد الكائنات الممرضة بدورها فى سلالات أو أعراق تصيب وتدمر أصناف المحاصيل هذه بدرجات متفاوتة. وتستطيع الدولة المعتدية أن تستغل هذه الخصائص لعزل سلالات من الكائن الممرض تعمل كقنابل «ذكية» فلا تهاجم إلا مصادر العدو من المحاصيل الغذائية الرئيسية. إن المرض البشرى الذى يمكن أن ينتشر عن طريق الهواء - مثل

فيروس الإنفلونزا المسؤول عن الجائحة التى عمت العالم عام ١٩١٨ وقتلت ٢٠ مليون شخص - يشكل تهديدا خاصا.

وبالمثل سنجد أن الكثير من أسوأ الكائنات الممرضة للمحاصيل يمكنه ببساطة أن ينتقل من نبات إلى آخر فى صورة أبواغ فطرية، يمكن أن تحملها الريح أو تعمل قطرة مطر على نقلها من ورقة نبات إلى أخرى.

ويمكننا أن نوضح قدرة الحرب المضادة للمحاصيل على إحداث التدمير الاقتصادى إذا نظرنا إلى ما تسببه أمراض النبات فى الأحوال الطبيعية من خسائر. ففى عام ١٩٧٠ دمرت لفحة الأوراق ما قيمته بليون دولار من الذرة فى جنوب الولايات المتحدة، وكثيرا ما يتسبب التفشى الدورى لأمراض الصدأ والتفحم التى تصيب محاصيل الحبوب فى هلاك غلال تقدر بمئات الملايين من الدولارات. فقد تسبب صدأ أوراق البن فى القرن التاسع عشر فى تدمير مزارع البن بجنوب شرقى آسيا، كما تسبب هذا المرض خلال العقدين الماضيين فى مشكلة ملحة فى أمريكا اللاتينية.



المحاصيل الزراعية أصبحت ضمن ضحايا الحروب البيولوجية

قد يبدو وباء أصاب المحصول الغذائى نتيجة هجوم بيولوجى وكأنه قد جاء طبيعيا، وبذا يسلم المعتدى غير المعروف من اللوم ومن التبعات. وإذا ما احتاجت حكومة إلى موافقة شعبية على مواصلة أعمالها العدائية فإن اعتداء علنيا على النباتات ـ شأنه شأن العقوبات الاقتصادية ـ قد يكون أكثر قبولا من الناحية النفسية مقارنا بالهجوم على البشر. وعلى سبيل المثال، فإن هجوما بالجمرة الخبيثة على السكان العزل لمدينة ما قد يتسبب فى قتل مئات الآلاف من البشر، يموتون سريعا بمرض كريه مؤلم للغاية. أما تدمير المحاصيل فيبدو فى ظاهره أقل ضررا، إذ ليست له آثار فورية فى المجتمعات.

انبثقت الكيماويات اللاحقة التى تسقط أوراق النبات ـ كتلك التى استخدمت فى حرب فيتنام (فى الأعلى) ـ عن البرامج نفسها التى ترجع إلى الحرب العالمية الثانية والتى قادت إلى تطوير الأسلحة البيولوجية الموجهة ضد المحاصيل الغذائية.

على أن الواقع يقول إن النتائج قد تكون مروعة. فشن هجوم بيولوجى مدبر يلحق أضرارا جسيمة بنبات الأرز فى دولة فقيرة يعتمد فيها ملايين المواطنين على الأرز غذاء أساسيا، قد يتسبب فى مجاعة لا تقل خسائرها البشرية عن هجوم بالجمرة الخبيثة على مدينة، إذ سيعقب هذا الهجوم سوء تغذية ومجاعة تصيب أكثر ما تصيب القطاع الأفقر من السكان. وإضافة إلى الآثار المباشرة للجوع، ستنخفض المقاومة المناعية لعدد كبير من الأمراض الشائعة، ولن يقل مدى الآلام والمعاناة عما يسببه هجوم بالجمرة الخبيثة.

وفى كلتا الحالتين، ستوجه الحرب أساسا ضد المدنيين من السكان، من دون ادعاء بإصابة أهداف «عسكرية». وخلال المئة عام الماضية بذلت محاولات جادة لفرض سيطرة قانونية دولية على العمليات الحربية. ومن أمثلة ذلك، الحظر الذى فرض مؤخرا على الألغام الأرضية المضادة للأفراد. وتركزت الجهود على محاولة تقليل الهجوم على المدنيين العزل، ولكن الأثر الأكبر للحرب المضادة للمحاصيل سيقع بالتحديد على هذه الفئة

من السكان. إن صورة من الحرب قد تبدو غير شرسة، لا مفرقعات فيها ولا رصاص أو ألغام أو شظايا قنابل، قد تكون فى واقع الأمر فعالة بشكل مرعب فى إيقاع خسائر بشرية بالجملة.

والتاريخ خير شاهد على أن أمراض النبات قد تضاهى غزوا عسكريا فى إلحاق الدمار بالسكان المدنيين. فقد تسببت اللفحة المتأخرة للبطاطس (البطاطا) فى مجاعة ١٨٤٥ ـ ١٨٤٦ بإيرلندا، التى قتلت مليونا من البشر وأجبرت مليونا آخرين على الهجرة. وكان مرض التبقع البنى للأرز من أسباب المجاعة التى حدثت فى منطقة البنغال بالهند فى عامى ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣، والتى قضى فيها جوعا أكثر من مليون شخص.

إذا، العوامل المضادة للمحاصيل قد تكون ـ من الناحية النظرية ـ جزءا فعالا من الترسانة الحربية للدولة، وهذه إمكانية جذبت اهتماما واسعا على مدى الجزء الأكبر من هذا القرن.

بدأ البرنامج الفرنسى للأسلحة البيولوجية فى عام ١٩٢١، وبحلول نهاية الثلاثينات كان البرنامج قد تضمن العمل على اثنين من العوامل المهلكة لمحصول البطاطس: اللفحة المتأخرة وخنفساء كولورادو.

وفى أثناء الحرب العالمية الثانية ركز البريطانيون جهودهم فى مجال الحرب البيولوجية على الجمرة الخبيثة. (تضمنت الاختبارات إطلاق الجمرة الخبيثة فى جزيرة جروينارد قرب شاطئ اسكتلندا، الأمر الذى جعل الجزيرة غير صالحة للسكنى نحو خمسين عاما. ولقد تسبب القلق من قرب هذه الجزيرة من البر الرئيسى للبلاد فى تحول الاختبارات عام ١٩٤٣ إلى محطة تجارب صافيلد، وسط البرارى المفتوحة فى ألبيرتا ـ كندا).

وعمل البريطانيون أيضا على الأسلحة المضادة للمحاصيل، وركزوا على مبيدات مختلفة للأعشاب.

وقد أدت بعض هذه المبيدات الكيميائية للنباتات دورا فى المعارك التى

نشبت فى الخمسينيات ضد المتمردين الشيوعيين فى الملايو، وهيأت المسرح للاستعمال المكثف من قبل الولايات المتحدة للكيماويات اللاحقة (التى تسقط أوراق النباتات) فى الستينيات والسبعينيات بفيتنام.

وبالمثل، أجرت ألمانيا بحوثا على الأسلحة البيولوجية أثناء الحرب العالمية الثانية، ودرست عوامل مضادة للبشر وأخرى مضادة للمحاصيل. وفى تقييم أمريكى تم بعد الحرب للبرنامج الألمانى، جاء ما يلى: «ربما كان لدى العاملين فى قطاع النبات من المشاريع والأفكار أكثر مما لدى العاملين فى أى قطاع آخر.. كان ثمة تأكيد متكرر على إمكانية استخدام العوامل المختلفة فى الهجوم على إنكلترا، وورد ذكر أمريكا تحديدا فى واحدة من الحالات».

درست ألمانيا العديد من الأمراض التى تصيب المحاصيل، وكان من بينها اللفحة المتأخرة للبطاطس وصدأ القمح الأصفر والأسود اللذان يصيبان الأوراق، إلى جانب آفات حشرية مثل خنفساء كولورادو وخنفساء بذور اللفت وخنفساء الذرة.

وبحلول عام ١٩٤٣ كان برنامج ضخم لتربية خنفساء كولورادو فى مراحله الأولى. وتشير السجلات إلى أن الخنفساء كانت جاهزة للاستعمال فى شهر يونيو ١٩٤٤م.

ولكن الوقت كان عندئذ قد تأخر كثيرا لتدمير محصول تلك السنة من البطاطس فى بريطانيا. وباستسلام ألمانيا فى العام التالى، توقفت الدراسات المتعلقة بخنفساء كولورادو قبل مرحلة التجارب الحقلية.

أما برنامج اليابان للأسلحة البيولوجية فى الحرب العالمية الثانية فقد أشرفت عليه الوحدة ٧٣١ السيئة السمعة.

لقد قام أعضاء تلك الوحدة، بجانب استئصال أنسجة للفحص المجهرى من الأسرى وهم أحياء، بتطوير عوامل بيولوجية مصممة للاستخدام ضد البشر.

وبقيت تفاصيل البرنامج اليابانى المضاد للمحاصيل غير معروفة على

وجه التحديد، ولكن كان هناك ما يصل إلى مئة فرد يعملون فى بحوث تجرى على عدد من الكائنات المرضة للنبات وعلى المبيدات الكيميائية للأعشاب.

وانصب الاهتمام على الأمراض التى يمكن أن تصيب المحاصيل السوفييتية والأمريكية، لا سيما ما يزرع منها فى شمال غرب المحيط الهادى. ويبدو أن إصابة القمح بمرض التفحم وبالنماتودا، كانا أهم سلاحين لدى اليابانيين.

ثم إنهم شيدوا مرفقا يمكنه أن ينتج سنويا أكثر من ٩٠ كيلوغراما من أبواغ صدأ محاصيل الحبوب بكافة أشكاله. ويمكن لمثل هذه الكمية من الأبواغ، إذ تنشرها الرياح كالغبار، أن تبيد أصقاعا هائلة من حقول الحبوب الغذائية الكهرمانية اللون فى أمريكا.

احتفظت الولايات المتحدة ببرنامج ضخم للحرب البيولوجية، يتضمن دراسات موسعة على الأسلحة المضادة للمحاصيل، وذلك من الأربعينيات وحتى إعلان نيكسون عام ١٩٦٩، وفى الواقع، كما يقول «بى.جى. روبنسون» (من جامعة ساسكس)، إن البحوث التى أجريت على العوامل المضادة للمحاصيل كانت مشجعة لدرجة أنها كانت السبب فى الإبقاء على برنامج الولايات المتحدة للأسلحة البيولوجية بأكمله عندما واجه التوقف عدة مرات قبل عام ١٩٦٩م.

وقد رفعت السرية الآن عن الكثير من قدرات الأسلحة البيولوجية الأمريكية وصارت المعلومات الخاصة بها متاحة، بموجب قانون حرية المعلومات.

وفى عمله الذى شرح فيه مخاطر الأسلحة الكيميائية، أشار روبنسون لأول مرة إلى بعض ما كان خافيا من أسرار الحرب المضادة للمحاصيل.

ثم اكتشف (ويتبى) معلومات أخرى عن الأسلحة المضادة للمحاصيل فى إطار ما كشف عنه باحثون آخرون فى الموضوع الأعم للأسلحة البيولوجية.

وقد تناول برنامج الولايات المتحدة المضاد للمحاصيل الكثير من

الأمراض، مثل اللفحة المتأخرة للبطاطس وعفن فطر سكليروتيوم الذى يصيب محاصيل مثل فول الصويا وبنجر السكر والبطاطا (البطاطا الحلوة) والقطن. على أن الهدف الرئيسى لبرنامج الولايات المتحدة كان القمح فى غرب الاتحاد السوفييتى سابقا وبخاصة فى أوكرانيا، والأرز فى آسيا وبخاصة فى الصين.

فيما بين عامى ١٩٥١ و١٩٦٩ قامت الولايات المتحدة بتخزين أكثر من ثلاثين ألف كيلوغرام من أبواغ الفطر الذى يسبب صدأ الساق فى القمح، وربما كانت هذه الكمية كافية لإصابة جميع نباتات القمح على ظهر الأرض.

ولهذا الفطر إمكانية ممتازة كسلاح، لأنه يحتفظ بحيويته فى التخزين البارد فترة تربو على السنتين، كما أنه ينتشر بسرعة عند إطلاقه . قد تحمل حبة قمح واحدة مصابة ١٢ مليون بوغ، يمكن لكل منها أن يصيب نباتا جديدا.

واختارت الولايات المتحدة مرض لفحة الأرز، الذى يسببه الفطر، عاملا رئيسيا لتدمير محصول الأرز. وبحلول عام ١٩٦٦ كان لديها مخزون يقرب من الطن من أبواغ فى حجم ذرات الغبار.

وطورت الولايات المتحدة أيضا عددا من نظم الأسلحة ـ يمكن أن يوصف بعضها بأنه بالغ الإتقان ـ صممت لنشر العوامل المضادة للمحاصيل.

وكان من بين الأسلحة المبكرة قنبلة تزن ٥٠٠ رطل صممت أصلا لإطلاق منشورات الدعاية، ولكنها عبئت بريش طيور محمل بأبواغ الفطر الدقيقة. ربما لم يحدث منذ عهد ما قبل الثورة الأمريكية ـ عندما وزع البريطانيون على الهنود بطاطين ملوثة بالجدرى ـ أن استخدمت مثل هذه الأشياء الحميدة لمثل هذه الغايات المميتة.

وأجرت الولايات المتحدة اختبارات حقلية على «قنبلة الريش» هذه فى كامب ديتريك بماريلاند وفى جزر يرجين الأمريكية.

وعند إطلاق الريش من الحاويات، تطاير وسبح فى الهواء ليهبط فوق مساحة شاسعة من الأرض، ولما هبط على المحاصيل انتقلت بعض الأبواغ الممرضة من الريش إلى أوراق النباتات.

وكما يقول تقرير من كامب ديتريك رفعت عنه السرية: «يحمل الريش المعفر بعشرة فى المئة من وزنه من أبواغ صدأ الحبوب الغذائية، والذى أطلق من مهايئ عنقودى محور من طراز M16A1 من ارتفاع ٤٠٠ ـ ٥٥٠ مترا فوق سطح الأرض، يحمل من الأبواغ عددا يكفى لتفشى وباء صدأ الحبوب».

وتضم البالونات أجهزة لقياس الضغط الجوى وأجهزة توقيت تسمح بإطلاق الأسلحة الجرثومية على الارتفاع المناسب وفى الوقت المناسب بعد إطلاقها. بل إن هناك أساليب أكثر تطورا تشمل ما يسمى قنبلة الريش، التى يحمل ريش الدجاج الرومى فيها أبواغ المرض إلى الأرض بعد إطلاقه من «قنبلة» صممت أصلا لإسقاط المنشورات الدعائية.

وتعتمد التقنيات الأمريكية الأخرى التى طورت فى الخمسينات لنقل الأبواغ، على رش الكائنات الممرضة من قاذفات F-100 وF-105 وF-4C، وهذا هو النظام الذى استخدم فيما بعد لرش المبيدات الكيميائية للأعشاب فوق فيتنام.

وثمة استراتيجية أخرى تعتمد على بالونات غير مأهولة تسبح حرة، حاملة أوعية مصممة لنشر العوامل المضادة للمحاصيل.

لقد توقف برنامج الحرب الأمريكية المضادة للمحاصيل بعد قرار التخلى من جانب واحد عن برنامج الأسلحة البيولوجية بأكمله.

وتشير المعلومات الواردة من المنشقين بأن الاتحاد السوفييتى سابقا كان لديه برنامج ناشط مضاد للمحاصيل استمر حتى تفكك الاتحاد فى عام ١٩٩١، غير أنه لم يعرف إلا القليل عن أى من هذه الجهود السرية حتى كشفتها لجنة الأمم المتحدة الخاصة بالعراق فى عام ١٩٩٥م.

فى القرن الحادى والعشرين، سيظل لدى الدول النامية والدول المتقدمة على السواء الكثير مما تخشاه من الأعداء الذين قد يلجؤون إلى الحرب ضد المحاصيل - أمما أو طوائف سياسية أو إرهابيين. ومعظم أمراض النبات التى تنتشر بسرعة خلال موسم زراعى واحد لها فترة حضانة قصيرة، كما أنها تؤثر تأثيرا ملموسا فى الأوراق.

ومن الممكن الاعتماد مثلا على جهاز الإرشاد الزراعى القوى فى الولايات المتحدة فى الكشف المبكر عن تفشى المرض وفى التوصية بمبيدات الآفات الغالية الثمن لوقف تفشيه. على أن مثل هذا الكشف المبكر ومثل هذه الإجراءات الوقائية تتطلب موارد من نوع لا يتوفر عادة فى الدول الأفقر.

ومن ناحية أخرى فإن البلدان المتقدمة فى أمريكا الشمالية وغرب أوروبا تواجه أخطارا من نوع فريد، تنجم عن انتشار أسلوب زراعة صنف واحد فقط أو اثنين من المحاصيل الغذائية الرئيسية.

فنقص التنوع فى مثل هذه الزراعات الأحادية يترك المحصول بأكمله عرضة للكائنات التى تصيب هذه الأصناف بالمرض.

ويمكن للعدو أن ينقل العوامل الممرضة عندما تتوفر الظروف الجوية المواتية ومرحلة نمو المحصول التى تضمن تفشى جائحة إقليمية.

وحتى لو أمكن للدولة المعتدى عليها أن تنجح فى وقف تفشى المرض قبل أن يدمر المحصول، فإنها قد تصاب بخسائر اقتصادية جسيمة.

ويمكن للثورة الحالية فى التقانة البيولوجية والهندسة الوراثية أن توسع القدرات التقنية لكل من لديه اهتمام بتطوير أسلحة بيولوجية، ومن ثم فهى تزيد التهديد.

وتقوم الدراسات الأساسية الآن بفك شفرة الجينومات (المجينات) النباتية وتآثرات النباتات مع ممرضاتها.

صحيح إن هذا العمل قد يدعم الإنتاجية الزراعية، ولكنه قد يخدم عن

غير قصد من يهتمون بتصميم أسلحة أكثر فعالية لتدمير المحاصيل، إذ يمكن للباحثين أن ينتجوا سلالات من كائنات ممرضة أكثر تحملا، قد تكون مقاومة لمبيدات الآفات التقليدية أو قادرة على البقاء فى مدى أوسع من درجات الحرارة والرطوبة.

وقد أوردت ورقة عمل للأمم المتحدة عشرة أمراض تصيب المحاصيل على مستوى العالم على أن لها إمكانات السلاح البيولوجى، ومعظم محاصيل الغذاء الرئيسية فى العالم معرضة للإصابة بها.

ويعد صدأ القمح وتفحم قصب السكر ولفحة الأرز من بين أكثر الأمراض تدميرا. ومن المحاصيل الأخرى القابلة للإصابة: الذرة والبطاطس وأنواع عديدة من البقول وأنواع مختلفة من الفاكهة والبن، وقد تستهدف أيضا أشجار الصنوبر المهمة اقتصاديا لإنتاج الأخشاب.

وفى عصر ما بعد الحرب الباردة، فإن الضغوط السياسية والعقوبات الاقتصادية يمكن ألا تقل أهمية عن المواجهة العسكرية المباشرة، إن مجرد القدرة على توجيه الموارد الاقتصادية نحو التصدى للأوبئة فى بداياتها يعطى الحرب ضد المحاصيل قوة هائلة. وعلى هذا، فإن حظر الأسلحة المضادة للمحاصيل يجب أن يكون جزءا من الجهود الحالية لتعزيز اتفاقية حظر الأسلحة البيولوجية والذيفانية (التوكسينية).

وبعيد حرب الخليج عام ١٩٩١، بدأت الاجتماعات فى جنيف من أجل تحقيق هذا الهدف.

ومن السبل المهمة لبلوغه التوصل إلى بروتوكول دولى يضمن التحقق من الالتزام بالحظر. وتتطلب هذه الخطة إقامة منظمة لتقييم الإعلانات التى تصدرها الدول عن أهم مرافقها القادرة على تطوير أسلحة بيولوجية. على أن تكون لهذه المنظمة سلطة التحقق من مثل هذه الإعلانات، عن طريق زيارة المواقع مثلا.

ولا بد أيضا من وجود ترتيبات لإجراء معاينات تأكيدية لهذه المرافق - توصف فى مجتمع الحد من الأسلحة بأنها تجرى «فى أى وقت، فى أى مكان، من دون حق الرفض» - عند الشك فى خرق المعاهدة. كما ينبغى السماح بإجراء تحقيقات ميدانية فى حالات الادعاء باستخدام أسلحة بيولوجية.

إن ثمة انقساما بين الدول الصناعية والدول النامية حول مستوى المساعدات العلمية والتقنية التى سيتضمنها أى بروتوكول.

وينبغى ألا يكون البروتوكول ذاته أداة تنقل بها التقانة المتقدمة غير المنضبطة، التى يمكن أن تستغل فى ابتكار أسلحة الحرب، من الدول التى تمتلك هذه التقانات إلى الدول التى لا تمتلكها، وينبغى أيضا ألا يستخدم فى منع النقل القانونى للتقانة للأغراض السلمية.

كما أن لدى الشركات الكبرى للتقانة البيولوجية ما يقلقها بشأن الخسائر المحتملة للملكية التجارية للمعلومات أثناء الزيارات وأعمال التفتيش. ثم إن بعض الدول بالطبع قد ترغب فى الاحتفاظ بخيار تطوير الأسلحة البيولوجية.

فى العام ١٩٩٨ وافق الكونجرس الأمريكى على برنامج لمكافحة المخدرات تبلغ ميزانيته ٢٣ مليون دولار يتضمن بحوثا فى مجال ممرضات النبات. وتشمل النباتات المستهدفة تلك التى تنتج العقاقير المخدرة مثل الكوكايين والهيروين والحشيش.

ويرحب مؤيدو البرنامج به على أنه فتح محتمل. قال «بى. ماكولام» نائب فلوريدا وأحد مقدمى التشريع، «تشير جميع الدلائل إلى أن هذا المشروع سيكون له أثر كبير فى الحرب ضد المخدرات.. وقد يكون هو العلاج الناجع».

فالمادة الأولى من اتفاقية حظر الأسلحة البيولوجية والذيفانية (التوكسينية) لعام ١٩٧٢ تمنع تطوير وإنتاج وتخزين العوامل البيولوجية

المزمع استخدامها «لأغراض القتال أو فى الصراعات المسلحة». كما تحظر الأسلحة البيولوجية «التى ليس لها ما يبررها من أهداف وقائية آو حمائية أو غير ذلك من أهداف سلمية».

وعلى هذا يشير مؤيدو استخدام الممرضات ضد نباتات المخدرات إلى أنها ستستخدم فى برامج تعاونية تشارك فيها الدول التى تنتج فيها المخدرات.

أما معارضو هذه الخطط فتقلقهم ثلاثة أمور. أولها أن الأوبئة المستحثة قد تنتشر، فى بعض الظروف، إلى نباتات أخرى. وثانيها أن ممرضات النبات قد تستخدم فى المناطق المنتجة للمخدرات من دون موافقة الدول المعنية.

وفى حين أن هذا الاستخدام قد يلقى ترحيبا من وكالات مكافحة المخدرات، فمن المؤكد أنه سيمثل خرقا للاتفاقية، فضلا عن أنه يشكل سابقة خطيرة.

أما مصدر القلق الأكبر فهو أن تطوير القدرة على تدمير محاصيل المخدرات بممرضات النبات سيوفر بكل تأكيد ثروة من المعارف والخبرات العملية يمكن أن تطبق بسهولة فى حرب بيولوجية أكثر فتكا وتدميرا تستهدف المحاصيل الغذائية.

وإذا فشلت الجهود الحالية لتعزيز معاهدة حظر الأسلحة البيولوجية، فسيواجه العالم احتمال فقدان السيطرة على مجموعة رئيسية من أسلحة الدمار الشامل خلال فترة تسارع التقدم العلمى والتقنى.

وقد تكون النتيجة عبر العقود القليلة القادمة ابتكار مجموعة مدمرة من الأسلحة الجديدة، سيوجه بعضها بالتأكيد نحو محاصيل الغذاء التى تطعم بلايين المواطنين فى العالم.

■ ■ ■

17

إسرائيل واعترافات
ماركوس كلينغبيرغ!!



بعد قيام إسرائيل فى عام ١٩٤٨، شرعت الدولة العبرية فى العمل لامتلاك أسلحة الدمار الشامل منذ قيام إسرائيل. وقد بذل قادة إسرائيل جهودا كبيرة فى الاتصال مع الكثير من العلماء اليهود فى العالم من ذوى الاختصاصات المختلفة من أجل تطوير أسلحة الدمار الشامل النووية والبيولوجية والكيماوية.

وتمكنت إسرائيل من استقطاب الكثير من العلماء اليهود فى العالم الذين هاجروا إليها وكان لهم الباع الطولى فى تطوير أسلحة الدمار الشامل الإسرائيلية.

وقد فرضت إسرائيل تكتما شديدا للغاية على مجمل نشاطها المتعلق بتطويرها أسلحة الدمار الشامل.

وكان أحد العلماء فى جامعة «تل أبيب» واسمه «روبرت ليبو» قد اعترف فى كتابه «حيوانات الحرب» بأن إسرائيل استخدمت الأحياء ومنها الأسماك والطيور والكلاب للتجسس فى جنوب لبنان للكشف عن أماكن الغواصات ومواقعها وبعض قطع القوات العربية المحاربة وذلك عن طريق جهاز إليكترونى بسيط يوضع على تلك الحيوانات ومن ثم يرسل موجات معينة يستقبلها جهاز آخر فى مركز الاستخبارات العسكرية القيادية فى تل أبيب.

ولقد كشفت صحيفة «الجمهور» اللبنانية فى أبريل عام ١٩٧٥ فى عددها الرابع والعشرين تحت عنوان «استخدام الحمام والأسماك والفئران فى الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية» ما يؤكد ذلك.

وما لبث هذا المقال بكامله أن نشر فيما بعد على صفحات كتاب «الحيوانات والحرب» للمؤلف السابق الذى كشف فيما بعد عن حقيقة المخطط الإسرائيلى العسكرى الرهيب عن كيفية استخدام تلك الحيوانات وقد بنى على أربع نقاط هى:

أ ـ الانطلاق: وهى اللحظة التى عندها تنفصل الحيوانات المستخدمة

كالحمام مثلا عن وسيلة النقل التى استخدمت فى جمعها وأمرها بالقيام بمهمتها للبحث.

ب ـ الإرشاد: وهى العملية التى يتم بها بالفعل إيصال تلك الحيوانات إلى المناطق التى يراد البحث فيها.

ج ـ البحث: تقصى الحقائق وجمع المعلومات من كافة المناطق التى أطلقت فيها لتجعل الهدف سهلا وميسورا.

د ـ التقارير: وهو إعطاء خطة كاملة ومعلومات وافية بعد البحث عن أماكن تجمع الأفراد وعددهم وممتلكات الجيش العربى المحارب وذلك بواسطة ذبذبات معينة من الأجهزة المثبتة بالحيوانات إلى الأفراد المراقبين بواسطة أجهزة مقابلة فى مناطق القيادة العسكرية.

هـ ـ العودة: وهى عودة الحيوانات مرة أخرى إلى نقطة البدء.

و ـ الهجوم بعد تحديد الهدف.

وبالرغم من ذلك هزت المؤسسة الأمنية الإسرائيلية فى عقد ثمانينيات القرن الماضى قضيتان ارتبطتا بتطوير إسرائيل أسلحة الدمار الشامل. تمثلت إحداهما فى ما كشفه سنة ١٩٨٦ التقنى الإسرائيلى فعنونو لصحيفة الـ «صنداى تايمز» البريطانية أسرار تطوير إسرائيل سلاحها النووى، الأمر الذى حدا بالمخابرات الإسرائيلية إلى اختطافه وتقديمه للمحاكمة.

أما القضية الأخرى ظلت ردحا من الزمن فى طى الكتمان، فقد تمحورت حول اكتشاف المخابرات الإسرائيلية سنة ١٩٨٣ عالما إسرائيليا من زبدة النخبة الإسرائيلية، كان يعمل لصالح المخابرات السوفييتية فترة تزيد على ثلاثة عقود زودها خلالها بالمعلومات المباشرة المتعلقة بتطوير إسرائيل أسلحتها البيولوجية والكيماوية.. هذا العالم هو ماركوس كلينغبيرغ.

وهناك كتاب مذكرات شهير يروى فيه هذا العالم الذى سلم الاتحاد

السوفييتى أسرار المعهد البيولوجى فى «نيس تسيونا» بإسرائيل لمدة تزيد على عشرين سنة. فى جزء كبير من هذه السنين كانت الحكومة السوفييتية تعامل إسرائيل على أنها عدو معلن.

والمعروف أن إسرائيل كانت قد حكمت على كلينغبيرغ بالسجن عشرين سنة، أمضى منها ١٦ سنة ثم أطلق سراحه من السجن إلى الإقامة الجبرية لدواعى المرض.

ومن المهم قبل أن ننقل ما قاله العالم كلينغبيرغ فى كتابه أن نتحدث باختصار عن معهد «نيس تسيونا» للأبحاث البيولوجية الموجود فى إسرائيل والذى كان يعمل فيه هذا العالم. هذا المعهد تخصص منذ أمد بعيد فى إنتاج الجراثيم والميكروبات والأوبئة القاتلة لنشرها وبالطبع العرب هم المستهدفون من كل مخططات إسرائيل العدوانية فى المنطقة.



كلينغبيرغ

آخر المعلومات التى تسربت من الكيان الصهيونى تشير إلى أن معهد «نيس تسيونا» قد طور من فيروسات «أنفلونزا الطيور» بعد أن كان قد نجح فى تطوير نحو ١٥ نوعا من مواد الحرب الجرثومية البيولوجية الكلاسيكية.. مثل الطاعون والتيفود والكوليرا والجدرى وغيرها.. وكذلك مواد أكثر فتكا من ضمنها تطوير قنبلة «الجنس» أو «العرق» التى بمقدورها إبادة الجيش العربى بواسطة الهندسة الوراثية «الجينية».

وتشير المعلومات هنا إلى أن علماء إسرائيليين فى المعهد وفى معهد «وايزمان» برئاسة البروفيسور «يسرائيل دوستروفسكى» بدأ منذ العام ١٩٩٠ تحديد الجينات الخاصة التى يحملها العرب لاستخدامها فى انتاج وتوليد فيروسات وبكتيريا خطيرة تهاجم الجينات الموجودة لدى الجيش العربى.

وطبقا لمصادر علمية فإن الكيان الصهيونى أجرى سلسلة من الأبحاث والتجارب على القنبلة «الجينية» باستخدام الهندسة الوراثية.. ومن بين هذه التجارب ما تم فى العام ١٩٩٥ عندما تم احتجاز ٥٠ من العرب الذين يعملون فى بساتين الموالح فى «رحوبوت» داخل الكيان الصهيونى بحيث أجريت اختبارات جينية لتحديد الجينات الخاصة بالعرب وقد تم التمويه على هذه العملية من خلال نقل هؤلاء إلى مستشفى بدعوى ظهور أعراض خطيرة عليهم.. وقد تم من خلال هذه الطريقة إجراء الاختبارات والتجارب بإشراف البروفيسور «دوف زيلجير» حيث توفى أحد هؤلاء الخمسة بينما يعانى الأربعة الآخرون من أمراض يصعب على الأطباء تشخيصها.

(قنبلة صهيونية لإبادة الجيوش العربية.. إسرائيل تطور فيروس «أنفلونزا الطيور» لمهاجمة البلدان العربية - محمود بكرى - صحيفة « الأسبوع».

أما التجربة الأخرى فقد أجريت على عدد من العرب خاصة من مصر والأردن ومن المتواجدين داخل الكيان الصهيونى.. حيث قدموا للعلاج فى مستشفيات إسرائيلية بينما يعمل بعضهم هناك.. وكان الهدف الوصول إلى

تشخيص دقيق للخصائص الجينية عند رعايا الدول العربية واستكمالا لبرنامج تطوير قنبلة «الجنس أو العرق».

والتجربة الثالثة هى أن إسرائيل وسعت فى نطاق اختباراتها فاستعانت بمؤسسات علاجية دولية ذات علاقة مباشرة معهم.. تحت زعم إيجاد مقاومات ومضادات للأوبئة التى تصيب سكان الشرق الأوسط.

ومن جهة أخرى أشارت المعلومات إلى أن برنامج تطوير فيروس «أنفلونزا الطيور» الذى أشرف على إعداده علماء إسرائيليون فى معهد «نيس تسيونا» ومعهد «ردمين» الذى يستهدف الإضرار بالبشر والطيور فى آن واحد.. يخضع لإشراف البروفيسور «حانوخ ريتنر» عالم البيولوجيا الذى طور فى عام ١٩٨٥ سلاحا جرثوميا وصف فى حينه بأنه سلاح إبادة، نظرا لقدرته على الفتك والإبادة التى تفوق كل أنواع الأسلحة الجرثومية الموجودة فى الترسانات الأمريكية والروسية والإسرائيلية.

إلى ذلك أفادت المعلومات أن وراء فكرة تطوير قنبلة «الجنس أو العرق» قسم الأبحاث العلمية التابع للمؤسسة المركزية للاستخبارات والمهمات الخاصة «الموساد» ولصالح شعبة الأبحاث والتطوير فى وزارة الدفاع الصهيونية بدعم من مكتب رئيس الوزراء الصهيونى.. وأن استخدام قنبلة «الجنس أو العرق» كسلاح إبادة تمليه بحسب المسئولين الصهاينة الاعتبارات التالية:

أولا: أنه سلاح سرى أى أن استخدامه يصعب تحديده وتعيينه على عكس أسلحة الدمار الأخرى النووية والكيماوية وغيرها.

ثانيا: أنه سلاح صامت يفتك ويبيد البشر وبدون صوت أو فرقعة حيث ينتشر ويتغلغل دون إثارة أى أصداء أو تداعيات سياسية أو أدبية.

ثالثا: يعد أقل تكلفة من تطوير أسلحة الدمار الشامل كالسلاح النووى أو الأسلحة الكيماوية.

رابعا: يسهل نشره دون استخدام وسائل أو وسائط النقل الأخرى كالصواريخ والطائرات وغيرها.

وعودة إلى كتاب ماركوس كلينغبيرغ سنجده يتناول فيه الكشف عن دوره فى تطوير أسلحة الدمار الشامل البيولوجية الإسرائيلية حيث كان يشغل موقعا رئيسيا فى عملية تطوير هذه الأسلحة، كما يروى تفصيلات مثيرة وخطيرة حول هذه الأسلحة.

فقد تمكن ماركوس كلينغبيرغ صاحب الكتاب من نقل أهم وأخطر أسرار إسرائيل العسكرية المتعلقة بتطويرها الأسلحة البيولوجية والكيمياوية إلى الاتحاد السوفييتى فى الفترة الممتدة من سنة ١٩٥٠ وحتى ١٩٨٣م.

اشتبه جهاز المخابرات الإسرائيلية (الشاباك) به وحقق معه مرتين فى فترتين متباينتين، بيد أنه فشل فى اكتشافه إلا سنة ١٩٨٣، كذلك فشل الشاباك فى اكتشاف أن زوجة ماركوس كلينغبيرغ كانت تعمل معه لصالح المخابرات السوفياتية.

وأيضا فشل الشاباك فى اكتشاف عالمين إسرائيليين آخرين جندهما المؤلف للعمل لصالح المخابرات السوفياتية، وقد فارقا الحياة من دون أن يكتشفا.

هذه المعلومات هى غيض من فيض ما يكشف النقاب عنه المؤلف فى كتاب مذكراته الذى نشره بعد أن قضى فترة محكوميته فى السجن وهاجر إلى فرنسا، والذى صدر باللغة العبرية وجاء فى مقدمة وأربعة عشر فصلا وخاتمة.

يبدأ كلينغبيرغ بلحظة اعتقاله فى يناير ١٩٨٣ حيث يروى كيف نظم له الشاباك دعوة مزورة للمشاركة فى مؤتمر خارج إسرائيل، وألقى القبض عليه فى المطار يوم سفره المقرر واعتقله بشقة شمال تل أبيب، وليس بمعتقل عادى. (كتاب: «ماركوس كلينغبيرغ: الجاسوس الأخير» ـ ترجمة وعرض: د. محمود محارب).

وظل اعتقاله سرا عسكريا خطيرا يحظر نشر أى معلومة عنه. وبعد إدانته بتهمة التجسس للاتحاد السوفياتى فى محكمة سرية والحكم عليه بالسجن عشرين عاما، نقله الشاباك إلى سجن عسقلان وسجنه فى زنزانة انفرادية بعد أن طمس اسمه الحقيقى وأخفاه عن الجميع بما فى ذلك عن سجانيه، ومنحه اسما جديدا وحذر عليه لسنوات الحديث مع أحد.

وقد ظل المؤلف فى السجن الانفرادى وباسمه الجديد ولا أحد يعرف عن سجنه سوى زوجته وابنته، إلى ما بعد انهيار الاتحاد السوفياتى.

ويفرد كلينغبيرغ عدة فصول ليروى خلفيته قبل هجرته إلى إسرائيل سنة ١٩٤٩، حيث ولد سنة ١٩١٨ فى وارسو لعائلة يهودية متدينة «حريدية».

وعند اندلاع الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٣٩ كان المؤلف قد أنهى سنته الرابعة فى دراسة الطب، وبعد وقوع بولندا تحت الاحتلال النازى فر المؤلف إلى الاتحاد السوفييتى وأكمل دراسة الطب فى جامعة منسك.

وعندما شنت ألمانيا الحرب على الاتحاد السوفييتى تطوع كلينغبيرغ للخدمة فى الجيش السوفياتى، وعمل غالبية فترة الحرب طبيبا مختصا فى مكافحة انتشار الأوبئة، وأصبح نهاية الحرب الطبيب الرئيس المسؤول عن ملف مكافحة الأوبئة بحكومة روسيا البيضاء.

وبعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها عاد صاحب المذكرات إلى بولندا فوجد أن عائلته قد أبيدت، وتعرف بهذه الفترة على زوجته فاندا التى أبيدت عائلتها هى أيضا واشترطت موافقتها على الزواج منه مغادرتهما بولندا.

نهاية سنة ١٩٤٨ هاجر الرجل إلى إسرائيل، وفى اليوم الرابع لوصوله انضم إلى سلاح الطب بالجيش الإسرائيلى وسرعان ما ترقى لمنصب المسؤول عن مكافحة الأوبئة بالجبهة الجنوبية ثم رأس فرع الطب الوقائى

بالجيش برتبة مقدم.

ولم يجد المؤلف صعوبة فى مخاطبة زملائه من العلماء الذين كانوا يعملون معه، فغالبيتهم العظمى كانت تجيد البولندية أو الروسية لكونهم من المستوطنين الجدد الذين هاجروا لتوهم من أوروبا الشرقية.

يذكر كلينغبيرغ أنه قام سنة ١٩٥٢ بتأسيس «معهد أبحاث الطب العسكرى» فى تل هشومير بالقرب من تل أبيب. وهدف من إنشائه «إلى زيادة المعرفة حول كيفية وطرق نشر أو مكافحة أمراض تلويثية فى أطر عسكرية». وتكون المعهد من أربعة أقسام: الفيروسات والجراثيم والكيمياء العضوية وعلم الحشرات.

بذل المؤلف جهودا جمة لنفى الادعاء أن المخابرات السوفياتية قد جندته قبل هجرته إلى إسرائيل، وأكد أنه بدأ العمل لصالح المخابرات السوفياتية سنة ١٩٥٠ لدوافع أيديولوجية أثناء الحرب الباردة، وأسهب فى شرح حيثيات بداية تخابره مع رجل المخابرات السوفياتية الذى كان يعمل بالسفارة السوفياتية فى تل أبيب.

وكشف صاحب كتاب المذكرات أنه منذ أن بدأ التخابر مع السوفيات وحتى إلقاء القبض عليه، كان يوصل بانتظام كل ما تطوره إسرائيل فى مجال الحرب البيولوجية الكيمياوية.

فقد تمكن كلينغبيرغ من الاطلاع على جل هذه الأسرار الهامة والخطيرة للغاية بحكم عمله كعالم، وبحكم المناصب التى شغلها والمشرفة والمسؤولة عن تطوير الأسلحة البيولوجية.

المعهد البيولوجى

ويكشف المؤلف أن المعهد البيولوجى فى ضاحية نس تسيونه جنوبى تل أبيب احتل مكانة هامة للغاية بأجندة دافيد بن غوريون والمؤسسة الأمنية

الإسرائيلية. فقد كان بن غوريون وشمعون بيريز وراء إقامته من أجل تطوير الأسلحة البيولوجية الفتاكة.

ففي سنة ١٩٤٨ شرعت وزارة الدفاع الإسرائيلية بالتخطيط لإقامته. وسنة ١٩٥٠ باشرت ببنائه وأنجزته وافتتحته عام ١٩٥٢ تحت اسم «حيل مداع ب» (سلاح العلم ب) فيما كانت مهمة «سلاح العلم أ» تطوير السلاح النووى.

وفور الانتهاء من بنائه انتقل المعهد البيولوجى من مسؤولية وزارة الدفاع إلى مسؤولية مكتب رئيس الوزراء مباشرة، وظل تابعا له حتى يومنا هذا. ويذكر كلينغبيرغ أن المعهد كان بمثابة «طفل بن غوريون» المدلل.

ورغم مشاكل إسرائيل المالية خصص بن غوريون الأموال اللازمة والعلماء ومن بينهم ابنته، من أجل تطوير السلاح البيولوجى بأسرع وقت ممكن. وكان أول لقاء بين كلينغبيرغ والمعهد البيولوجى سنة ١٩٥٢ عندما أجرى هو وآخرون فحص أمانة وسلامة للمعهد وهو بطور التأسيس.

فقد «كانت هناك ضرورة ان يتم بناء المعهد بشكل يقلل انتشار التلوث لوجود الجراثيم والفيروسات الحاملة أمراض وأوبئة تلويثية خطيرة للغاية».

وفى عام ١٩٥٧ التحق المؤلف بالمعهد البيولوجى هو وزوجته وعمل فيه بمنصب نائب مدير المعهد، فى حين عملت زوجته باحثة والتى كانت تحمل شهادة اللقب الثانى فى العلوم.

أحيط ما يدور فى المعهد البيولوجى بغلاف سميك من السرية. فقد ظل قسم كبير من المعهد ومختبراته سريا ليس فقط من الجمهور العام وإنما أيضا من الكنيست ومن أهم الوزراء بالحكومة الإسرائيلية.

ويشير كلينغبيرغ إلى أن العديد من المسؤولين الإسرائيليين زاروا المعهد البيولوجى والذى كان معروفا كمؤسسة أكاديمية، ولكن القلائل جدا منهم حظوا بجولة كاملة فى المعهد.

فمثلا عندما زار موشيه شاريت وزير الخارجية المعهد وقبل أن يصطحب كلينغبيرغ الذى كان يشغل نائب مدير المعهد الزائر رفيع المستوى، وصلت تعليمات بن غوريون بعدم إبلاغ شاريت ماذا يتم فعله فى المعهد.

وفعلا اصطحب المؤلف شاريت إلى المكاتب العلنية وغير السرية، وأطلعه على الأبحاث العلنية فقط.

ويضيف المؤلف أنه حتى عندما أصبح شاريت رئيسا للوزراء ظل خارج الصورة وأخفى عنه ما يدور فى المعهد وظل بن غوريون يمسك بخيوط السيطرة على ما يدور فى المعهد أثناء استقالته واعتكافه فى سديه بوكير ما يقرب من السنة والنصف.

ويردف كلينغبيرغ أنه مقابل ذلك زار المعهد البيولوجى قادة المؤسسة الأمنية مثل موشيه ديان وحاييم بارليف وإسحق رابين، واضطلعوا عن كثب على الأبحاث العسكرية واكتشافاتها.

ويبرز المؤلف أنه اشترك بحكم منصبه فى الاجتماعات والنقاشات السرية التى أجرتها المؤسسة الأمنية، واطلع على استعدادات الأذرع الأمنية فى ميادين الحرب البيولوجية والكيمياوية.

ويسهب الرجل فى شرح كيفية نجاحه فى إيصال أهم وأخطر الأسرار العسكرية الإسرائيلية المتعلقة بتطويرها الأسلحة البيولوجية والكيمياوية بشكل منهجى إلى المخابرات السوفياتية.

ويؤكد أن كل شىء تم اكتشافه فى المعهد البيولوجى أو حصل عليه علماء المعهد من الغرب، كان يوصله إلى المخابرات السوفياتية. ومما سهل نشاطه فى جمع ونقل المعلومات انخراط زوجته معه فى العمل لصالح المخابرات السوفياتية.

فهو كنائب مدير المعهد كان «يعرف كل شىء من فوق» وكانت زوجته

الباحثة فى مختبر المعهد على اطلاع ومعرفة بما يدور فى المختبر من تجارب وأبحاث واكتشافات، الأمر الذى مكنهما من الإلمام بكل شاردة وواردة بالمعهد.

ولم يقتصر نشاط كلينغبيرغ وزوجته على نقل المعلومات والوثائق والأبحاث إلى المخابرات السوفياتية، بل امتد ليشمل نقل عينات من الجراثيم الفيروسات التى تم تطويرها بالمعهد البيولوجى.

وقامت بهذه المهمة الزوجة فاندا ذات الشخصية القوية التى تميزت بهدوء الأعصاب والشجاعة فى تنفيذ مهامها المخابراتية، كما يروى المؤلف.

وفى فصول الكتاب يبرز اعتزاز كلينغبيرغ بزوجته التى صمدت فى تحقيق الشاباك معها ولم تعترف، والتى كانت تزدرى كل شىء فى إسرائيل، وتقارن معاملتها للمواطنين العرب بداخلها بمعاملة اللاساميين البولنديين لليهود، وتشبه معاملة الجيش الإسرائيلى للفلسطينيين بالمناطق المحتلة بمعاملة النازيين لليهود إبان الحرب العالمية الثانية.

كذلك يعتز صاحب المذكرات بنجاحه فى التخابر مع المخابرات السوفياتية فترة طويلة، ونجاحه فى خداع المخابرات الإسرائيلية قبل اعتقاله وأثناء سجنه.

إذا كانت السنوات الأخيرة قد شهدت كشف النقاب عن معلومات تفيد بإقدام الدولة الصهيونية على استخدام أسلحة جديدة على سبيل التجربة ضد المدنيين الفلسطينيين، وهو الأمر الذى يمثل جريمة ضد الإنسانية بموجب القانون الدولى، فإن ثمة سجلا حافلا من الجرائم المماثلة التى ارتكبتها هذه الدولة، كما سبق أن ارتكبتها الجماعات الاستيطانية المسلحة، التى تواجدت على أرض فلسطين قبل إنشاء الدولة وكانت نواتها.

وترجع أولى الوقائع الموثقة فى هذا الصدد إلى الأسابيع القلائل التى سبقت قيام الدولة الصهيونية فى عام ١٩٤٨، حيث تسارعت محاولات

القوات الصهيونية لإلحاق أكبر قدر من الأضرار بالسكان الفلسطينيين، بغرض ترهيبهم وإجبارهم على الرحيل عن ديارهم، ومن ثم لجأت إلى استخدام أساليب الحرب الجرثومية، التى كان ديفيد بن جوريون من أوائل الذين تنبهوا إلى أهميتها وعملوا على امتلاك قدراتها.

وجاءت هذه الأساليب استكمالا للمذابح التى اقترفتها القوات الصهيونية لما نفذته من عمليات تدمير بيوت السكان الفلسطينيين ونهب ممتلكاتهم وإتلاف مزارعهم.

وتعد عملية نشر وباء التيفود فى عكا نموذجا لهذا الأسلوب، ففى أعقاب سقوط حيفا فى أيدى القوات الصهيونية، فى ٢٢ أبريل ١٩٤٨، نزح آلاف السكان الفلسطينيين من حيفا إلى عكا، التى كانت لا تزال خاضعة لسيطرة القوات البريطانية. وفى الأيام الأولى من شهر مايو ١٩٤٨، بدأت القوات الصهيونية فى محاصرة المدينة لحمل سكانها على الاستسلام، واستمرت فى قصفها لما يقرب من أسبوعين، كما أقدمت على نشر جرثومة التيفود فى القناة التى تمد المدينة بالمياه.

وقد أدى ذلك إلى انتشار حمى التيفود بين سكان المدينة والجنود البريطانيين المتمركزين فيها، وساعد على سرعة انتشار المرض تدهور المرافق الصحية فى المدينة بسبب الحصار.

وإزاء هذا الوضع، أوفدت الهيئة الدولية للصليب الأحمر مندوبين إلى عكا، فى ٦ مايو ١٩٤٨، لتفقد أحوال السكان، ومدى انتشار المرض.

وأفاد المندوبون فى تقريرهم (التقرير رقم G59/1/GC, G3/82) بأن «الوضع خطير»، حيث بلغ عدد المصابين ٧٠ مدنيا فلسطينيا و٥٥ من الجنود البريطانيين، وإن كان المعتقد أن العدد الفعلى أكبر من ذلك، نظرا لإحجام كثير من السكان عن الإبلاغ عن الإصابات. وأعرب التقرير عن

التخوف من اتساع نطاق المرض وانتقاله إلى مناطق أخرى نظرا لتزايد حالات نزوح السكان، سواء إلى مدن وقرى أخرى داخل فلسطين، أو إلى لبنان، وما يصاحب ذلك من تزاحم وسوء للأحوال المعيشية والصحية.

كما أكد التقرير، استنادا إلى الفحوص التى أجراها مندوبو الصليب الأحمر وكذلك المشاورات مع عدد من الأطباء اللبنانيين والمسؤولين البريطانيين والفلسطينيين فى المدينة، أن «الوباء نقل عن طريق المياه»، ومن ثم تقرر عدم استعمال مياه القناة والاستعانة بالآبار الجوفية لتلبية احتياجات السكان من المياه، فضلا عن اتخاذ إجراءات أخرى لتطهير المدينة وتجهيز المستشفيات لاستقبال المصابين فى محاولة للسيطرة على الوباء.

إلا أن هذه المحاولات لم تحقق نجاحا يذكر، نظرا لاستمرار القوات الصهيونية فى محاصرة المدينة وقصفها، ومن ثم ازداد الوضع سوءا.

ومع سقوط المدينة فى نهاية الأمر، وما أعقب ذلك من عمليات سلب ونهب وتدمير وقتل على أيدى القوات الصهيونية، لم تعرف كثير من التفاصيل المتعلقة بواقعة نشر الوباء، ولم يتسن إجراء تحقيق واف يحدد المسؤولين عن هذه الجريمة، وإن كان من المعروف أن القوات البريطانية التى انسحبت من المدينة قامت بنقل المصابين، أو عدد منهم على الأقل، إلى مصر لتلقى العلاج، وأنه لم تظهر حالات إصابة جديدة بعد التوقف عن استعمال مياه القناة، وهو الأمر الذى يؤكد أنها كانت مصدر المرض، خاصة وأن الإصابات كانت محصورة فى مدينة عكا وحدها.

وبعد أيام من استيلاء القوات الصهيونية على عكا، تمكنت القوات المصرية فى غزة، التى كانت تخضع آنذاك للإدارة المصرية، من القبض على اثنين من المستوطنين اليهود، يوم ٢٢ مايو ١٩٤٨، بينما كانا يحاولان تلويث مصادر المياه فى غزة لنشر مرض الملاريا بين السكان. وقد اعترف الاثنان لدى التحقيق معهما بأنهما كلفا بهذه المهمة مع وحدة خاصة تضم ٢٠

شخصا. وعلى الفور، اتخذت السلطات المصرية الإجراءات الصحية اللازمة لتطهير المياه وتوعية الأهالى، وهو الأمر الذى حال دون وقوع كارثة إنسانية.

ورغم سعى القيادات الصهيونية إلى التنصل من المسؤولية عن هذه الأعمال، فمن الواضح أنها كانت جزءا من مخطط منظم بدأ قبل قيام الدولة الصهيونية ثم اتسع نطاقه على أيدى هذه الدولة التى رعته ووفرت له الإمكانات العلمية والمادية والبشرية.

ففى دراسة للعلامة «أفنير كوهين» (مجلة منع انتشار الأسلحة، خريف ٢٠٠١)، يتضح أن بن جوريون تنبه مبكرا إلى أهمية الحرب الجرثومية فى توطيد أركان الكيان الصهيونى، ومن ثم حاول الاستعانة ببعض العلماء الأوروبيين اليهود لإقامة وحدة علمية متخصصة فى هذا المجال داخل منظمة «الهاجاناه» (الدفاع)، وهى من أولى المنظمات العسكرية الاستيطانية التى شكلها المستوطنون الصهاينة فى فلسطين، حيث تشكلت عام ١٩٢٠ ولعبت دورا جوهريا فى إقامة الكيان الصهيونى، وشكلت القوام الأساسى للجيش النظامى إثر إعلان الدولة الصهيونية.

وقد عرفت هذه الوحدة باسم «همد بيت»، وكان يشرف عليها بعض العلماء اليهود الذين قدموا من روسيا وألمانيا، واتخذت مقرا لها فى مدينة يافا، وكانت أنشطتها محاطة بالسرية. وفيما بعد، تحولت الوحدة إلى مركز علمى متخصص يحمل اسم «مركز إسرائيل للبحوث البيولوجية» ولا يزال قائما إلى اليوم.

ولم يعد خافيا مدى الاهتمام الذى توليه الدولة الصهيونية منذ سنوات طويلة لتطوير قدراتها فى مجال الأسلحة غير التقليدية، مثل الأسلحة الكيماوية والجرثومية، فلا يكاد يمر يوم إلا وتتكشف تفاصيل جديدة عن المساعى الدؤوبة فى هذا الصدد.

فعلى سبيل المثال، أفادت معلومات «وكالة الطاقة النووية» بأن الدولة الصهيونية شيدت مصنعا فى جنوب مدينة إيلات لمعالجة واستخلاص المواد الكيماوية من النفايات الكيماوية، وأن من بين إنتاجه قنابل للغازات السامة استخدمتها قوات الاحتلال لقمع انتفاضة الشعب الفلسطينى فى عام ١٩٨٧ (صحيفة القبس، ٢٥ أغسطس ١٩٨٩).

ويورد الباحث أحمد بهاء الدين شعبان فى كتابه القيم الدور الوظيفى للعلم والتكنولوجيا فى تكوين وتطوير الدولة الصهيونية (القاهرة، ٢٠٠٤) معلومات مفصلة وموثقة عما حققته الدولة الصهيونية فى مجال الأسلحة غير التقليدية والأهداف التى تسعى إلى تحقيقها حاليا ومستقبلا، ومن بينها مثلا:

- تطوير استخدام السموم الفطرية والغازات الحربية.
- إنتاج جيل جديد من ذخائر غازات الأعصاب.
- تطوير المضادات النباتية بالاستعانة ببحوث الهندسة الوراثية.
- إدخال الهجمات بالأسلحة الكيماوية فى نظام اختبار وتحليل الأهداف المعادية والسيطرة عليها.

ومن المفارقات التى تبعث على الأسى والغيظ معا أن كثيرا من النخب الحاكمة ودوائر صنع القرار وأجهزة الإعلام فى البلدان العربية لا تبدى الاهتمام الواجب للتهديد الذى تمثله القدرات العسكرية والعلمية للدولة الصهيونية أو لتطوير القدرات العربية فى المقابل حتى تتسنى لها مواجهة ذلك التهديد، بينما تقيم الدنيا ولا تقعدها إزاء قضايا أخرى وهمية أو ثانوية، رغم أن الخطر لا يستثنى أحدا من المحيط إلى الخليج.

وهنا سنركز الضوء على الجهود التى بذلتها أجهزة المخابرات الأميركية فى قطع الشوط كاملا فى توظيف الأسلحة الكيماوية والبيولوجية ابتداء

من التقاط الرصيد الذى راكمه العلماء الألمان فى ظل النازى تم تحويل هذه النواة إلى أكبر ترسانة عرفها التاريخ من هذه النوعية من الأسلحة بما فى ذلك الجهود المبذولة لتطويرها واستخدامها الفعلى فى العديد من الحروب وبينها الحرب الكورية وحرب فيتنام.

وكما قلنا وخلال أكتوبر ٢٠٠١، وفى الوقت الذى كانت أميركا لاتزال تحت تأثير صدمة تفجيرات ١١ سبتمبر، وفى حالة من القلق العميق أمام الإنذارات التى لا تنقطع من أخطار مسحوق (الانثراكس) السام، كان اريك ولسون قد جمع أقصى ما أمكنه من المعلومات حول اغتيال والده فرانك ولسون العالم فى ميدان الكيمياء الحيوية والجراثيم الذى كان قد عمل لسنوات طويلة فى القسم العلمى بجهاز وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، ووجدوه ذات يوم من أيام نوفمبر ١٩٥٣ مكوما على الرصيف بعد أن ألقى بنفسه، كما قيل آنذاك، من الطابق العاشر فى فندق «ستاتلر» بنيويورك.

ويشرح أحد الملفات الموجودة بحوذة ابنه «إريك ولسون» كيف أن الرئيس الأميركى الأسبق جيرالد فورد قد استدعاه هو ووالدته إلى البيت الأبيض، حيث قال لهما: «ما كان آخر ما قاله فورد هو أنه سوف يقدم مذكرة إلى الكونغرس للموافقة على تعويض للعائلة مقداره سبعمئة وخمسون ألف دولار أميركى».

بعد أسبوع من اللقاء مع الرئيس، التقى إريك ووالدته «أليس» بوليام كولبى مدير وكالة الاستخبارات المركزية - آنذاك - بناء على طلبه. وقد حرص الابن على أن يصطحب معه محاسبين.

كما حضر فى رأسه جميع الأسئلة التى كانت لا تزال من دون أجوبة والتى كانت تدور حول سؤال واحد يتردد على ذهنه منذ سنوات وهو «لماذا قتلوا أبى؟».. وكان أريك قد أَسَرَّ فيما بعد لمؤلف هذا الكتاب: «كنت أردد لنفسى من دون توقف أنه كان من المفروض معرفة كولبى بحقيقة الأمر وتقديم إجابة».

أثناء الحوار كان المحاميان يكتبان كل ما يدور بصمت لم يعلن كولبى عن اعتراضه على ذلك، لكنه كتب فيما بعد: «كانت تلك هى إحدى أصعب المهمات التى صادفتها طيلة حياتى المهنية»، وزاد التوتر فى الجلسة عندما تحدى إريك مدير الوكالة الاستخبارات بأن يجد تبريرا للحرب فى فيتنام، وكان كولبى قد أدار أكبر مشروع فى تلك الحرب والمعروف باسم فونيكس الذى ساد الاعتقاد بأنه أودى بحياة عشرين ألف فيتنامى.

قال إريك فى ذلك الحوار: هذه القضية كلها دنيئة ولا أخلاقية. فأردف كولبى: ربما كان بإمكاننا الانتصار باستخدام قدر أكبر من الأسلحة. وفى نهاية اللقاء سلم كولبى ملفا لأسرة ولسون وقال لابنه: «هذه نسخة عن الوثائق التى تخص موت والدك، وستجد فيها كل شىء». ثم أضاف: وكل شىء هنا، القضية كلها، خذوا الملف وتصفحوه بهدوء فلم يعد هناك ما يراد إخفاؤه.

وليام كولبى لم يعترف لهما - ولم يكشف الملف عن ذلك - بأن فرانك ولسون لم يكن مستخدما مدنيا لدى الإدارة العسكرية وإنما كان أحد مديرى قسم تابع لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية فى فورت ديتريك.

وفى ليلة ١٤ أغسطس ١٩٧٥، بعد أن انتهى أريك ولسون من كتابة محضر عن اللقاء مع كولبى، شرع بقراءة الملف ووجد تعبيرات لم تكن مفهومة بالنسبة له، مثل «انتيستوك» و«بلوبيرو» اللذين كانا يعنيان الصيغة الأولى لمشروع «إم. ى. الترا» أى المشروع الذى شهد ولادته فى بداية الحرب الكورية.

وكانت الوثائق تشرح بوضوح، كما يؤكد مؤلف هذا الكتاب، أن ذلك البرنامج كان يهدف إلى دراسة إمكانية استخدام مخدر «ال. إس. دى» أو «مصل الحقيقة» أو الزيغان - السم - أو الانثراكس من أجل القيام بعمليات اغتيال سرية. لكن هل عمل والد اريك فى ذلك المشروع الأكثر إثارة للرعب من الأسلحة البيولوجية والكيميائية المكرسة للتدمير الشامل؟ هكذا يتساءل المؤلف ويضيف:

لقد شرع الابن وهو باحث فى ميدان علم النفس، انطلاقا من هذا السؤال الذى كان فى رأسه برحلة لمحاولة الكشف عن ذلك وقد كتب بعناية كل ما صادفه أثناء تلك الرحلة.

إنه يعود إلى يوم ١٦ أبريل ١٩٤٣ حيث كان البروفيسور ألبرت هوفمان مدير الأبحاث فى مركز صناعة الأدوية والكيمياء المعروف باسم ساندوز فى مدينة بال السويسرية، يعمل باستمرار لمعرفة أسرار مادة اكتشفها منذ عام ١٩٣٨ ودعاها «ال. إس. دى» وفى ذلك اليوم من أبريل قرر مزج تلك المادة بمادة أخرى هى «الارغوت» التى كانت قد أثارت اهتمامه باستمرار، لا سيما أنه كان يسود الاعتقاد فى الصين وبعض مناطق الشرق الأوسط بأن هذا النوع من الفطر يشفى من عدة أمراض.

أما فى أوروبا فإنه يتم تذكره كوباء عرفته القارة خلال القرون الوسطى وترك وراءه من الموتى بمقدار ما ترك الطاعون الأسود. وكانت أعراضه شبيهة به إلى حد كبير حيث كانت أصابع اليدين والقدمين تتحول إلى خرق ذات لون أسود ويتضخم البطن، وكان كاردينال ألمانى قد أسماه ب «نار القديس أنطوان» مؤكدا أنه يصيب من يسيئون إلى القديسين.

هكذا قام البروفيسور هوفمان بخلط الأرغوت مع عقار ال. إس. دى، وكانت النتيجة كما وصفها هو نفسه بعد أن تجرع الخليط: «رأيت فى رأسى دفقات لا تنقطع من الصور الباهرة، كانت تجىء وتذهب وهى تتلاطم. لقد أصابنى الرعب وخشيت من أن أصبح مجنونا، لقد اعتقدت أننى ميت».

وعندما قرأ اريك ولسون، هذه الكلمات تساءل عما إذا كان والده قد عاش هذه التجربة؟ لا سيما وأن الملف الذى سلمه له كولبى يسمح بالقول أنهم أعطوه عقار «ال. إس. دى» من دون علمه، وهل كانت الجرعة التى أخذها غير مدروسة مثلما كان الأمر بالنسبة للبروفيسور هوفمان، وبالتالى قفز من نافذة غرفة الفندق التى كان نزيلها فى الطابق العاشر؟

وعلى بعد عدة مئات من الكيلو مترات من مختبر «ساندوز» فى سويسرا كان أطباء فى معتقل دخاو النازى يجربون آثار مادة «المسكالين» على السجناء، وقد شرح أحدهم، المدعو والنزنيف فيما بعد للمحققين الأميركيين قوله: كان الهدف هو إنهاء إرادة الأفراد، بتعبير آخر السيطرة على ذهنهم. وكان يتم خلط تلك المادة «المهلوسة» بقهوة السجناء الذين كانوا يبدون سريعا مشاعر الحقد والثأر وينتقلون بالتناوب من حالة الحزن العميق إلى الفرح.

ويتذكر أريك ولسون أن أمه كانت قد تحدثت له عن أن والده كان قد عرف مثل تلك الحالات. واكتشف أنه فى الفترة التي كانت قد بدأت فيها التجارب فى معتقل دخاو النازى، كان مكتب الخدمات الاستراتيجية، الذي تحول فيما بعد إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، قد شكل لجنة عملت على ما سمى بـ «مصل الحقيقة».

وينقل المؤلف عن أريك ولسون أنه كتب فى أحد ملفاته: تحت ضغط مجموعة من العناصر أثبتت أن آلة الحرب الألمانية كانت تكرس كل طاقتها من أجل تطوير برنامج تسلح كيميائى وبيولوجى، أصبحت قلعة ديتريك، مقر القسم العلمى التابع لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، مركزا سريا للغاية فى أميركا للقيام بذلك النوع من الأبحاث، وكان والدى أحد أول رجال العلم المدنيين الذين عملوا فيه.

كانت تلك أيضا فترة قاتمة من تاريخ الولايات المتحدة الأميركية، أى عندما أطلق السيناتور جوزيف مكارثى حملة ضد المشتبه بهم انهم من الشيوعيين، بغض النظر عن دقة ذلك الاتهام من زيفه وكان قد أعلن عن وجود ٢٥٠ شيوعيا محددى الهوية فى وزارة الخارجية الأميركية.

بل وأضاف فى إحدى خطبه أن ولاءهم هو لموسكو. لقد رفع يومذاك ورقة بيده ولوح بها أمام الجمهور كى يعطى الانطباع بأنه قد حصل على

أسمائهم بفضل التحقيقات المعمقة، التى قام بها، لكن لم يطلع أحدا على تلك القائمة المزعومة عن قرب، وعندما طلب منه صحافيون فيما بعد الاطلاع عليها أجابهم أنها ضاعت.

ما يؤكده مؤلف هذا الكتاب هو أن جوزيف مكارثى كان يبحث عن أن يتحدث الناس عنه، وقد نجح فى ذلك، بل نسيت سريعا الفترة التى كان قد قبل فيها رشوة من مجموعة ضغط كوكاكولا وأنه كان يحمل فى حقيبته أينما تحرك زجاجة ويسكى.

مع ذلك أصبح هذا الرجل ذو الصوت الأجش والرقبة الغليظة بطلا وطنيا، إنه بطل النضال ضد التهديد الأحمر، وكانت كلمات عدة منه كفيلة بتخريب المسار السياسى لأية شخصية ولم يتردد فى تقديم الأرقام والإحصائيات عن عملاء الشيوعية، إذ تحدث عن «١٢ دبلوماسيا أدخلوا الروبل الروسى إلى البعثة الدبلوماسية الأميركية وإلى الأمم المتحدة «ووجدوا» ٣٧ فى وزارة الزراعة، تم تأكيده: «انهم موجودن فى كل مكان فى إذاعة صوت أميركا الوطنية وفى هوليوود، فى كل مكان، فى كل مكان.

كان من المطلوب إذن إزالة الشيوعية كلها، وقد تساءل اريك ولسون عما إذا كان والده هو أحد العلماء الذين طلب منهم تصنيع أسلحة جرثومية قادرة على إبادة سكان الاتحاد السوفييتى كلهم، لكن لم يتعرض له أحد طيلة الأشهر التى حامت فيها الشبهات «المكارثية» حول الجميع.

وفى الوقت الذى سحبوا فيه التسهيلات الأمنية من عدد من العاملين فى ميدان الأبحاث السرية احتفظ فرانك ولسون دائما بشهرته كرجل علم منضبط ومنخرط تماما فى إعداد ما سيصبح أكبر ترسانة للأسلحة السامة فى العالم كله، بل وبسبب تهويلات «مكارثى» حول الخطر الشيوعى تم تكريس أموال سرية طائلة أكثر فأكثر لمشاريع الأسلحة الجرثومية والكيميائية.

ولم يكن ذلك بعيدا أيضا عن مشروع «مانهاتن» الذى كان وراء إنتاج القنبلة الذرية، وكانت المختبرات التى تجرى فيها التجارب السرية لوكالة الاستخبارات المركزية محروسة بواسطة دوريات مسلحة كانت قد تلقت الأوامر بإطلاق النار على كل من يقترب منها.

بعد اندلاع الحرب الكورية عام ١٩٥٠ بشهرين فقط قام الرئيس الأميركى ترومان بتعيين الجنرال والتر بيدل سميث على رأس وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، وكان الجنرال «سميث» سفيرا سابقا لبلاده فى الاتحاد السوفييتى، حيث أصبحت لديه القناعة بأن الروس والصينيين كانوا ينوون توحيد صفوفهم ضد بلاده.

وكانت «قلعة ديتريك»، أو «فورت ديتريك» حيث تجرى الاختبارات العلمية على الأسلحة الكيميائية والبيولوجية، هى أحد أول الأمكنة التى زارها، وقابل هناك الدكتور ستانلى غوتليب أكبر مسؤولى القسم العلمى، حيث اتفق الرجلان على أن الحرب الكورية كانت أفضل فرصة يمكن الحلم بها من أجل تجريب الأسلحة السرية، وقد طمأن الجنرال سميث الدكتور جوتليب بأن عليه ألا يقلق فيما يخص ميزانية أسلحته البيولوجية.

سافر الدكتور جوتليب بعد ذلك إلى اليابان، حيث ذهب إلى القاعدة السرية لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية الموجودة بالقرب من يوكو هاما، وحيث كان قد شرع بعمليات سرية ضد كوريا الشمالية.

وفى تلك الفترة بدأ فرانك ولسون وزملاؤه من الباحثين العمل على الحشرات والثدييات الصغيرة، وكان جميع العلماء قد وقعوا وثيقة تنص على أنه فى حالة وفاة أى منهم بسبب مرض يصابون به فى إطار أعمالهم فإنه يترك جثته للحكومة الأميركية، وكانوا قد تلقوا جميعهم اللقاحات ضد الجراثيم التى سوف يستخدمونها لنقل المرض إلى الحيوانات المستقدمة من كوريا.

كانت العملية بطيئة وخطيرة، ولقد جرى تجريب الجراثيم على أرانب وخنازير وغيرها. وفى أبريل ١٩٥١ قامت القوات الأميركية وحلفاؤها بأسر العديد من الكوريين الشماليين الذين سجنتهم فى معسكر بجزيرة «كوجى» فى كوريا الجنوبية.

وفى ذلك الشهر بالتحديد (أبريل ١٩٥١)، كان الدكتور غوتليب على متن حاملة طائرات تعود للقوات البحرية الأميركية جرى تحويلها من قبل الوحدة ٤٠٦، التى كانت تحتوى على مخابئ سرية، إلى مختبر عائم مقابل الجزيرة كوجى، كانت تلك السفينة مكلفة رسميا بمعالجة وباء الزحار الأميبى، المنتشر بين السجناء.

لكن الأشهر التالية عرفت إصابة نحو ٢٠ ألفا من أولئك السجناء بالمرض، ووفاة ١٨٠٠ منهم، يومها سرت الإشاعة فى آسيا كلها حول أنه يتم استخدام السجناء من أجل تجريب جرثومة فى منظور استخدامها فى الحرب الجرثومية، وكانت مجلة «نيوز ويك» قد لخصت تلك الإشاعات بالقول: «تشك كوريا الشمالية والصين أنه قد جرى تجريب الطاعون على شيوعيين صينيين على متن إحدى السفن»، وغطت وكالة الاسوشيتدبرس القضية بصيغة مشابهة».

وفجأة انطفأت التعليقات حول ذلك الموضوع، لكن بعد سنوات، شرح وليام كولبى، مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية آنذاك أمام الكونغرس أن السجلات الخاصة ببرنامج التسليح البيولوجى للوكالة لتلك الفترة كانت «ناقصة جدا»، ذلك أن قسما كبيرا منها قد جرى إتلافه خلال عامى ١٩٧٢ و١٩٧٣ ولماذا؟

صرح بأنه لا يعرف السبب، «لعل الوثائق التى جرى إتلافها كانت تكشف عن وباء الزحار الأميبى الغامض الذى أصاب السجناء الكوريين، كما يقول مؤلف هذا الكتاب.

وبعد قرابة نصف قرن، وتحديدا فى شهر أكتوبر ٢٠٠١ كان أريك ولسون قد جمع كل الوثائق الخاصة بحياة أبيه وأسفاره إلى كوريا الجنوبية وقصة السجناء من أفراد القوات الجوية الأميركية الذين كانوا قد اعترفوا باستخدام الأسلحة البيولوجية خلال الحرب الكورية وكانت أغلبية هؤلاء من الذين شاركوا فى الحملة الجوية الخاصة ومن بينهم عقيدان ومقدمان وعشرون نقيبا.

وقد وصفوا كيف كان لا يتم تلقين القنابل الجرثومية إلا قبل دقائق فقط من إقلاع الطائرات من أجل الحد من مخاطر وقوع أى حادث قد يؤدى إلى فناء قاعدتهم العسكرية كلها.

لقد اعترف أولئك الطيارون، واحدا بعد الآخر، بأن هدف الهجومات التى قاموا بها كان نشر المرض فى وسط كوريا الشمالية من أجل منع حركة الجنود وإيصال التموين إلى المنطقة الواقعة جنوبى خط العرض ٣٨، وكشفوا جميعهم عن أنه قد قيل لهم إن الهدف النهائى لمهمتهم «تقصير زمن الحرب وبالتالى إنقاذ حياة أميركيين» ثم أكد أحد الضباط والذى قد أنهى لقاء له معهم بالقول: «القنبلة الذرية هى التى أنهت الحرب الأخيرة، وكان يقصد بالطبع الحرب العالمية الثانية، وكان كل طيار منهم قد أكد أنهم أبلغوه بوضوح بأن القنابل الجرثومية سوف تولد أوبئة لدى العدو».

وعندما انتهت الحرب الكورية عام ١٩٥٣ وأعيد أولئك الطيارون إلى أميركا تراجعوا عن اعترافاتهم ولكن عودتهم عن تلك الاعترافات لم تكن ذات مصداقية تساوى ما كانوا قد أفصحوا عنه لسجانيهم، وكانوا قد أشاروا جميعهم إلى أنهم قد يواجهون المثول أمام المحكمة العسكرية الأميركية، إذ لم يقوموا بما يمليه عليهم واجبهم.

وكان إريك ولسون قد حصل على شهادات مباشرة من العديد من الصينيين والفيتناميين الذين بقوا على قيد الحياة بعد الهجومات

الجرثومية، ولم تتأخر الولايات المتحدة على تكذيب كل ما جاء فى تصريحاتهم، مثلما كانت قد فعلت بالنسبة لما قاله الطيارون الأميركيون الذين وقعوا فى الأسر أثناء الحرب الكورية.

من جهة أخرى كان أريك ولسون قد أدرك أن والده فرانك ولسون، ورغم حسه الوطنى العالمى وإرادته المصممة فى أن يقوم بواجبه كأحد رواد «البيولوجيا القاتلة»، فإن حسه الأخلاقى هو الذى تغلب فى النهاية.

ولذلك كان قد أصبح قابلا للتخلص منه فى عالم الدكتور «ستانلى غوتليب» المشؤوم.. وكانت هناك حياة شخص آخر، يصفه مؤلف هذا الكتاب بأنه «بطل أميركى أصيل فى الحرب الكورية»، ارتبطت أيضا بعمل الدكتور غوتليب وبقتل فرانك ولسون.. إنه وليام - بيل - بوكلى.

بيل بوكلى من مواليد مدينة ميدفورد فى ماساتشوستش عام ١٩٢٨ فى كنف أسرة متدينة كاثوليكية. كان عمره ١١ سنة عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية. وفى عام ١٩٤٥ انخرط بوكلى فى الجيش الأميركى كمجند، شارك فى الحرب الكورية التى استمرت سبعة وثلاثين شهرا وذهب ضحيتها مليونان من البشر بينهم أربعة وخمسون ألف أميركى.

وبعد أسبوع واحد من مراسم حفل التوقيع على الهدنة يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٣ عاد بيل بوكلى إلى الولايات المتحدة، حيث بدأ العمل أولا فى أرشيف البنتاغون للاهتمام بالوثائق التى تهم الحرب الكورية.

وفى مطلع فبراير ١٩٥٤ تلقى بوكلى اتصالا هاتفيا من مكتب توظيف وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية. لقد طلبوا منه أن يعمل «مساعد استقبال» فى حفل تقيمه كلوفر دالاس زوجة مدير الوكالة ألن دالاس، الذى كان آنذاك فى أوج مسيرته المهنية ويدير منظمة تتمتع بميزانية هائلة تسمح له بأن ينفق كل سنة مئة مليون دولار من دون أن يسأله أحد عنها.

ولم يكن رئيس الولايات المتحدة ولا الكونغرس يعرفان حقا أين تذهب هذه الأموال، هكذا كان يستطيع أن يعمل ضد أى بلد فى العالم، عدوا كان أو صديقا.

كانت كلوفر دالاس تعانى من اضطرابات نفسية كبيرة بسبب مغامرات زوجها النسائية هكذا أقنعها الدكتور ستانلى غوتليب بلقاء الطبيب النفسانى ط أيوين كاميرون " الذى كان يعمل فى مستشفاه بالقرب من مونتريال فى كندا، والذى كان حاضرا الاحتفال الذى نظمته، إنما لسبب محدد له علاقة بالحرب الكورية. ذلك إن بعض الجنود الأميركيين الذين عادوا من الأسر بعد نهاية تلك الحرب أخذوا يكيلون المديح للحياة فى ظل النظام الشيوعى.

وهذا ما كان الرئيس الأميركى قد طلب توضيحا له من وكالة الاستخبارات المركزية، إذ كيف يمكن لجنود مدربين جيدا أن يذهبوا إلى حد أن يصبحوا خونة؟ بل إن البعض منهم أعلنوا بعد عودتهم أنهم لا يريدون البقاء فى أميركا.

وكانت الولايات المتحدة قد تخلت آنذاك سرا عن فترة عدم استخدام الأسلحة البيوكيميائية إلا من أجل الرد عندما يتبين أن ذلك ضرورى.

وقد جاء فى وثيقة سرية أعدتها وزارة الدفاع الأميركية حملت عنوان «عقيدة القوات المسلحة فيما يخص استخدام الأسلحة الكيميائية والبيولوجية والدفاع» ما نصه «إن قرار السماح للقوات المسلحة باستخدام الأسلحة الكيميائية والبيولوجية ينبغى أن لا يتعلق من الآن فصاعدا إلا بالولايات المتحدة».

هكذا أخلت سياسة الهجوم المضاد المجال لسياسة المبادرة بالهجوم، وبالتوازى مع هذا تنشط دور الدكتور شتانلي غوتليب الذى جال فى أدغال إفريقيا وأميركا وآسيا من أجل إيجاد سموم أكثر فعالية، وأصبحت أفكاره

حول الاغتيال أكثر وضوحا وجلاء. وينقل عنه المؤلف ما كتبه فيما بعد وجاء فيه: «بصورة عامة ينبغى عدم اللجوء إلى القتل، لكن إذا كان أمن الولايات المتحدة معرضا للخطر فإن ذلك مسموح به. وينبغى عدم اتخاذ قرار القتل على عجل. بالمقابل عندما يتم اتخاذ مثل ذلك القرار فينبغى الذهاب بالتنفيذ إلى النهاية.. إذ لا يغدو مسموحا آنذاك طرح أسئلة أخلاقية على النفس».

ويجدر الإشارة هنا إلى التعاون الأميركى البريطانى فى مجال الأسلحة الكيميائية والبيولوجية.

فقد أوفدت وكالة الاستخبارات المركزية مرارا الدكتور ستانلى جوتليب، برفقة فرانك ولسون، للإشراف على الاختبارات التى كان يقوم بها الدكتور وليام مسارجان، المسؤول البريطانى عن ذلك لدى جهاز «إم ١٦٠» أى نظيره على الضفة الأخرى من المحيط الأطلسى.

وبعد شهر من حفل الاستقبال الذى نظمته زوجة مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية جرى استدعاء بيل بوكلى إلى أحد مكاتب الوكالة فى وزارة الدفاع.. وهناك أخضعوه لعدة اختبارات وتدريبات خاصة مع مجموعة من المرشحين، وكان هو الوحيد الذى تم قبوله فى النهاية كى يصبح أحد رجال الوكالة الاستخبارية.

وفى شهر مارس ١٩٥٤ وضعوه فى مكتب بالبناية التى كان يعمل فيها الدكتور ستانلى غوتليب الذى استدعاه ذات يوم إلي مكتبه وبادره قائلا:

❖ هل تعرف سبب وجودك هنا؟

- لا.

❖ هذا لأننى بحاجة إليك. واعتبارا من الآن سوف تعمل تحت إمرتى المباشرة.. هل هذا مفهوم؟ ثم أردف غوتليب سوف تلاحظ أننا بصدد

البحث فى أمر أكثر جدية مما سبق وهو محاولة معرفة ما فعله الصينيون للجنود الأميركيين الذين وقعوا فى الأسر لديهم.. وكان جوتليب يعمل آنذاك على جبهتين مختلفتين الأولى تتعلق باكتشاف الآليات التى استخدمها الصينيون والروس أيضا فى عمليات غسل الدماغ للسجناء الأمريكيين، والثانية كانت تطوير ترسانة أسلحة بيولوجية قادرة على مواجهة ذلك.

وبعد أن قام بيل بوكلى بقراءة الملفات الخاصة بالأسلحة البيولوجية، فى إطار مهام عمله الجديد، لاحظ أن الدكتور ديوين كاميرون الذى كان يعمل فى مستشفاه بالقرب من مونتريال فى كندا، كان هو الأكثر تطرفا من الأطباء النفسانيين الذين كان قد قابلهم حتى آنذاك.

وكان ألن دالاس مدير وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية هو الذى جند ذلك الطبيب عندما كان يلتقى به بانتظام فى مكتب جمعية الأطباء النفسانيين الأميركيين بواشنطن. نقرأ «لقد تفاهما بسرعة، إذ كانت لديهما الشكوك نفسها حيال الإنجليز والحقد ذاته حيال الألمان، وكان حقدا لا يعادله سوى حقدهما على الروس».

وكان كاميرون قد كتب تقريرا سريا إلى دالاس تحت عنوان «كيف تثار حالة هذيان هستيريا - جماعية لدى السكان المدنيين الألمان».

وكان كاميرون قد كتب وثيقة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية اقترح فيها أن «يتلقى كل ألمانى عمره أكثر من ١١ سنة علاجا بالصدمة الكهربائية يكفى لمحو كل أثر للنازية من ذاكرته».

وينقل مؤلف هذا الكتاب أن «ألن دالاس» قد شرح لبيل بوكلى أن الدور الذى لعبه الدكتور ديوين كاميرون كان حاسما فى معركة معرفة آليات السيطرة الذهنية «على الآخرين وشل إرادتهم» وينقل أيضا عن بيل بوكلى انه قد أصيب بالدهشة عندما طلب منه الدكتور كاميرون ذات يوم إذا كان

بإمكان وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية توفير بعض الأجانب لإجراء دراسات عليهم ثم حدد القول الحالة المثالية هى أن يكونوا شيوعيين.

وربما أنهم يكونون قد تركوا أوروبا إلى الولايات المتحدة لكن لا أهمية لذلك.. إذ ستكون الإيديولوجية الشيوعية فى رؤوسهم دائما. كان كاميرون يأمل أن يتوصل قريبا إلى تصنيع آلة لغسل الدماغ «ليس المهم كيف.. فالغاية تبرر الوسيلة».

■ ■ ■

18

أسرى الحرب.. كيف كانوا حقلا لتجارب الشيطان!!



فى الثالث من شهر سبتمبر عام ٢٠٠٩، كشفت صحيفة «الجارديان» البريطانية عن تقرير صدر عن جمعية «أطباء من أجل حقوق الإنسان» اتهم الأطباء والأخصائيين النفسيين العاملين مع وكالة الاستخبارات الأمريكية السى آى إيه بأنهم استخدموا مهنتهم كأطباء لإجراء تجارب على البشر فى جوانتنامو وأبو غريب فى جرائم حرب بشعة ضمن برنامج السى آى إيه المعروف ببرنامج التعذيب السرى.

وطالب تقرير جمعية أطباء من أجل حقوق الإنسان بإجراء تحقيقات مع الأطباء والأخصائيين الذين عملوا بجانب السى آى إيه، لمعرفة تاريخهم والسبب الذى دعاهم للالتحاق ببرنامج التعذيب السرى.

واعتبرت الجمعية أن الدور الذى لعبه الأطباء والأخصائيون النفسيون يعتبر مخالفا للقوانين الدولية وميثاق العمل بمهنة الطب، كما أن تجاربهم على البشر تعد مخالفة لمعاهدة جنيف بشأن التعامل مع الأسرى.

وهكذا لم يكن النازيون الوحيدون الذين بنوا معسكرات الموت فى الفترة التى سبقت الحرب العالمية الثانية، إذ كان لليابانيين أيضا معسكرات اعتقال. لم يكن الهدف، كما كان عند الألمان، تصفية الناس، بل استعمال مجرمين عاديين مساجين وأسرى حرب كموضوع اختبار فى تجارب عسكرية بيولوجية وكيماوية.

وقد حرم القانون الدولى استعمال «وسائل حربية بيولوجية بكتيرية» منذ سنة ١٩٢٥ عندما أقر بروتوكول جينيف الخاص بالأسلحة البيولوجية والكيماوية الذى كان ردا على المآسي المرعبة لاستعمال الغاز السام فى الحرب العالمية الأولى. وفى ما يسمى القضية الطبية فى محاكم نورمبرغ لجرائم الحرب العالمية الثانية بعد عقدين، اتهم المدعى عليهم بإجراء تجارب طبية وبيولوجية على عناصر ألمانية وغير ألمانية. وحكمت المحكمة بأنه مهما كان حق ألمانيا بإجراء تجارب على سجناء ألمان، فإن ذلك الحق «لا يمكن توسيعه.. ليسمح بممارسته على مواطنى بلدان أخرى.. أخضعوا

لتجارب دون موافقتهم وفي ظل أقسى الظروف وأكثرها عبثا.. وإذا أمكن القول إنها لا تشكل جرائم حرب، فإنها تشكل جرائم ضد الإنسانية».

ولكن كيف يتحول أسرى الحرب إلى حقل لتجارب واختبارات مخيفة بلا حدود، ومنها استخدامهم أيضا من أجل تجريب آثار العناصر الكيميائية أو البيولوجية أو تقدير آثار الإشعاعات الذرية.

وكان السوفييت يستخدمون الأسرى الأميركيين أيضا من أجل معرفة مدى قدرتهم على التحمل جسديا ونفسيا، وكذلك لتجريب عدة أنواع من المخدرات التى تساعد على السيطرة الذهنية على الآخر، وكان على تشيكوسلوفاكيا أن تبنى أيضا محرقة فى كوريا الشمالية من أجل التخلص من الجثث بعد إجراء التجارب على أصحابها فى حياتهم.

ولم يستخدم الأميركيون والكوريون الجنوبيون وحدهم كحقل تجارب بشرية. بل جرى أيضا استخدام الألوف من الأسرى السوفييت والتشيكوسلوفاكيين للغرض نفسه.

وكان الأميركيون والكوريون الجنوبيون مهمين جدا للمشروع السوفييتى ذلك أنه كان من المهم فهم تأثير مختلف أنواع المخدرات والعناصر الكيميائية والبيولوجية والإشعاعات الذرية على عروق أخرى وعلى بشر جرت تربيتهم بصورة مختلفة.

وكان السوفييت يريدون أيضا معرفة ما إذا كان هناك فرق حسب البلد الأصلى، فى قدرة الجنود على تحمل وطأة حرب نووية ومتابعة القتال.

وعند نهاية الحرب الكورية كان هناك مئة فقط من سجناء الحرب لا يزالون بمثابة عناصر قابلة للاستخدام من أجل إجراء اختبارات أعتقد أن الآخرين ماتوا أثناء التجارب.

وكما قلنا فنفس الشىء حدث فى فيتنام ولاوس أثناء الحرب الفيتنامية. الفرق الوحيد هو أن تلك العمليات كانت أفضل تنظيما وبالتالى

أجريت التجارب على عدد أكبر من الأسرى الأميركيين فى فيتنام أو لاوس أو الاتحاد السوفييتى. وكان مكتبى مسؤولا عن تنظيم عملية استلام أسرى الحرب عند استقدامهم وتأمين أمكنة لهم قبل تحويلهم إلى الاتحاد السوفييتى. وقد كنت شخصيا موجودا عند هبوط السجناء من الطائرات.

حيث جرى نقلهم فيما بعد فى حافلات طليت نوافذها الزجاجية باللون الأسود، واقتيدوا إلى براغ حيث حلوا فى ثكنات عسكرية أو مراكز أمنية أخرى بانتظار ترحيلهم إلى الاتحاد السوفييتى. وما بين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٨ أى حين تركت تشيكوسلوفاكيا، جرى نقل ما لا يقل عن ٢٠٠ أسير حرب أميركى عبر براغ إلى موسكو.

وكانت الصين كانت قد كدست أيضا كميات كبيرة من الأسلحة البيولوجية وقد أطلقت برامجها فى هذا الميدان منذ عام ١٩٤٠ بعد أن كانت طائرة يابانية قد ألقت كميات كبيرة من الأرز والقمح المحشوة بمادة الانتراكس السامة على مدينة شنسن الصينية فى مقاطعة شيكانغ. وبعد عام فقط كانت مدينة صينية أخرى هى شانغ تيه فى مقاطعة هوفان قد عرفت المصير نفسه ولكن تلك المرة بحبوب أرز وقمح مضمنة بجراثيم الطاعون. وكانت أعداد الضحايا كبيرة جدا فى الحالتين.

وقد لقى الألوف من الجنود الصينيين أثناء الحرب العالمية الثانية حتفهم بسبب جراثيم متنوعة ألقتها الطائرات المعادية، لكن لم ترد الصين على ذلك بالمثل أبدا، إنما كانت خشية واشنطن كبيرة عندما اندلعت الحرب الكورية بعد ذلك من أن تستخدم الصين الأسلحة البيولوجية تلك المرة مع التأكيد على أنه كان قد جرى اختيار جراثيم تؤدى للإصابة بأربعة أمراض من أجل استخدامها ضد كوريا الشمالية من قبل الأميركيين وهى أمراض الجمرة الخبيثة (الانتراكس) والحمى المالطية «المتموجة» والحمى التلرية (نسبة إلى منطقة تلار وفى كاليفورنيا حيث ظهر المرض للمرة الأولى)، وداء الببغاء (الذى يمكن أن يصيب الانسان أيضا).

19

أسرار المعسكر ١٢
والبرنامج «كوست» !!



كان الرئيس الأميركى الأسبق ريتشارد نيكسون قد كبح جماح النشاط فى هذا الميدان، لكن الأبحاث فى ميدان التسليح الكيماوى والبيولوجى استؤنفت عمليا فى الولايات المتحدة اعتبارا من مطلع عقد الثمانينيات من القرن الماضى. ولكن بأكبر قدر ممكن من السرية ليصبح السباق محموما مرة أخرى فى مطلع القرن الجديد للوصول إلى أسلحة غير معروفة من قبل وأكثر فتكا مما مضى، لقد عادت طموحات الدكتور سيدنى جوتليب، الأب الأكثر شهرة لمشروع الأسلحة البيولوجية والكيميائية الأميركية، للبروز من جديد، لكن من دون صاحبها، الذى كان قد انزوى فى مزرعة له كى يعتنى بمواشيه.

ويحكى مؤلف كتاب الأسلحة السرية لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية كيف أنه كان بصدد تصفح الرسائل الإلكترونية والفاكسات التى وصلته فى ليلة الخامس من سبتمبر ٢٠٠١ والتى كان مصدرها كلها معارف يعملون فى مختلف الأجهزة الاستخباراتية وكانت تحتوى على تصويبات خاصة بمعلومات سابقة وتحديثها. كان هؤلاء الأصدقاء هم الذين زودوه منذ ربع قرن ولا يزالون يزودونه، بـ «المادة» من دون ذكر المصادر التى تسمح له بإجراء تحقيقاته وإعداد كتبه.

كان مصدر إحدى الرسائل الإلكترونية فى ذلك واشنطن وجاء فيها: «قامت وزارة الدفاع الأميركية البنتاغون ببناء مصنع للأسلحة البيولوجية سرا يمكنه أن ينتج ما يكفى من العناصر القاتلة لإبادة ملايين من البشر».

ثم يقوم المصدر نفسه بذكر أسماء بعض الأسلحة البيولوجية المكدسة فى ذلك المصنع السرى مثل الجمرة الخبيثة والحمى المالطية والطاعون والجدرى والكوليرا.. الخ. وبالطبع فإنها كلها أسلحة محرمة دوليا. لكن كان هناك ما هو أسوأ من ذلك أنه فى نهاية فترة الحرب الباردة توصل الروس إلى المزاوجة بين فيروس الجدرى مع فيروس آخر اسمه ايبولا الذى ظهر فى إفريقيا، لذلك بذل الأميركيون جهودا لمعرفة كيف فعل الروس ذلك.

وقال المسؤولون فى المعهد - المصنع - إنه من الممكن التوصل إلى اختراع جراثيم اصطناعية انطلاقا من مكونين طبيعيين بفضل التقدم المحقق فى ميدان علم الوراثة.

وتابع المصدر القول: تتابع البحوث أيضا على عناصر معاملة وراثيا بحيث يمكنها مقاومة أى دواء مضاد. ولا تنسوا أن القنابل البيولوجية أقل كلفة بكثير من صناعة قنبلة نووية، التقنيات متوفرة بغزارة، ويمكنها أن تختبئ وراء الغطاء القديم الجيد للبحث فى ميدان الأدوية، إن زمن نهاية العالم بيولوجيا قد اقترب.

ويشير مؤلف هذا الكتاب إلى أن مصدره هذا يعمل فى عالم الاستخبارات فى الولايات المتحدة ويصفه بأنه شخص متوازن وينتبه جيدا إلى ما يقول.

وهو يكشف فى الرسالة الإلكترونية المعنية أن البنتاغون قد بنى مصنعا سريا على القاعدة التابعة للقوات الجوية الأميركية فى نيلليس الموجودة نفسها فى منطقة تحظى بأقصى درجة من الحماية الأمنية وسط نيفادا. والمصنع نفسه فى أكثر الزوايا عزلة وهو يحمل تسمية «المعسكر ١٢».

يقول المصدر: إن مجرد الاقتراب منه يتطلب المرور برقابات أمنية أكثر مما هو مطلوب للدخول إلى البنتاغون وإلى البيت الأبيض. أن جنودا مسلحين بأقصى ما يمكن يقومون بدوريات مستمرة حول المعسكر ١٢ مع أن القسم الأكبر من المصنع موجود تحت الأرض.

كان المصنع قد بدأ عمله فى ظل إدارة الرئيس بيل كلينتون عام ١٩٩٧، ثم توسع كثيرا فى ظل إدارة جورج دبليو بوش الحالية.

يكتب المصدر أيضا: إن وجود المعسكر ١٢ يفسر فى النهاية السبب الذى دعا بوش إلى رفض التوقيع على الاتفاق الرامى إلى تعزيز المعاهدة

الخاصة بالأسلحة البيولوجية التى تعود إلى تسع وعشرين سنة مضت.

صدقت على هذه الاتفاقية مئة وأربعون دولة، وهذه الدول كلها تسعى إلى تعزيز الاتفاقية، لكن بوش يعرف أن الولايات المتحدة ستكون مرغمة على الكشف عما يجرى فى المعسكر ١٢.

وتمنع اتفاقية ١٩٧٢ حول الأسلحة البيولوجية ـ بشكل قاطع ـ على الدول الموقعة إنتاج أسلحة قد تنشر الأمراض، أو الحصول على هذه الأسلحة. ومع ذلك يؤكد المصدر أن الباحثين فى المعسكر ١٢ يستعدون لتصنيع نموذج قوى جدا من جراثيم الجمرة الخبيثة، بالإضافة إلى جراثيم أخرى.

وربما أنهم يستخدمون للوصول إلى ذلك عناصر بيولوجية معدة وراثيا ومحسنة إلى المستوى المطلوب فى التسليح. لكن الاتفاقية الخاصة بالأسلحة البيولوجية، وعلى عكس الاتفاقية الخاصة بالأسلحة الكيميائية، لا تنص على أى رقابة. ثم إن كل العناصر المستخدمة فى الأسلحة البيولوجية نجدها فى صناعات الأدوية وفى حقل الزراعة.

وهذا ما يسمى بـ «مشكلة الاستخدام المزدوج» ثم إن التجهيزات التى تخدم فى إنتاج تغذية الدجاج يمكنها، مع قليل من التعديل، أن تدخل فى عملية تصنيع عنصر بيولوجى.

وتتم الإشارة فى هذا السياق إلى أن وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية تقوم بتمويل أحد مشروعات مصنع المعسكر ١٢، وهو مشروع يتعلق بإعادة إنتاج قنبلة بيولوجية من صنع روسى وكانت الوكالة هى التى أعدت الخطط لعملية إعادة الإنتاج المطلوبة.

ويبرهن المصدر على أن المعسكر ١٢ يخضع لإدارة وحدة سرية فى البنتاغون تدعى «وكالة تقليص أهداف الدفاع» هنا يتساءل المؤلف عن السبب الذى دعا الرئيس بوش إلى أن يخاطر بإثارة الغضب الشديد لدى

حلفائه الغربيين - خاصة فرنسا وألمانيا - بترك المعسكر ١٢ يتابع عمله السرى وذى الخطر القاتل الكبير؟

وكان بوش قد هدد بالانسحاب من المعاهدة المضادة للصواريخ لصالح فكرته بإقامة درع مضاد للصواريخ، ثم هل من الممكن السماح بمتابعة العمليات الخاصة فى المصنع الذى يعد الأكبر فى العالم، لإنتاج الأسلحة البيولوجية فى قلب الولايات المتحدة نفسها؟

فى محاولة للإجابة على مثل هذه التساؤلات اتصل مؤلف هذا الكتاب بمكتب دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأميركى، وقد أجابه أحد العاملين فيه بالقول:

إن كل عمل يتم القيام به من قبل الولايات المتحدة فى هذا الميدان هو ذو طبيعة دفاعية بحتة. فهل كانت هى تلك أيضا وجهة نظر الرئيس؟ اتصل المؤلف بالبيت الأبيض فقال له آرى فليشر، الناطق باسم الحكومة: نفذت الولايات المتحدة أثناء فترة ما برنامجا مكرسا لحماية عسكريينا من أخطار الحرب الكيميائية أو البيولوجية.

ثم كانت تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التى كانت بمثابة منعطف «غير العالم بالنسبة للجميع». واعتبارا من تلك اللحظات أصبحت الأسلحة البيولوجية بيد المتطرفين شبحا مخيفا، فإذا كان العالم يعرف الكثير عن الدمار الذى تسببه القنابل النووية منذ هيروشيما ونغازاكى عام ١٩٤٥، فإنه لا يعرف حتى الآن أثر الأسلحة البيولوجية. وهو لا يزال يجهل أنه من بين جميع الأسلحة المتوفرة فإن تلك النوعية هى التى تقترف أكبر الجرائم ضد الإنسانية.

إن هذه الأسلحة البيولوجية قد تغلغلت فى الوعى الجماعى بعد تفجيرات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وذلك عندما شاع الإعلان عن وجود خطر التسمم بالجمرة الخبيثة فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة التى كانت قبل

نصف قرن قد قامت بتجارب على الأسلحة البيولوجية أولا عقب الحرب العالمية الثانية ثم أثناء الحرب الكورية.

نقرأ: مثلما كانت الحكومات المتعاقبة قد كذبت على الكونغرس حول برنامج ام كى ـ الترا، وعلى الشعب الأميركى وفيما هو أبعد على أمم العالم كله، فإنها قد كذبت أيضا حول استخدام الأسلحة البيولوجية زد على ذلك أن إدارة بوش، فى القرن الحادى والعشرين، تتمسك بأكذوبة بالية تقول إن كل برنامج للحرب البيولوجية قد انخرطت فيه الولايات المتحدة إنما كان دفاعيا صرفا باستمرار، كما قال وزير الدفاع عام ٢٠٠١م.

لقد نفذت الولايات المتحدة برامج كبيرة فى ميدان الأسلحة البيولوجية بوجود رجال من أمثال سيدنى غوتليب وكانت بريطانيا قد قدمت مساعداتها فى هذا الميدان، ولا يتردد مؤلف هذا الكتاب فى القول إن أولئك الذين قالوا، من أمثال دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأميركى، أن المقصود هو محاربة الإرهاب أو إنقاذ حياة الأميركيين، يبحثون عن إيجاد تبريرات ترمى إلى تجنب أو الرد على مسائل أخلاقية يثيرها استخدام الأسلحة البيولوجية أو الكيميائية.

وأثناء الفترة المشوشة التى عرفتها الولايات المتحدة بعد تفجيرات ١١ سبتمبر بسبب تزايد حالات الإصابة بالجمرة الخبيثة، برزت بعض الوقائع المزعجة بذلك الخصوص، لقد تبين أنه فى بعض الحالات القاتلة كانت الجراثيم المستخدمة من فصيلة جرى إرسالها من انجلترا إلى المعسكر ١٢ ضمن إطار التعاون الوثيق والمستمر بين البلدين على الأسلحة البيولوجية والكيميائية.

هكذا تغير الحديث الرسمى إذ بدلا من تحميل المسؤولية لتنظيم القاعدة تحدث آرى فليشر الناطق الرسمى باسم البيت الأبيض عن عالِم مجنون، وقال: ربما يكون مصدر الجمرة الخبيثة هو طبيب يعمل فى حقل الميكروبيولوجيا ويمتلك مختبرا جيد التجهيز فى الولايات المتحدة.

كانت أزمة الجمرة الخبيثة قد أثارت النقاش حول معرفة مدى حقيقة التهديد البيوكيميائى، كانت الفكرة السائدة هى أن إدارة الرئيس بيل كلينتون كانت قد ضخمت كثيرا من ذلك التهديد، رأى بعض الباحثين العلميين فى هذا الميدان أن المقصود بذلك التضخيم الإعلامى هو تحضير الشعب الأميركى لعودة الاهتمام بالأسلحة الكيميائية والبيولوجية، ثم إن كلينتون نفسه هو الذى أيد إنشاء مصنع لها (المعسكر ١٢) فى قاعدة ميلليس الجوية.

وكانت تقارير قد أكدت أن الصين وإيران والعراق وكوريا الشمالية وروسيا كنت قد شرعت ببرامج سرية جديدة للحرب البيولوجية. وبالتالى لماذا لا تفعل الولايات المتحدة الشىء نفسه للتحضير لهجوم مضاد والدفاع عن نفسها؟.

وتتم الإشارة فى هذا السياق إلى أن أطباء لدى وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية كانوا قد كتبوا مذكرات اقترحوا فيها إمكانية إنتاج لقاحات مضادة للفيروسات تعطى لجميع أفراد القوات المسلحة، لكن الكلفة كانت أكبر مما يمكن احتماله.

وقال آخرون إن اللجوء إلى الأسلحة الكيميائية والبيولوجية نادر جدا فى الحروب الحديثة، مع أنه كانت هناك مشروعات كثيرة سابقة.

فى عام ٢٠٠١ نشر مركز منع انتشار تلك الأسلحة فى قاعدة القوات الجوية الأميركية فى ماكسويل بولاية الاباما تقريرا أكد أن نظام التمييز العنصرى فى جنوب افريقيا كان قد نفذ برنامجا يحمل اسم «كوست».

وكان أحد أهدافه هو اختراع «قنبلة إثنية» قادرة على مهاجمة بل قتل سكان البلاد من السود من دون أن تسبب أى أذى للبيض. واجه رجال العلم ذلك المشروع بالشك فى إمكانية التوصل إلى اختراع أسلحة بيولوجية ذات

أهداف محددة وراثيا.

لكن فى عام ٢٠٠٣ أعلنت مجموعة أميركية - ألمانية للبحث العلمى مختصة بتحليل دور علم المورثات فى تصنيع نماذج جديدة من الأسلحة البيولوجية ذات الهدف المحدد إثنيا أمر ممكن التحقيق بواسطة تقنيات جديدة تسمح بتحويل المتتاليات الوراثية إلى صواعق لكل أنواع النشاطات البيولوجية وقد أكدت التحليلات المقدمة ان «الأسلحة المحددة الأهداف إثنيا» قد لا ترمى إلى القتل.

وإنما قد تؤدى إلى أعراض مختلفة مثل العقم أو التعب المستمر أو أية حالة أخرى غير قاضية وإنما مرغوبة من وجهة نظر المعتدى، ويمكن استخدامها خلال حرب مفتوحة فى ساحة المعركة أو ضد السكان المدنيين، كما يمكن استخدامها أيضا فى عمليات سرية أو فى حالات النزاع من أجل زعزعة استقرار مجتمع أو ضربه اقتصاديا أو إضعافه.

لقد استطاع مدير مشروع «سنشين» الذى تقوم به المجموعة الأميركية أن يسترعى انتباه الباحثين فى ميدان علم المورثات بتحليله الرائع الذى اختتمه بالقول: «الأمر المقلق هو أن هذه الاكتشافات أصبحت قابلة للاستغلال فى إطار التسليح العسكرى».

وإذا كان نظام جنوب إفريقيا العنصرى قد حاول فى سنوات الثمانينيات اختراع قنبلة تقتل السود فقط، فإن مختبرات كوريا الشمالية قد شهدت فى عام ٢٠٠٣ أبحاثا مستمرة من أجل اختراع قنبلة إثنية أيضا وإنما تستهدف هذه المرة أبناء العالم من العرق الأبيض.

فى يونيو من عام ٢٠٠٤ كان الدكتور رى شى - ويعمل فى مختبره الموجود تحت الأرض والمراقب بشكل دقيق بحيث لا يدخل إليه أى عنصر خارجى أو أى فيروس.

وبالطبع كان هو نفسه قد اتخذ جميع إجراءات التعقيم المفروضة قبل الدخول والشروع فى العمل على القنبلة «المكرسة لقتل البيض».

لقد كان يقوم بذلك منذ أكثر من ألف يوم لكنه كان فى ذلك اليوم بصدد وضع حد لذلك الروتين والبدء فى مشروع آخر كان أى خطأ فيه أكثر خطورة من الخطأ فى التعامل مع الفيروسات والجراثيم اذ فى حالة مثل هذا الخطأ قد يمكن أخذ دواء مضاد وأمل الاستمرار فى العيش.. أما فى مشروعه الجديد فقد كان مجرد الكشف عنه يعنى التعذيب والموت.

كان الدكتور رى يتقن اللغات الصينية واليابانية والانكليزية، إلى جانب اللغة الكورية، بالطبع، لغة الأم. وهو أحد العلماء الكوريين الشماليين العاملين فى المشروع الأكثر سرية فى بلاده إلى درجة أن السرية أصبحت جزءا من حياته إذ تعلم أن يخفى عاداته ومسؤولياته وطبيعة عمله حتى عن أسرته نفسها لقد كان فى الواقع أحد أفراد فريق من علماء البيولوجيا والمورثات وانقسام الجينات كان وراء اكتشاف آلية الانقسام باحثان فى ميدان الكيمياء الحيوية هما «ستانلى كوهن» من المدرسة الطبية فى ستامفورد و«هربرت بواير» من جامعة كاليفورنيا فى سان فرانسيسكو.

لقد وحد هذان الباحثان جهودهما من أجل اكتشاف إذا كان نقل الحمض النووى من «جسد» إلى آخر لا علاقة له به يمكن أن يؤدى إلى شكل جديد من الحياة وقد اكتشف أنه يمكن تجاوز الحواجز بين الأنواع وبمقدار شيوع خبر نجاحهما فى الأوساط العلمية تنامى أيضا الخوف من ان يتم استخدام ذلك الاكتشاف من أجل اختراع أسلحة بيولوجية عبر التوصل بواسطة التلاعب بالمورثات إلى انتاج جراثيم، لا تستطيع اللقاحات والأدوية المضادة أن تقوم إلا بدور دفاعى متواضع وربما لن يكون لها أى دور أبدا.

كان عمل الدكتور رى يندرج فى إطار البحوث الرامية إلى اختراع مثل

تلك الجراثيم، بالاعتماد على ترسانة السموم المسببة للأمراض والسموم البيولوجية التى كانت كوريا الشمالية تمتلكها، وكانت كوريا الشمالية قد قامت بتصنيع كميات كبيرة من الجراثيم فى مراكز أخرى من بينها جراثيم الطاعون والحمى الصفراء والجدرى والتيفوس والفيروسات القاتلة جدا للحمى الكورية النازفة.

وكان كيم ايل سونغ قد وصف الحرب البيولوجية قبل موته بالقول انها «سلاح معادل كبير قد يؤمن الرد القاتل إذا حاولت كوريا الجنوبية أن تطلق ضد أسلحتها الذكية التى زودتها الولايات المتحدة الأميركية بها».

تتم الإشارة فى هذا السياق إلى أن عملاء «سريين للغاية» يعملون لحساب وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية قد اكتشفوا أنه جرى تجريب جراثيم الجمرة الخبيثة للمرة الأولى فى كوريا الشمالية خلال مايو ١٩٩٨ على بعض السجناء فى معتقل عسكرى بالقرب من العاصمة بيونغيانغ.

وكان قد جرى وضعهم فى قفص واسع ورشوا عليهم جراثيم الجمرة الخبيثة لقد ماتوا جميعهم ثم كلفوا سجناء آخرين بنقل الجثث بعد ساعات إلى المعهد الذى كان الدكتور رى يعمل به كانت تلك هى المرة الأولى التى يرى فيها أمام عينيه مدى الرعب الذى تحدثه الحرب البيولوجية.

وفى أوساط عقد التسعينيات من القرن الماضى كانت كوريا الشمالية قد كدست ترسانة كبيرة من الأسلحة الكيميائية، وكانت هناك فى نهاية عام ٢٠٠٠ اثنتا عشرة منشأة، جرى تمويهها على أنها مصانع تجارية تعمل على إنتاج أنظمة لنشر الجراثيم تتضمن رؤوسا صاروخية وطائرات رش زراعى ورشاشا محمولا مصمما لوضعه على ظهر شخص انتحارى.

ويتم التأكيد فى هذا الإطار أن حوالى ثلاثين ألفا من الباحثين البيولوجيين قد قدموا من بلدان الكتلة السوفييتية بعد انهيارها للعمل سرا

فى البرنامج البيولوجى لكوريا الشمالية.

وفى نهاية عام ١٩٩٩ كان الدكتور رى قد التقى بباحثة فى ميدان المورثات هى ياى يونغ سو التى كانت تعمل فى إدارة أكاديمية العلوم الكورية الشمالية والمقربة من «كيم يونغ ايل» الذى خلف والده على الحكم عام ١٩٩٤م.

وقد أعلنت للدكتور رى فى ذلك اللقاء أنه قد جرى تعيينه مديرا لمشروع جديد هو تصميم سلاح يستهدف حصرا «العرق الأبيض من سكان العالم».

بعد أربع سنوات كان الدكتور رى قد صمم على الانتقال إلى معسكر العدو وأن يحمل معه البراهين الداعمة لما سيكشف عنه من الأعمال التى تقوم بها كوريا الشمالية فى ميدان الأسلحة البيولوجية، لكنه لم يتحدث حتى يونيو ٢٠٠٣ لأى إنسان عن سر قراره الهرب إلى الولايات المتحدة سوى لشخص واحد، هو زوجته شينغ لى، بينما لم يتم إطلاع ولديهما المراهقين على ما كان يتم إعداده إلا فى اللحظات الأخيرة.

ولم يطلع الدكتور «رى» وزوجته على الوثائق التى جلب صور منها من مخبره والتى كانت تبلغ حوالى سبعمئة صفحة من الأبحاث. وقد كان بعض تلك الوثائق يخص البرنامج الذى كان يربط بين كوريا الشمالية وجنوب إفريقيا.

كان مدير ذلك البرنامج هو ووتر باسون، رجل العلم الموهوب قاسى القلب الذى لا يولى الأخلاق أى اهتمام، حيث كانت قدرته على إنتاج الأسلحة البيولوجية قد جعلت منه «تلميذا» للشيطان يعمل على الجانب الأكثر شرا فى التمييز العنصر الابرتهايد، حسب تعبير الكاردنيال توتو، الإفريقى الجنوبى وصاحب الشهرة العالمية.

وكان ذلك البرنامج الذى يحمل اسم «كوست» يختبئ خلف شركات ـ واجهات تزعم أنها كانت تقوم بأبحاث مشرفة يبحث عن اصطياد الأخبار العلمية فى جميع أرجاء العالم.

وتتم الإشارة فى هذا السياق إلى أن الدكتور رى كان على علم بالعروض التى قدمتها جنوب إفريقيا لبعض الباحثين السوفييت للالتحاق بمشروع «كوست» لكن ليس هناك ما يشير إلى أنهم قد قبلوا ذلك العرض.

بالمقابل كانت هناك شخصية مرموقة تستعد للتعاون مع جنوب إفريقيا وكوريا الشمالية تتمثل فى الدكتور «لارى فورد» عضو الهيئة العلمية فى جامعة كاليفورنيا بلوس إنجلوس ولم يكن هناك فى سلوكه المدروس مع مرضاه أو فى زيه ما يمكن أن يوحى بأنه كان فى الواقع «رجلا شريرا يستحق أن يكون إحدى شخصيات الروايات البوليسية التى تقطع الأنفاس الموجودة فى غرفة الانتظار» لقد كانت له علاقات وطيدة مع ووتر باسون الذى ربطه بصلات مع باحثين كوريين شماليين وإذا كان يعمل لحساب وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، كما قيل فيما بعد، فإن جميع البراهين على ذلك قد جرى إتلافها بعناية.

بالتأكيد لم يكن أى من المرضى الذين عالجهم الدكتور فورد قد شك للحظة واحدة أنه كان ينقل بين أمتعته اثناء أسفاره إلى جنوب افريقيا سموما قاتلة، ثم كيف كان يحصل عليها؟ ومن الذى كان يسمح بإخراجها من الولايات المتحدة الأميركية؟ ثم من كان يستخدمها فى نهاية المطاف؟

إنها مجموعة من الأسئلة التى يصيغها مؤلف هذا الكتاب كى يشير بعد ذلك إلى أن الدكتور «قد أخذ جميع هذه الإسرار إلى القبر». إذ كان قد انتحر فى ربيع عام ٢٠٠٠، وعندما اهتم المحققون فى كاليفورنيا بمسألة انتحاره وجدوا فى براده «عددا من القوارير التى تحتوى على كميات من السموم «تكفى لتسميم الولاية كلها تقريبا. وعندها عرفنا أن الأمر لم يكن يتعلق بحادث انتحار عادى» كما ينقل المؤلف عن أحد رجال الشرطة كانت تلك القوارير تحتوى على مزارع لجراثيم الكوليرا والتيفوس.

كانت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية بالاشتراك مع جهاز

الاستخبارات البريطانى «إم ـ ١٦» قد قاما بعروض حذرة عبر مؤسسات جرى استخدامها كواجهات، من أجل اتهام الدكتور رى أنه سيتم استقباله بترحيب كبير إذا انتقل إلى الغرب مثل هذه العروض الحذرة تسمى فى عالم الاستخبارات «الاتصالات بواسطة الأوهام أو ضربات المرفق». وكانت جزءا من خطة تستهدف الوصول إلى الدكتور رى عند نقطة معينة.

وقد انقضى عامان قبل أن تأتى إشارة إيجابية من الدكتور رى الذى لم تكن قد بقيت عنده أية أوهام عما هو مطلوب منه عمله، كما ينقل المؤلف عن مصدر فى الاستخبارات السرية الأميركية. أصبح المطلوب بعد ذلك إعداد الخطة من أجل إخراج الدكتور رى وبالطبع لم يكن مطروحا الذهاب إلى كوريا الشمالية لجلبه.

ذلك أن المخاطر كانت أكبر من أن تحتمل حتى بالنسبة لـ «غنيمة». بتلك القيمة اقتضت الخطة سفر عالم الإحياء إلى جنوب الصين كى يتم نقله بعد ذلك إلى الغرب.. وكان الأمر أكثر تعقيدا بعد حرصه على استقدام أسرته معه، وفى ذلك اليوم من يونيو الذى بدأ فيه الدكتور رى وأسرته مغامرة هربهم وصل فريق مختلط من الاستخبارات المركزية الأميركية وجهاز الاستخبارات البريطانى بزى رجال أعمال، إلى مدينة غوانغ شو فى مقاطعة كانتون الصينية.

لقد اجتاز الدكتور رى وأسرته جميع مراحل الرحلة وحتى مدخل فندق غوانغ دونغ الدولى فى مدينة غوانغ تسو حيث كان موعد اللقاء مع الفريق الاستخباراتى الأميركى الإنجليزى المكلف بترحيله مع أسرته إلى الغرب.

وعندما دخل إلى المبنى «للشروع بآخر مرحلة لخروجه سرا من البلاد، وجد نفسه أمام عناصر من الأمن العام الصينى الذين كبلوا يديه بالقيود قبل أن يصطحبوه معهم».

وينقل المؤلف فى المقطع الأخير من هذا الكتاب عن ضابط استخبارات يعمل فى لندن، وكان أحد المشاركين فى عملية نقل الدكتور رى الفاشلة قوله له فى شهر يناير ٢٠٠٦ إن زوجته وولديه أعيدا إلى كوريا ليلقيا مصيرهما المعروف أما الدكتور رى نفسه فإن هناك مؤشرات عديدة ذات مصداقية تدل على أنه لا يزال على قيد الحياة، ويعمل فى برنامج للسلاح النووى فى الصين.

■ ■ ■

20

اليورانيم المشع والمستنفد والحروب الإمبريالية القذرة



اليورانيوم المستنفد أحد أسلحة الدمار الشامل. ولهذا السلاح قدرة تدميرية ليس على الجماد فقط ولكن على البيئة بكل ما فيها من إنسان ونبات وحيوان، وقد استخدمته الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسى وكانت له نتائج كارثية، ويحاول هذا التقرير إلقاء بعض الضوء عليها.

اليورانيوم المستنفد هو أحد مشتقات اليورانيوم الطبيعى، ويعبأ به نوع من القنابل تطلق من المدافع أو تلقى من الطائرات المقاتلة، وله قدرة عالية على إذابة المواد الصلبة الخرسانية والمدرعة.

وإذا استخدمت قذيفة اليورانيوم المستنفد ضد دبابة مثلا فإنها تمر فيها كما يمر السكين الحاد فى قطعة من الزبد وتحولها إلى كتلة من اللهب وتطلق فى الهواء أكسيد اليورانيوم الذى يسبب مشاكل صحية تسبب السرطان وأمراضا أخرى كثيرة.

وحين تصطدم قذيفة اليورانيوم المستنفد بالهدف تحترق ذاتيا إلى درجات حرارية بالغة الارتفاع، وفى ثنايا هذه الحرارة ينبعث اليورانيوم فى جزيئات متناهية الصغر إلى تراب الغلاف الجوى.

وفى تراب الغلاف الجوى يخبز اليورانيوم نفسه فى عجينة الجزئيات الميكروسكوبية التى تعلق إلى الأبد بتراب الغلاف الجوى. (اليورانيوم المستنفد من حرب الخليج إلى أفغانستان ـ إعداد: أمين شحاته ـ الجزيرة ـ ٣ أكتوبر ٢٠٠٤).

لقد استخدم اليورانيوم المستنفد فى أنظمة الأسلحة الأميركية والبريطانية والروسية والإسرائيلية لما لا يقل عن ١٥ عاما وتم تصديره إلى أكثر من ٢٠ دولة، لما يتمتع به هذا المعدن من كثافة عالية تعطيه طاقة حركية عالية بالنسبة لحجمه وخاصية الاشتعال، حيث إنه يشتعل بدرجة عالية وينصهر فى الدروع مما يزيد من تأثيرات الاحتراق للذخيرة

المصنوعة منه.

بدأت فضيحة استخدام اليورانيوم المستنفد فى المعارك التى قادتها الولايات المتحدة الأميركية فى الخليج عام ١٩٩١ وفى البلقان فى الأعوام ١٩٩٤ و١٩٩٥ و١٩٩٩، وأخيرا فى أفغانستان عقب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

وقد بدأت هذه الفضيحة تأخذ أبعادا جديدة بعدما تصاعدت أعداد الجنود الأميركيين والبريطانيين والأوروبيين المصابين بأعراض الإشعاعات التى تتصاعد من اليورانيوم المستنفد.

ويعتقد كثير من علماء الفيزياء والأطباء أن غبار أكسيد اليورانيوم الذى استنشقه أو ابتلعه الجنود خلال حرب الخليج الثانية هو السبب أو العامل المساعد فى ما عرف بأعراض الخليج التى يشكو منها أكثر من ١٣٠,٠٠٠ جندى أميركى وأوروبى من أصل ٦٩٧,٠٠٠ شاركوا فى الحرب.

فقد اشتكوا من مشاكل صحية تتروح بين مشاكل فى الجهاز التنفسى إلى مشاكل صحية فى الكبد والكلية وفقدان الذاكرة والصداع والتعب المستمر والحمى وانخفاض ضغط الدم.

لقد تلقى العراق حسب إحصاءات غربية أطلسية خلال حرب الخليج الثانية ٩٤٠,٠٠٠ قذيفة يورانيوم، وهو ما يساوى ٣٥٠ طنا من اليورانيوم المستنفد هى فقط مخلفات القصف، و١٤٠٠٠ قذيفة دبابات، وقصفت المنطقة بحوالى ٥٠,٠٠٠ صاروخ و٨٨٠٠٠ طن من القنابل، وهو ما يعادل سبعة أضعاف القوة التدميرية التى تعرضت لها مدينتا هيروشيما وناغازاكى اليابانيتان بعد قصفهما بالقنابل النووية الأميركية فى نهاية الحرب العالمية الثانية.

أما فى مستشفيات الولادة والأطفال فى البصرة جنوبى العراق فقد

تضاعفت حالات السرطان بين الأطفال بعد انتهاء الحرب لما يقارب خمس مرات عنها قبل الحرب.

وتشير التقارير الحكومية العراقية بزيادة قدرها ثلاث مرات فى حالات فقدان الجنين قبل الولادة وذلك إذا كان الأب قد شارك فى الحرب عنه فى الذين لم يشاركوا.

وتقول وزارة الصحة العراقية إن حالات الإصابة بالسرطان ازدادت من ٦٥٥٥ عام ١٩٨٩ إلى ١٠٩٣١ حالة عام ١٩٩١م.

ومن ناحية ثانية دعا البروفيسور الألمانى سيغ بارهورس غونتر، أول من اكتشف استخدام الأميركيين لهذا النوع من القذائف عام ١٩٩١، إلى عزل المنطقة العراقية والكويت والسعودية نتيجة للقصف باستخدام قذائف اليورانيوم المستنفد، وقال إن ما لا يقل عن نصف مليون شخص فى المنطقة مصاب بالأمراض الناجمة عن هذه القذائف سواء علموا بذلك أم لم يعلموا.

وأضاف أن عزل المنطقة ضرورى لإجراء تجارب على كل الأجسام الموجودة فيها لمعرفة الآثار التى خلفتها الحرب سواء على البشر أو الأرض أو المياه الجوفية أو النباتات وحتى الحيوانات.

ويؤيد هذه التقارير العراقية ما أجراه معهد أبحاث الإشعاع البيولوجى التابع للقوات المسلحة الأميركية أن السم الكيمياوى فى اليورانيوم المستنفد، وليس نشاطه الإشعاعى، قد يسبب ضررا بجهاز المناعة ومشاكل بالجهاز العصبى المركزى وربما يسهم فى تطور أنواع معينة من السرطان.

وكان ديفد ماكلين كبير باحثى اليورانيوم المستنفد بالجيش الأميركى قد ذكر عام ١٩٩٩ أمام لجنة رئاسية للتحقيق فى أمراض حرب الخليج أن ثمة دليلا قويا يدعم دراسة تفصيلية عن الإصابة المحتملة بالسرطان الناتج عن استخدام يورانيوم مستنفد.

وفى دراسة منفصلة بتمويل من الجيش الأميركى أجراها معهد لوفليس لأبحاث الجهاز التنفسى ثبت أن اليورانيوم المستنفد سبب سرطانا عند زراعته فى حيوانات معملية. بينما حذر فليتشر هان، وهو عالم كبير بمعهد لوفليس من أن النتائج تنطبق على البشر، ووصف الدراسة بأنها علامة تحذير تقول إننا ينبغى ألا نتجاهل هذا الموضوع.

وهناك دراسة للجيش الأميركى استبق بها الجدل الدائر حاليا حتى قبل الحرب على العراق. ففى يوليو ١٩٩٠ توقع تقرير صادر عن قيادة الأسلحة والذخيرة والأسلحة الكيمياوية الأميركية أنه بعد القتال ربما تصبح حالة أرض المعركة والمخاطر الصحية طويلة المدى على المدنيين والمقاتلين القدامى قضايا لها اعتبارها فى قبول الاستمرار فى استخدام ذخيرة اليورانيوم المستنفد فى التطبيقات العسكرية.

وأضاف التقرير أن اليورانيوم المستنفد يرتبط بالسرطان عندما يكون التعرض له من الداخل.

كما أن الإدارات الأميركية المتعاقبة كانت المسؤول الأول عن استخدام حلف شمال الأطلسى لليورانيوم فى البلقان، حيث اعترف البنتاغون بتفجير ١٨٠٠٠ قذيفة يورانيوم على البوسنة وأكثر من ٣١٠٠٠ قنبلة وقذيفة فى كوسوفو. واعترفت الحكومة البريطانية فى هذا الإطار باستخدام الحلف لليورانيوم المستنفد (وفقا لمقال نشرته صحيفة الجارديان البريطانية فى ٢٧ فبراير ٢٠٠١).

هذا وقد أعلنت المختبرات السويسرية مؤخرا وقبلها المختبرات الألمانية عن أنها تمكنت من العثور على آثار من عنصر الراديوم فى مخلفات القصف الجوى والمدفعى الذى تعرضت له يوغسلافيا، أثناء تأديب الحلف الأطلسى للنظام الصربى بزعامة ميلوسوفيتش فى حرب كوسوفو. وهذا يؤكد استخدام الحلف لقذائف تحتوى على اليورانيوم المستنفد، ولم ينف

الأميركيون أو الأطلسيون أساسا أنهم استخدموا هذه القذائف.

وتشير بعض التقارير الصادرة عن مركز معلومات الدفاع، وهو هيئة بحثية مستقلة من بعض الضباط الأميركيين المتقاعدين، أن قوة ضاربة بما لا يقل عن ٥٠٠ طن من القنابل الذكية وقذائف كروز، حوالى ٦٠٠٠ قذيفة موجهة وقنبلة، المصنوعة من اليورانيوم المستنفد، استخدمت فى الأسابيع الثلاثة الأولى فى حرب أفغانستان.

وفى تقرير للدكتور آصف دراكوفيتش، أحد الخبراء البارزين فى مجال الأبحاث النووية والرئيس السابق لمعهد أبحاث الأشعة التابع للبنتاغون - فى لقاء معه فى برنامج بلا حدود بقناة الجزيرة - جاء فيه أنه قام بتحليل ١٠ عينات من ٦٧ عينة من التربة والماء والبول والدم من المدنيين الأفغان فوجد أنها احتوت على ٢٠٠ إلى ٤٠٠ ضعف من اليورانيوم مما وجد فى العراق.

ويقول إنه خلال وجوده فى أفغانستان كقائد للفريق الأميركى للأبحاث لاحظ قرى فى موقع الاختبارات أصبحت أراضى لا تصلح على الإطلاق والأطفال مصابون أضعاف المرات بالنسبة لما تقوله المجلات.

أما العراق فيختلف كثيرا عن أفغانستان، فهو بلد مسطح، لا تحيطه الجبال مثل أفغانستان، وحسب رأيه فإن الأسلحة التى استخدمت فى حرب الخليج نشرت ذرات اليورانيوم إلى مسافات ٥٠ أو ٨٠ كيلومترا من موقع الانفجار. ولكنها يمكن أن تنتقل إلى مسافات أبعد من ذلك بكثير بفعل الرياح.

والأدلة العلمية تقول إنه فى حرب البلقان عندما قُصفت صربيا، وكوسوفو انتقلت الأتربة الإشعاعية إلى اليونان والمجر بفعل الرياح، والمسافة كما نعلم بين اليونان وكوسوفو، والمجر وكوسوفو مئات الأميال. يوغسلافيا، وكوسوفو، بلاد جبلية، ولكن الخليج والعراق بلاد مسطحة، وفى حال وجود رياح كبيرة، فمن المحتمل جدا أن تنتقل أتربة اليورانيوم إلى الرياض أو إلى

البحرين وقد تصل إلى الدوحة، ولكن هذا يعتمد على سرعة الرياح وعلى كمية غبار اليورانيوم المستخدم.

أما عن تأثير هذه الأسلحة على البشر والبيئة فيقول الدكتور آصف إنه عندما كان فى كزاخستان فى موقع اختبار اليورانيوم هناك وجد أطفالا برأسين وأطفالا بأربعة أرجل وآخرين دون أطراف، ووجد حيوانات من دون رؤوس ودون أبدان، ونفس الشىء قد يحدث لأجيال بعد عشرة أجيال من الآن، لأن المورثات ستحملها من جيل إلى آخر، وهذه كارثة على أى بلد يصاب بذرات هذا السلاح الخبيث.

ومن أعراض الإصابة بهذه الذرات والإشعاعات الناجمة عنها ما يتعلق بتغيرات فى الجهاز التنفسى مثل السعال وضيق التنفس، وهناك أمراض فى البول وفى الكلى وهناك أمراض تصيب الكبد وضعف المناعة فى الجسم.

ويشير الدكتور آصف أنه إذا وجدت كميات اليورانيوم المستنفد أو غير المستنفد فى المصابين فإن أعمارهم لن تزيد على سنة واحدة، لأن هناك عوامل كثيرة سوف تؤدى إلى وفاتهم، وهذا واضح من نسبة الوفيات فى أفغانستان والعراق.

لم يفرق هذا السلاح بين الضحية والمعتدى فقد أثبتت بعض التقارير زيادة أعداد المصابين بين صفوف الجنود الأوروبيين الذين شاركوا فى الحرب التى قادها حلف شمال الأطلسى فى البلقان وأصيبوا بأمراض مزمنة أدت إلى وفاة العديد منهم لاحقا.

إذ تم تسجيل ١٧ حالة سرطان الدم (اللوكيميا) بين الجنود الهولنديين، إضافة إلى حالتى وفاة، كان أحدهما قد خدم فى البوسنة والآخر فى كوسفو، كما توفى خمسة جنود بلجيكيين وبرتغالى واحد وسويسرى.

أما فى إيطاليا فقد أعلنت السلطات هناك عن وفاة سبعة من جنودها

إثر إصابتهم بسرطان الدم وأعلنت وكالة رويترز للأنباء أن أربعة جنود فرنسيين أصيبوا بالمرض نفسه. وفى إسبانيا يعانى الآن ثمانية جنود من السرطان، وسجلت حالة وفاة واحدة بينهم.

قدرت كمية اليورانيوم المستنفد الذى استخدم فى حرب الخليج عام ١٩٩١ بما يقارب ١٠٠ ضعف الكمية المستخدمة فى كوسوفو وأدت إلى انتشار وباء سرطان الأنسجة جنوبى العراق.

وتشير تقارير إلى إطلاق الولايات المتحدة ١٠٨٠٠ قذيفة فى البوسنة خلال الحملة الجوية عام ١٩٩٤ و١٩٩٥، ونتيجة لذلك تضاعف معدل الإصابة بمرض سرطان الدم (اللوكيميا) إلى ثلاث مرات خلال السنوات الخمس الأخيرة.

أما فى حرب كوسوفو التى استغرقت ٧٨ يوما عام ١٩٩٩، فقد أطلقت الولايات المتحدة ٣١٠٠٠ قذيفة مصنوعة من اليورانيوم المستنفد على المدرعات والدبابات اليوغسلافية، أى ما يقارب ١٠ أطنان من اليورانيوم المستنفد وحوالى ٣٪ مما استخدم فى العراق. وبدأت أعراض البلقان تجتاح أوروبا بعد اكتشاف حالات سرطانية بالقرب من مناطق القصف.

ويؤكد تقرير صادر عن معهد سياسة البيئة التابع للجيش الأميركى عام ١٩٩٥ أن إسرائيل هى إحدى الدول التى يوجد فى ترسانتها يورانيوم مستنفد.

وباعتبار برنامجها النووى وصناعتها الحربية المتقدمة، يشير تقرير آخر أعده مركز العمل الدولى أن هناك احتمالا كبيرا بأن إسرائيل تقوم بتصنيع ذخيرة اليورانيوم المستنفد وأنها استخدمتها فى قمع الانتفاضة فى الأراضى الفلسطينية وتدمير أهداف فلسطينية.

كما تشير تقارير أخرى إلى استخدام إسرائيل لقذائف اليورانيوم المستنفد ضد المصريين فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م.

كذلك يتهم اللبنانيون الإسرائيليين باستخدام هذه القذائف ضدهم. وحتى إن لم تكن إسرائيل قد استخدمت هذا السلاح، فإنها تستورد أسلحة اليورانيوم المستنفد من الولايات المتحدة.

وهذه الأسلحة تشمل الدبابات أبرامز إم ١ التى تطلق قذائف اليورانيوم المستنفد، كما أن طائرات أباتشى وكوبرا الغمودية التى تستخدمها القوات المسلحة الإسرائيلية مجهزة لإطلاق قذائف اليورانيوم المستنفد.

جدير بالذكر أن إيطاليا كانت قد طالبت فى الرابع من يناير عام ٢٠٠١ حلف شمال الأطلسى بتقديم توضيح واف عن استخدام الحلف لأسلحة تحتوى على اليورانيوم المستنفد أثناء الحروب التى خاضها فى يوغوسلافيا السابقة.جاء ذلك عقب وفاة عسكرى إيطالى سادس كان قد خدم تحت لواء الحلف فى منطقة البلقان بسبب اصابته المفاجئة بمرض السرطان.

وكانت إيطاليا ـ آنذاك ـ أحدث دولة أوروبية تعبر عن قلقها جراء تأثيرات اليورانيوم الناضب على عسكرييها، حيث سبقتها فى ذلك كل من فنلندا واسبانيا والبرتغال وفرنسا.

كما أعلن وزير الدفاع الفرنسى آلان ريشار بالتزامن أن فرنسا تدعم طلب إيطاليا وبلجيكا والبرتغال من حلف شمال الأطلسى تقديم معلومات وشروح حول استخدام ذخائر مزودة باليورانيوم المستنفد فى البلقان.

وقال الوزير: «ندعو شركاءنا الأميركيين إلى إبداء الانفتاح حيال هذه القضية». وأكد أن «فرنسا لم تضطر إلى استخدام هذه الذخائر التى تمتلكها فى شكل قذائف «مسمارية» ضمن ذخيرة دبابات لوكليرك التى نشرت فى كوسوفو».

ودعا وزير الدفاع البلجيكى زملاءه من وزراء دفاع الدول الأعضاء فى الاتحاد الأوروبى إلى مناقشة الموضوع.

كما قال رئيس الحكومة الإيطالية جوليانو أماتو: «إن القلق الذى يشعر به الإيطاليون إزاء هذا الموضوع أكثر من مشروع، وعلى الحلف القيام بكل التحريات الضرورية لكى يتيح لنا تفهم تاريخ وخصائص اليورانيوم الناضب».

وأضاف: «كنا نعتقد بأن اليورانيوم الناضب لا يشكل خطرا إلا فى حالات محددة، كأن يتعرض له بشكل مباشر شخص مصاب بجرح نازف. لكننا الآن بدأنا نتخوف من أن الأمر ليس بهذه البساطة».

وكان حلف شمال الأطلسى قد اعترف فعلا باستخدام اليورانيوم المستنفد أو الناضب فى حرب كوسوفو، ولكن بكميات أقل بكثير من تلك التى قالت سلطات بلغراد إنه استخدمها.

كما ظهرت أدلة تشير إلى أن الحلف كان قد استخدم هذا النوع من العتاد أثناء تدخله فى حرب البوسنة، واستخدمتها الولايات المتحدة بكثافة أثناء حرب الخليج.

ويذكر أن اليورانيوم المستنفد معدن ثقيل تبلغ كثافته ضعف كثافة الرصاص تقريبا، ويستخدم فى إنتاج القذائف المضادة للدروع.

ويعتقد العديد من العسكريين الذين شاركوا فى حرب الخليج الثانية ضد العراق أن لهذه المادة دورا فى العلل الصحية التى يعانون منها والتى أطلق عليها مرض حرب الخليج.

ولا تنبعث عن اليورانيوم الناضب فى حالته الطبيعية إلا كميات قليلة جدا من الإشعاعات، ولكن عند اصطدام القذائف المصنوعة منه بجسم صلب، تتحول إلى أبخرة حارقة قد تسبب أضرارا صحية.

واعترفت وزارتا الدفاع الأميركية والبريطانية بخطورة أبخرة اليورانيوم الناضب، ونصحتا جنودهما بالفعل بتجنب المركبات التى تصاب بهذا النوع من الذخيرة.

لكن الوزارتين تقولان إن أبخرة اليورانيوم لا تأثير لها خارج منطقة انفجارها، رغم التجارب التى أجرتها جهات مستقلة والتى أثبتت ان هذه الأبخرة قد تنتشر لمسافات شاسعة.

وقال آساف دوراكوفيتش، الذى يعمل الآن أستاذا للطب ولكنه كان فى الماضى يعمل طبيبا فى الجيش الأميركى، إنه قد عثر على كميات لا يستهان بها من اليورانيوم الناضب فى دماء ثلثى جنود حرب الخليج السبعة عشر الذين فحصهم.

وقال تقرير أعده معهد البيئة التابع للجيش الأميركى إن اليورانيوم الناضب له قابلية التسبب فى عواقب طبية وخيمة لو تسنى له دخول جسم الإنسان.

وأضاف التقرير أن المخاطر المترتبة على التعرض لمادة اليورانيوم الناضب يمكن تقسيمها إلى نوعين كيماوى وإشعاعى.

وقال بعض العسكريين ممن شاركوا فى حرب الخليج إن التشوهات الخَلْقية التى ظهرت على أطفالهم لها علاقة بتعرضهم لليورانيوم الناضب.

كما وردت تقارير من العراق أن معدلات الإصابة بالسرطان فى صفوف المدنيين الذين كانوا يقطنون فى مناطق استخدمت فيها هذه الأسلحة عام ١٩٩١ قد ارتفعت بشكل لافت للنظر.

■ ■ ■

21

الأسلحة البيولوجية فن صناعة الموت!!



تعتبر الأسلحة البيولوجية أقدم أسلحة الدمار الشامل استخداما من قبل الإنسان فى نزاعاته وحروبه.

وقد اكتسب ذلك السلاح قوة تدميرية فى العصور القديمة على الرغم من بدائيته بسبب عدم وجود القدرة الطبية على معالجته وعدم وجود الوسائل للحماية منه أو اكتشاف وجوده.

ومن خلال التصفح للتاريخ العسكرى نطالع العديد من الأمثلة على استخدام الأسلحة الحيوية فى عام ١٩٦٠، صدر عن مركز البحوث الكيماوى العسكرى الأمريكى، إن الإنسان منذ عصوره الأولى، حاول أن يستخدم المواد الكيماوية، والأمراض الفتاكة، كأسلحة فى الحرب. إلا أن ذلك لم يكن ممكنا إلا فى القرن العشرين بعد أن حقق العلم ذلك.

لقد سطر المؤرخون قديما، العديد من الشواهد التى حصلت قبل ألفى عام ق. م، إذ استعملت حواجز الدخان، والحرائق، والأبخرة السامة، التى تسبب الارتخاء والنعاس والتثاؤب وعلى أية حال فإن لمحات من ذلك التاريخ الطويل للسلاح البيولوجى يمكن استعراضها من خلال النقاط الآتية:

- لاحظ العسكريون القدامى أن عدد القتلى بسبب الأمراض المعدية يفوق عدد القتلى بسبب المعارك الحربية. وقد اعتبر الطاعون سلاحا بيولوجيا منذ أن فتك فى الفترة الممتدة من العام ١٣٤٨ الى العام ١٣٥٠، بما يزيد عن ربع سكان أوروبا، حتى أطلق عليه تعبير «الموت الأزرق».

فى العام ١٧٦٣ قام أحد قادة الحملات البريطانية فى أميركا بإرسال غطاءين ومنديل من مستشفى الجدرى إلى معسكر الهنود الحمر، مما أدى إلى تفشى وباء الجدرى بينهم. وخلال الحرب الأهلية الأميركية قام كل من الشماليين والجنوبيين بتسميم مياه الشرب بجثث الخنازير والخراف.

وفى حرب البوير (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢) قتل التيفود أعدادا أكبر من تلك

التى أسفرت عنها المعارك. كما ألقت الطائرات علبا مليئة بالحشرات على الخطوط الدفاعية السوفييتية عام ١٩٤١ لنشر الأوبئة والأمراض والذعر وخفض الروح المعنوية، واتهمت كل من الصين وكوريا الشمالية أميركا باستخدام أسلحة جرثومية ضدها وذلك بين العام ١٩٥٠ والعام ١٩٥٣م.

أيضا استخدمت أميركا الأسلحة الجرثومية خلال الحرب الأميركية ـ الفيتنامية.

يعتقد ان أول استخدام لذلك السلاح كان على يد القائد اليونانى سولون وذلك عام ٦٠٠ ق.م حيث استخدم جذور نبات (الهيليوروس) فى تلويث مياه النهر الذى يستخدمه أعداؤه للشرب مما أدى إلى مرضهم وبالتالى سهل عليه إلحاق الهزيمة بهم.

فى عام ١٨٤ ق. م: استعمل «هانيبال» الثعابين كسلاح وذلك عندما ألقى أكياس مملوءة بالثعابين على ظهور سفن الأعداء مما أدى إلى ذعر البحارة وارتباكهم وبالتالى هزيمتهم، ومنذ ذلك الحين، أصبح تسميم مياه الشرب، والمأكولات، أمرا شائعا فى الحروب.

ولقد استخدمت أسهل الوسائل لهذا الغرض، وذلك بإلقاء جثث الحيوانات والجنود المتعفنة فى مصادر المياه التى يشرب منها الأعداء.

ففى عام ١١٥٥، احتل الإمبراطور «فريدريك بربروسا»، مدينة تورنوتا، الإيطالية، بعد تسميم خزانات المياه فيها.

استخدم الصليبيون السلاح البيولوجى ضد المسلمين خلال الحرب الصليبية وذلك عن طريق إلقاء جثث الموتى المصابين بالأمراض المعدية داخل المعسكرات الإسلامية فى محاولة لنشر الأمراض الفتاكة مثل الطاعون والجدرى والكوليرا بين صفوف المسلمين. (أسلحة الدمار الشامل الأسلحة البيولوجية ـ حمد بن عبدالله اللحيدان ـ صحيفة «الرياض»).

فى عام ١٧٦٣م استخدم المهاجرون الأوروبيون إلى أمريكا بعد اكتشافها من قبل الرحالة كولومبس السلاح البيولوجى لتخلص من الأعداد الكبيرة من الهنود الحمر أصحاب الأرض الأصليين وذلك عن طريق نشر الأمراض غير المعروفة هناك والتى لا توجد مناعة طبيعية لدى الهنود الحمر ضدها و لم يكونوا يعرفونها من قبل وقد كان لمرض الجدرى دور رئيسى فى القضاء على الأغلبية الكبيرة للهنود الحمر آنذاك حيث تم إرسال مناديل وأغطية مجلوبة من مستشفى العزل لمرضى مصابين بالجدرى بواسطة قائد الحملة الإنجليزية السير جفري امهرست، عام ١٨٦٣، كهدايا إلى رؤساء القبائل الهندية فكانت النتيجة أن انتشر ذلك المرض بين الهنود وفتك بهم.

استخدمت الأسلحة البيولوجية خلال الحرب الأهلية الأمريكية وذلك عام ١٨٦٣م وقد تم ذلك من خلال تلويث الأنهار والبحيرات بجثث الحيوانات الميتة المصابة بالأمراض المعدية والفتاكة وقد كبد ذلك الأمر الأطراف المتحاربة خسائر فادحة.فقد درج الخصمان المتحاربان، على تلويث مصادر مياه الشرب، قبل انسحابهم فى أية منطقة ينزلون بها. ففى عام ١٨٦٣، عندما انسحب الجنرال جونستون، من فيكسبرغ، وكان يلاحقه الجنرال شيرمن، ملأ البحيرات بجثث الخنازير، والحيتان.

ومنذ بداية القرن العشرين بدأ القادة العسكريون، يهتمون اهتماما متزايدا بالأسلحة الجرثومية، بعد أن عرفوا مقدرتها التخريبية الهائلة، حيث شهدت الفترة ما بين حرب البوير، والحرب العالمية الأولى، مؤتمرين متتاليين للسلام، عقدا فى مدينة لاهيك، عام ١٨٩٩، وعام ١٩٠٧، اتخذت فيه الدول الكبيرة قرارات تمنع استعمال تلك الأسلحة، ولم تعارض تلك القرارات سوى الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن جميع هذه التوقيعات كانت حبرا على ورق، ففى أول حرب اشتعلت بعد ذلك، وهى الحرب العالمية الأولى خان بعض الموقعين، وتراجعوا

عن توقيعاتهم، واستعملت هذه الحروب على نطاق واسع من قبل الطرفين المتحاربين.

بدأ تطور الأسلحة البيولوجية بصورة منهجية بعد الحرب العالمية الأولى وخلال الفترة بين ١٩٣٦ـ ١٩٤٦م حيث بدأت الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية فى إنشاء المختبرات والمراكز اللازمة لتحضير أنواع مختلفة من الجراثيم والفيروسات الصالحة للاستخدام كأسلحة بيولوجية وعلى نطاق واسع وقد تزامن ذلك مع إنتاج الأمصال واللقاحات والوسائل الطبية المضادة لها وخلال الحرب العالمية الثانية اتضح للحلفاء أن ألمانيا قد ركزت اهتمامها على السلاح الكيميائى أما الجانب اليابانى فقد كان مهتما بالسلاح البيولوجى أكثر من غيره وقد كان مقر المعامل اليابانية فى (هربن) قرب منشوريا والتى استولى عليها الاتحاد السوفيتى فيما بعد ونقل تلك المعامل إلى روسيا.

وتتفاقم فى الآونة الأخيرة أزمة أسلحة الدمار الشامل و فى مقدمتها السلاح البيولوجى، الذى بات يهدد أمن وسلامة العالم، بسبب مخاطره الرهيبة، ناهيك عن سهولة تحضيره ورخص كلفة إعداده.

وقد جرت العادة أن تجرى الإشارة إلى السلاح البيولوجى على أنه «قنبلة الفقراء النووية».

ويكفى جمع كمية قليلة من البكتيريا أو الفيروسات فى قنبلة رخيصة الثمن، وجسم الإنسان الذى يصاب بها يصبح «كالفرن الذرى» الذى يكون وبنجاعة بكتيريا أو فيروسات تخدم مرسلها.

وتختلف الأسلحةالبيولوجية عن التقليدية فى صعوبة التحكم فيها فالأسلحة البيولوجية يصعب التحكم فيها بعد إطلاقها مما يؤدى احتمال إصابة مطلقها نفسه أو دولته بها إذا لم تكن وسائل التأمين على أعلى

مستوى، كذلك فاعلية تخزين هذه الأسلحة تختلف، من الممكن أن تخزن دولة ما أسلحتها التقليدية لعشرات السنين دون مشاكل ولكن الأسلحة البيولوجية نظرا لكونها كائنا حيا بل وكائنا حيا دقيقا فهى معرضة للموت والتثبيط وفقدان الفاعلية فى فترات زمنية قصيرة على حسب نوع السلاح والميكروب وكذلك طرق التخزين.

ونجد أيضا إن نسبة التصويب وإصابة الهدف فى الأسلحة التقليدية عالية جدا ولكن السلاح البيولوجى يتدخل فى عملية نجاحه فى إصابة أهدافه عوامل طبيعية كثيرة كرياح والأمطار وحركة الهواء واتجاهه، كل هذا يؤثر على توصيل شحنة الميكروب إلى المكان المراد بالسلب أو الإيجاب.

والأسلحة البيولوجية تنقسم حسب الهدف المراد إصابته فنجد أن هناك أسلحة هدفها إصابة الإنسان بالمرض، وأخرى هدفها إصابة النباتات والحيوانات الاقتصادية بأمراض قد تؤدى إلى موتها مما يؤدى إلى نقص فى الغذاء وحدوث المجاعات، وأيضا يمكن أن يكون الهدف هو البيئة المحيطة بالإنسان كالأرض والأنهار والمياه والآبار.

وداخل كل قسم من هذه الأقسام تفرعات كثيرة تعتمد على قوة الإصابة المرادة وحجم الخسائر التى يود مطلق هذا السلاح إحداثه فى الخصم ,وهنا سنتناول بشىء من التفصيل أنواع الأسلحة البيولوجية المختلفة التى توجه للإنسان بهدف إصابته بالأمراض.

وينقسم هذا النوع إلى عدة أقسام وهى:

١ـ فيروسات تصيب الإنسان بالأمراض.

٢ ـ بكتريا ممرضة للإنسان.

٣ ـ الركتسيا الممرضة للإنسان.

٤ ـ مواد سامة ناتجة من التفاعلات الحيوية للبكتريا.

٥ ـ مواد سامة ناتجة من التفاعلات الحيوية للفيروسات.

وإذا حاولنا أن نحدد اخطر أنواع الميكروبات المستخدمة كأسلحة بيولوجية، سنجد أن جميعها خطير بدرجة عالية ولكن هناك البعض منها الأشد خطرا وفتكا بدرجة أكبر.

والأسلحة البيولوجية عبارة عن مصطلح عسكرى يقصد به جميع الوسائل والمسببات التى تستخدم لنشر الأمراض المعدية والفتاكة فى صفوف القوات المعادية وذلك للتأثير على كفاءتها القتالية وبالتالى سهولة إلحاق الهزيمة بها وحسم نتيجة المعركة.

ولا شك أن التقدم السريع فى مجال البحث العلمى بصورة عامة وفى مجال الهندسة الوراثية بصورة خاصة له أثر كبير فى تخليق خواص ومواصفات جديدة لمسببات الأمراض مع عجز واضح فى مقدرة الطب الوقائى اللحاق بتلك التطورات ناهيك عن مجاراتها وعلى الرغم من أن الجسم البشرى يوجد لديه جهاز مناعى يعمل على مسارين الأول عبارة عن خلايا دفاعية تهاجم الجراثيم والفيروسات الغازية للجسم وتدمرها والثانية مقدرة الجسم على إنتاج أجسام مضادة تقضى على تلك المسببات إلا أن كثافة وقوة وتركيز تلك الجراثيم والفيروسات وخلطها مع بعضها البعض فى سلاح واحد يجعل الجسم يخسر المعركة فى كثير من الأحيان بالإضافة إلى أنه متى ما أصيب بعض الأفراد بداء المرض فإنه يساعد على انتشاره عن طريق العدوى إذا لم يتم عزله فى الوقت المناسب.

ويقصد بالأسلحة البيولوجية أيضا الاستخدام المخطط للكائنات الحية أو سمومها، لإحداث الوفاة أو إضعاف القدرة البشرية، سواء كان ذلك فى مسرح العمليات أو فى الجبهة الداخلية، كما تستخدم فى تدمير الثروة الحيوانية والزراعية.

منذ عام ١٩٢٥، كان التصنيف الأول لتلك الحرب «الطرق البكترولوجية فى الحروب» ولكن التصنيف الحديث للحرب الجرثومية شمل الحرب البكيترية بالإضافة إلى عوامل أخرى غير بكتيرية وأطلق عليها جميعا الأسلحة البيولوجية.

ومن هذا نستطيع أن نقول بأن الأسلحة الحيوية هى أحد أسلحة الدمار الشامل، وتستخدم لقتل الأفراد، والحيوانات، وأصابت المزروعات، وتحدث الإصابة من الأسلحة البيولوجية التى تشمل الميكروبات المعدية، وسموم هذه الميكروبات.

والميكروبات المعدية أو المسببة للأمراض هى عبارة عن كائنات حية دقيقة تسبب الأمراض المعدية وهذه الميكروبات صغيرة جدا لدرجة أن نقطة واحدة من الماء قد تحتوى على مئات الملايين منها.

ويتركز اهتمام العالم فى الوقت الحاضر بالأسلحة البيولوجية كأزمة كبرى، وكثيرا ما تثار فى الأمم المتحدة ومنظماتها الدولية المنبثقة عنها.

ونشير هنا مثلا إلى تقرير تقدم به سكرتير الأمم المتحدة مؤخرا حول أخطار هذه الأسلحة مشيرا إلى أكثر من خطر يهدد البشرية جمعاء وذلك للأسباب التالية:

❖ لا يستطيع أحد أن يتنبأ بخطر تلك الأسلحة إذا ما استخدمت على نطاق واسع.

❖ مقدرة أى دولة على المضى فى تطوير البحث الخاصة بتلك الأسلحة وذلك لعدم وجود أى نوع من الرقابة الفعالة حيث أنه من الصعب التمييز بين أن تكون البحوث الحيوية الجارية فى أى معمل شرع فيها من أجل أعمال دفاعية أو شرع فيها من أجل أعمال عسكرية عدوانية.

❖ تكاليف تلك الأبحاث أو التجارب ضئيلة جدا بالقياس إلى تكاليف

البحوث الذرية.

❖ إن سر الخطر الكبير الذى يهدد البشرية من استخدام الأسلحة الحيوية يكمن فى كونها ذات أثر طويل وهى أشد خطرا على الإنسان إذ قد تكون هناك ميكروبات من الصعب وجود أمصال لعلاجها أو لقاحات للوقاية منها بجانب مقدرتها العالية على البقاء. ومن الخواص الحربية للأسلحة البيولوجية.

القابلية للانتشار: إن العوامل الحيوية ضد الأفراد يمكن أن تنشر بكميات مسببة للإصابة على مساحات واسعة جدا فى منطقة الهدف، ويمكن أن تغطى مساحة شاسعة، بكثافة عالية من طائرة أو قاذفة واحدة. وقابلية انتشار سحب العوامل الحيوية ونسبة الجرعات القليلة منها التى تسبب عدوى أو إتلافا بين الأفراد، تعطى الذخائر الحيوية المقدرة على أن تغطى مساحات شاسعة، حتى وان لم تحدد فيها أماكن الأهداف تماما، إلا أن تحريات الاستخبارات تنبأت باحتمال وجود أفراد العدو فيها.

فقدان التحذير: إن الهجوم الحيوى، يمكن أن يحدث بدون سابق إنذار، نظرا لأن العوامل الحيوية يمكن أن تنشر بواسطة أنواع من الأسلحة، تشمل الحشرات ناقلة الأمراض، التى تنطلق فى حدود مسافات معينة من نقطة التجمع، معتمدة على اتجاه الرياح لتحملها إلى الهدف.

وفى هذه الحالة الأولية للنشر لا يمكن على الإطلاق استكشافها بعين الإنسان المجردة أو أى من حواسه الطبيعية، حيث أن معرفة حقيقة تلك العوامل وأسرارها عادة ما يأخذ وقتا ويتطلب عملا مخبريا جادا.

التأثير المتأخر: العوامل الحيوية لا تسبب أثرا فى الحال بل يتطلب ذلك فترة حضانة (سكون)، من الوقت الذى تصل فيه الجرثومة إلى الجسم حتى تُحدث المرض.

اختراق الإنشاءات: سحب العوامل الحيوية يمكن أن تخترق

التحصينات، ومعظم المنشآت الأخرى التى لا تحتوى على مرشحات فعالة لإزالة جسيمات الكائنات الدقيقة. وهذه الميزة جعلت الهجوم الحيوى على الأفراد فى تحصيناتهم سهلا ميسورا بعد أن كان هدفا صعبا للذخائر العسكرية عالية الانفجار أو حتى للذخائر العسكرية النووية ذات الطاقة الإنتاجية المنخفضة.

التأثيرات المرحلية: أعطت مراحل الإصابة المختلفة، للعوامل الحيوية، المقاتل العسكرى، فرصة ليختار منها التأثير المرغوب - سواء أكان - إعاقة، أم شللا مؤقتا، مع موت أعداد قليلة، أو أعداد لا تحصر من القتلى، أو المشوهين. لكى يحقق هدفه.

عدم تدمير الماديات والمنشآت: إن العوامل الحيوية، ضد الأفراد يمكن أن يتم تأثيرها، دون أى عملية تدمير طبيعية. و قد أضاف هذا فائدة كبيرة لكل العمليات القتالية حيث يكون الهدف الجوهرى الحفاظ على جميع المرافق العامة لاستخدامها فى المستقبل من قبل القوات الصديقة.

ويمكن اعتبار الأسلحة الحيوية، ذات فعالية وسط بين المواد التقليدية الشديدة الانفجار وبين الأسلحة النووية. فقد ذكر أحد كبار قسم سلاح الكيمياء الحيوية فى الجيش الأمريكى أمام الكونجرس فى عام ١٩٦٠: «قد يستطيع العدو قتل أو تعطيل ٣٠٪ من الشعب الأمريكى فى هجوم بعشر طائرات فقط تنشر كل منها عشرة آلاف رطل من الجراثيم المجففة»، ثم أضاف «لذا يجب علينا حفظ مخزوننا من هذا السلاح على تلك الهيئة حتى يصبح استعماله عند الحاجة ميسورا وسهلا». وفى عام ١٩٦٦، كان لدى الولايات المتحدة الأمريكية بالفعل هذا السلاح الجرثومى المجفف، من فيروسات، والحميات الراشحة، والجراثيم المختلفة، والفطريات.

ويقسم العلماء الأسلحة البيولوجية ومسببات الأمراض إلى نوعين رئيسيين هما الجراثيم والفيروسات بالإضافة إلى أنواع أخرى وسوف

نستعرض أنواع كل منها باختصار شديد:

والجراثيم (البكتيريا) عبارة عن خلايا لا ترى إلا بواسطة المجهر وتتكاثر بطريقة انقسام الخلية وطريقة عملها يعتمد على حدوث تفاعلات كيميائية بداخلها معقدة ينتج عنها موادا كيميائية تسبب المرض داخل جسم الإنسان وعلى الرغم من أن التقدم العلمى تمكن من القضاء على بعض أنواع الجراثيم إلا أن معامل الأسلحة البيولوجية تختار وتطور الجراثيم التى يفتقر الإنسان إلى المناعة منها والجراثيم المختلفة تسبب مجموعة كبيرة من الأمراض الفتاكة ولكل مرض جرثومته الخاصة.

وهى أصغر الكائنات الحية ولا يمكن رؤيتها إلا بالميكروسكوب، وتتكاثر بطريقة انقسام الخلية وسرعة هذا الانشطار فى الظروف الملائمة كبير جدا.

ويتطلب هذا التكاثر تواجد البكتريا فى وسط يساعد على التغذية، بمعنى أن هذا الوسط يحتوى على جميع المواد التى تدخل فى تكوين خلية البكتريا ومن أهم هذه المواد النتروجين والكربون.

أغلبية البكتريا لا تتحمل أشعة الشمس ولا المحاليل المطهرة ولا الغليان، وغير حساسة تقريبا إلى درجة الحرارة المنخفضة.

تسبب البكتريا كثيرا من الأمراض الخطيرة من الطاعون، والحمى الخبيثة، والكوليرا، وأمراض أخرى، وتفرز بعض أنواع البكتريا أثناء نشاطها الحيوى موادا سامة تعرف بسموم الميكروبات وهذه السموم تسبب بعض الأمراض الخطيرة إذا دخلت الجسم مثل مرض التيتانوس، والدفتريا، وسم البتيولزم. تتحلل السموم بسرعة إذا كانت سائلة وتحتفظ بخواصها لمدة بضعة أسابيع أو شهور إذا جففت كما إنها تتحلل أيضا بالغليان وبالمواد المطهرة. ومن أهم تلك الأمراض كما يذكر العلماء ما يلى:

الطاعون (الموت الأسود): وهو مرض فتاك وتتميز جرثومة المرض

بسهولة الحفظ والزرع واتساع ضررها وهو أفتك الأوبئة جميعا. جرثومته سهلة الزرع والحفظ حيث تعيش فى التراب العادى وتفرز إفرازات شديدة السم تقتل المحقون بها قبل مضى بضع ساعات وهو نوعان: الأول اسمه دبلس، ويقتل ثمانية فى المئة من إصاباته، وينقله البرغوث الى الإنسان من الخنازير والفئران المريضة. والثانى هو الطاعون الرئوى، الذى لا يرحم ضحيته قط، وهو ينتقل بالهواء من المريض الى السليم فيقتله.

- الطاعون الرئوى: وهذا المرض يصيب الرئتين عند استنشاق الأفراد للجراثيم.

- الطاعون الدموى: وهذا المرض يصيب الدم ويحول لونه إلى الأزرق القاتم لذلك يسمى ذلك المرض بالموت الأسود.

- الطاعون اللمفاوى: وهذا المرض يصيب الغدد اللمفاوية ويسبب تورمها ثم انفجارها وتتم الإصابة بالطاعون عن طريق الاستنشاق أو عن طريق الطعام أو اللدلغ بواسطة البراغيث.

الحمى القلاعية (المتموجة): مرض يحتمل استخدامه كسلاح جرثومى، يصيب عادة الأبقار فتجهض، وينتقل الى الإنسان عن طريق الحليب. لهذا المرض مضاعفات قد تؤدى الى العجز الدائم مثل العمى.

ويصعب تشخيصه وجرثومته فى أول الأمر لتنوع أعراضه وكثرتها. وعلى الرغم من ان هذا المرض يستمر لمدة طويلة ويترك آثارا ضارة مثل العمى لكن نسبة الوفيات بين الناس بسببه والناتجة عن جرثومته قليلة ومنخفضة غالبا.

الكوليرا: وينتج هذا المرض عن جرثومة ذات أهداب تتكاثر بسهولة داخل الجسم وتنتشر عن طريق الطعام أو الشراب أو مخالطة المريض أو استعمال أدواته.

ويعتبر من أهم الأمراض التى تصلح كسلاح جرثومى. يسبب الغثيان والتقيؤ مع إسهال ومغص كلوى. ويؤدى فى أغلب الأحيان الى وفاة المريض. تنتقل عدوى الكوليرا إما بشكل مباشر عن طريق اللمس أو بشكل غير مباشر عن طريق الطعام والماء الملوثين. أبرز مصادر التلوث، الحاجات التى يستعملها المصاب أثناء الأكل أو التقيؤ أو التغوط، وفضلات المصاب التى ترمي فى العراء، كما يمكن أن ينقل العدوى إنسان يحمل الجرثومة من دون أن يتأثر بالمرض بسبب مناعته القوية. وقد عانت مصر فى أواخر الأربعينيات من هذا المرض ويقال إن الانجليز هم من قاموا بنشره من معسكرهم بمدينة الإسماعيلية وقد صوره باقتدار المخرج يوسف شاهين فى فيلمه «اليوم السادس».

الجمرة الخبيثة: وتتميز جرثومة هذا المرض على المقدرة الكبيرة على التكيس والبقاء لفترة طويلة ولا تكون معدية إلا إذا خرجت من حالة التكيس وتتم العدوى بالاستنشاق أو عن طريق الحيوانات والحشرات الناقلة للمرض.

تسبب توقف التنفس وغالبا ما تكون قاتلة وتتنقل بالاستنشاق أو بالعدوى من الحيوانات عن طريق اللمس. بإمكان هذه الجرثومة أن تتكيس وتصمد أمام كثير من التقلبات الطبيعية المناخية.

وتعود الجرثومة الى حالتها الطبيعية (أى تخرج من حال التكيس) عندما يصبح المحيط مناسبا لها وهى غير ذات فعالية فى حالة التكيس.

وتنتقل الجرثومة عن طريق جثث الحيوانات المصابة أو عن طريق جلودها وأصوافها، وتسبب التهابا رئويا حادا قد يؤدى إلى الموت. تؤثر المضادات الحيوية فى هذه الجرثومة الخبيثة بشرط استعمالها لمدة طويلة (عدة أسابيع).

الدوسنتاريا الباسيلية : التهاب حاد فى الأمعاء، يسببه نوع معين من

البكتريا «شيجيلا» وهو قريب الصلة من بكتريا السالمونيلا والاشيريا كولاى يتصف المرض بحرارة، والام فى البطن (وجع أو تقطيع)، وليونة فى البراز الذى قد يصاحبه مخاط ودم وصديد مع تعنية أثناء التبرز، وتكون كمية البراز ضئيلة، ويكون الذهاب إلى التبرز اضطرارا.

أما الفيروسات عبارة عن كائنات متناهية الصغر لا يمكن رؤيتها بواسطة المجهر العادى ولكن يمكن رؤيتها بواسطة المجاهر الإلكترونية وتسبب الفيروسات مجموعة كبيرة من الأمراض نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى:

الجدرى: وهو مرض وبائى قديم أودى بحياة أجيال كثيرة من البشر وقد تمكن الطب الوقائى من اكتشاف لقاح مضاد له.و هو مرض قديم جدا، دخل أوروبا لأول مرة عن طريق الصليبيين العائدين من الحملات.

وقد انتشر فى القرن الثامن عشر بشكل واسع بحيث لم يبلغ أحد من سكان أوروبا سن الرشد من دون أن يصاب بهذا المرض.

وقد بلغت نسبة الوفيات ٩٠٪. أما فى آسيا فإن المرض كان مستوطنا فيها، وقد انتقل الى أميركا عن طريق الأوروبيين.

وكان له تأثير مرعب على السكان الأصليين هناك (الهنود الحمر)، وهو حاد جدا وغالبا ما يقتل المصاب به وينتقل عن طريق الاستنشاق أو بتناول الطعام، واللقاح الخاص به منتشر.

الحمى الصفراء: وهو مرض وبائى يسبب تقيؤا دمويا أسود ويرقانا وقد تمكن الطب الوقائى من اكتشاف لقاح مضاد له إلا أن مدة ذلك اللقاح محدودة. وهو يستوطن القسم الشمالى من أميركا الجنوبية وأواسط أفريقيا.

ويمكن لبعض الحيوانات المفترسة أن تختزن الفيروس الذى يسبب المرض ثم تنقله الى الإنسان عن طريق بعوض «Aedes Egypy».

وتعتبر أفريقيا المهد الأصلى لهذا المرض، الذى انتقل إلى أميركا عن طريق تجارة الرقيق، وقتل عددا كبيرا من سكان جزر الهند الغربية.

وقد أخرت «الحمى الصفراء» شق قناة بنما حيث أصابت أكثر العمال وقتلت عددا كبيرا منهم. وفى عام ١٩٣٤ تمكنت فرنسا من صنع لقاح واق من الحمى الصفراء وانتهى المرض تقريبا فى المناطق التى استعمل فيها اللقاح، إلا أن هذا الأخير يسبب مضاعفات خطيرة.

التهاب الدماغ الفيروسى: وهذا الفيروس لا يوجد لدى جسم الإنسان أية مناعة ضده وتصل نسبة الوفيات بسببه أكثر من ٢٥٪ وهى نسبة عالية تؤثر على الكفاءة القتالية للقوات المصابة.

١ ـ حمى أبو الركب: غالبا ما توهن ونادرا ما تسبب الوفاة. تنتقل عن طريق لدغ البعوض أو بالاستنشاق وتشكل عاملا جيدا لشل القدرة وخفض نشاط الجسم.

٢ ـ النكاف: غالبا ما يضعف الجسم ولكنه لا يسبب خطرا على حياة المصاب، ينتقل عن طريق الاستنشاق ولا يعتبر ذا أهمية حربية وذلك لانتشار اللقاح ضده.

٣ ـ شلل الأطفال: غالبا ما يسبب شللا دائما وأحيانا يسبب الوفاة للمصاب، ينتقل باستنشاق الهواء الرطب أو بتناول الطعام ولا يعتبر ذا أهمية حربية لانتشار اللقاح ضده.

حمى الببغاء: تسبب حمى خفيفة وأحيانا حادة وتسبب الوفاة لنسبة ضئيلة من المصابين، تنتقل عن طريق الاستنشاق أو بتناول الطعام أو من لدغ الحشرات وهى واسعة الإنتشار.

حمى ماربورغ النزفية: وهى مرض وخيم شديد الإماتة يسببها فيروس من نفس فصيلة فيروس الايبولا وعائله وينقله نوع من الخفافيش وموطنه أوغندا.

أما بالنسبة لمقاومة جسم الإنسان للغزو الجرثومى يمكن القول إن جسم الإنسان عادة ما يبذل جهدا كبيرا للدفاع عن نفسه، من الغزو الجرثومى، بما أودعه الله سبحانه، من وسائل دفاعية، إذ وهب أجسامنا ثلاثة خطوط دفاعية وهى:

١ - إنزيم يسمى ليزوزيم، ويوجد فى اللعاب، والدموع، وفى غشاء الأنف المخاطى، ويتميز بقدرته على تحليل العديد من البكتريا.

٢ - الدم ويحتوى على خلايا بيضاء، تجرى فى بلازما الدم، ولها القدرة على بلع، وهضم، الجراثيم الخارجية المهاجمة للجسم، وإذا ما حصلت أى عدوى، أو جرح الجسم فى مكان ما فهى تسارع بالتجمع حوله، وتحاول التغلب عليه، ويمكن اعتبار الكبد مصدرا لتلك الخلايا فى حالة الحاجة إليها.

٣ - إن الجسم يبنى بروتينا خاصا، يسمى بالأجسام المضادة، يذوب فى مجرى الدم، حيث يتفاعل مع الجرثومة الغازية ويستطيع تكويرها (أى جعلها على شكل كرة) وفى تلك الحالة تكون أقل خطورة وسهلة الهضم لدى الكرات الدم البيضاء. ومن نتائج مقاومة الجسم للجراثيم الغازية وإفرازاتها الضارة، تظهر عادة أعراض المرض الأولية، كارتفاع درجة الحرارة، وأحيانا القىء، والإسهال، وغيرها.

وبسبب ذلك يكسب الجسم مناعة طبيعية من الجراثيم الغازية. ولكل مرض أعراضه الخاصة به، فإذا تغلبت الجراثيم، وكانت قوية الفاعلية عميقة الضرر، يموت المريض بسرعة، أما إذا طالت المعركة فيصبح المريض عليلا والمرض مزمنا.

ويمكن لجسم الإنسان أن يستعين ببعض الأدوية والمستحضرات الحيوية التى تساعده على الخلاص من الجراثيم وإيقاف مفعولها الضار أو إعطائه

المناعة الصناعية الوقائية ضدها ومن أهمها:

١ ـ المضادات الحيوية، وأبرزها البنسلين، والكفالوسبورين، والكلورانفينيكول، والجنتامايسين.

٢ ـ المطهرات العامة، مثل الفينيك، والديتول، والمركروكروم، والجنشيان.

٣ ـ الأمصال، وهى مستحضرات حيوية تعطى للعلاج فى حالة المرض.

٤ ـ اللقاحات، وهى تعطى للوقاية من المرض قبل وقوعه، مثل لقاحات الكوليرا، والجدرى، والدفتيريا، والطاعون، وشلل الأطفال. ومهمتها دفع الجسم لإنتاج مواد مضادة لجراثيم معينة والتى أعطى من أجلها اللقاح. أما مهمة الأمصال فهى إعطاء الجسم هذه المواد المضادة جاهزة لمساعدته فى كفاحه ضد الجراثيم.

وهناك شروط يجب توافرها فى جراثيم وفيروسات الأسلحة البيولوجية من أهمها:

❖ أن تكون الجراثيم والفيروسات حية ولديها القدرة على غزو الجسم والتكاثر ويمكن تعديل صفاتها البيولوجية من حيث الشكل والمناعة وذلك حتى يصعب تشخيصها أى يجب تغيير الصفات البكتريولوجية، أى تغيير الخواص الطبيعية للجرثومة، وحصول ما يسمى بالطفرة، على سبيل المثال تغير المناعة، الشكل، اختبار الحساسية، حيث يصعب تشخيصها.

❖ أن تكون الجراثيم والفيروسات نشيطة بحيث تظهر أعراض المرض بعد فترة قصيرة نسبيا وبأقل جرعة ممكنة وقابلة للنشر والانتقال إلى مسافات ومساحات كبيرة.

❖ أن يكون تعداد الجراثيم والفيروسات وتركيزها وقوتها قادرا على إحداث الفتك المطلوب بالخصم ناهيك عن مقاومتها الشديدة للوسط الذى تنتشر فيه خارج الجسم لمدة طويلة وأن تكون مقاومة وصامدة أمام العوامل الجوية.

أى أنه يجب أن تكون الجراثيم ذات مقاومة شديدة فى الوسط الذى تعيش فيه، وخارج الجسم لمدة طويلة، وأن تكون قابليتها للاستقرار والبقاء والصمود لمختلف العوامل الطبيعية كالتغيرات فى درجة الحرارة والجفاف والرطوبة والضوء عالية جدا.

❖ ان تكون من النوع الذى يمكن معه ان تخلط أنواع من الجراثيم أو أنواع من الفيروسات أو الجراثيم والفيروسات معا فى السلاح البيولوجى بطريقة خاصة لجعل العلاج والشفاء أكثر صعوبة.

كما يحبذ أن لا تقل مدة الحضانة عن يومين وذلك حتى يصعب إثبات الجريمة دوليا وتمكين الفاعل من الانسحاب.أى يجب أن لا تقل الحضانة (أى سكون الجرثومة) عن يومين أو ثلاثة قبل وقوع العدوى الفعلية حتى يصعب إثبات الجرعة دوليا، وتعطى للمعتدى فرصة للاختفاء من مسرح العملية قبل أن تظهر أولى الأعراض الخارجية للمرض على المهاجَمين.

❖ مقدرة الكائنات الحية على أن تسبب أمراضا معينة. تعطل المناعة الدفاعية الطبيعية فى الجسم.

❖ يجب أن تكون هناك كميات لا يستهان بها من الجراثيم التى يسهل زرعها وتربيتها واستعمالها.

❖ يجب أن تكون الجراثيم سريعة الانتشار، لأن أسهل الطرق لانتشار العدوى هو الجهاز التنفسى، ولذا يجب اختيار جراثيم لها القابلية على الانتشار فى الهواء وأن تنتقل إلى مسافات شاسعة.

❖ أن تكون الجراثيم من الأنواع التى لا يملك الإنسان مناعة طبيعية لها، وليس هناك مصل واق ضدها وليس هناك دواء شاف للمرض الذى تسببه.

فليس من السهولة حصول التلقيح الجماعى لكل السكان فى بلد ما، مع أنه الوسيلة الوحيدة التى تقى هؤلاء من الأسلحة الحيوية.

فمن الممكن تلقيح جميع الناس ضد أمراض فيروسية خطيرة مثل الحمى الصفراء، وشلل الأطفال، والجدرى، أما ضد الأمراض البكتيرية مثل الكوليرا، فهناك لقاح يقى جزئيا ويجب تجديده كل ستة أشهر.

وهناك لقاح ضد مرضى الحمى القلاعية، ومرض الجمرة الخبيثة، والطاعون، إلا أن هذه اللقاحات كلها لا تقى كليا ومفعولها قصير الأمد، والشخص الملقح بها معرض لمضاعفات قد تكون أخطر من المرض نفسه فى بعض الأحيان. لذلك لم تستعمل هذه اللقاحات على مستوى واسع.

وهناك عوامل يتوقف عليها الإصابة بمفعول الأسلحة البيولوجية ويلخصها العلماء والخبراء فيما يلى:

- ❖ نوع العامل البيولوجى ونوع الذخيرة العسكرية ونظام الأسلحة.
- ❖ الظروف الجوية والطبوجرافية فى المنطقة.
- ❖ طرق توزيع تلك العوامل وانتشارها.
- ❖ كفاءة المناعة الطبيعية عند من يتعرض لتلك الأسلحة.
- ❖ ناهيك عن التعرض المباشر أو الثانوى لتلك الأسلحة.

وعلى أية حال فإن العوامل البيولوجية يمكن أن تدخل إلى جسم الإنسان عن طريق الأنف أو الفم أو الجلد وهذا يعتمد فى المقام الأول على طريقة انتشار العامل البيولوجى فالعوامل التى تنتشر على هيئة ضباب دخانى عادة تدخل إلى الجسم من خلال الأنف أو الفم وتصل إلى الرئتين.

كما أنها يمكن أن تدخل عن طريق الفم إذا أكل أو شرب الإنسان طعاما أو ماء ملوثا كما أن تلوث اليدين قد يوصل تلك العوامل إلى الفم.

أما العوامل التى تنتقل بواسطة الحشرات فإنه تصل إلى جسم الإنسان عن طريق اللدغ أو من خلال الجروح فى الجلد.

وعندما تصل الجرثومية والفيروس إلى مجرى الدم تحصل الإصابة وعلى العموم فإن الخطر الرئيسى يكمن فى تنفس الضباب الدخانى للعامل البيولوجي.

أما أنواع الذخائر الحيوية وعوامل نشرها فعديدة وتتطور بصورة مستمرة ومن أهم طرق نشرها الطائرات أو العربات الأرضية أو السفن البحرية أو الصواريخ ناهيك عن القنابل الحيوية والقنابل العنقودية المحتوية على قنيبلات حيوية صغيرة بالإضافة إلى استخدام الحشرات والحيوانات الناقلة للأمراض ناهيك عن مولدات الضباب الدخانى وأجهزة الرش الرذاذى وغيرها. أما أهم العوامل التى تؤثر على نشر الذخائر البيولوجية فهى:

❖ درجة الحرارة: تعتبر درجة الحرارة المتوسطة مناسبة للكائنات الحية الرطبة حيث تساعدها على أن تعيش أطول مدة معلقة فى الضباب الدخانى أما درجات الحرارة الشديدة الارتفاع فإنها من الأسباب القاتلة والمقللة من كفاءة العامل البيولوجى.

❖ الرياح: العوامل الحيوية يمكن استخدامها بفعالية عند سرعات مختلفة للرياح وذلك لمهاجمة منطقة الهدف حيث تكون أسهل إذا كانت الريح ذات سرعات عالية نسبيا وباتجاه معسكرات للأعداء.

❖ أشعة الشمس: تسبب أشعة الشمس قتل العديد من الكائنات الحية الدقيقة المنتشرة فى الضباب الدخانى مما يقلل من فعاليتها لذلك يكون الليل هو أنسب وقت للهجوم البيولوجى وخصوصا عند الفجر.

هذا بالإضافة إلى تأثير العوامل الأخرى مثل الرطوبة النسبية والتضاريس والكساء النباتى وغيرها.

■ ■ ■

مصادر ومراجع

- إنفلونزا الخنازير.. الرعب القادم من المكسيك - محمد السيد على - إسلام أون لاين - ٢٦ أبريل ٢٠٠٩م.

- لماذا تحصل الوفيات بإنفلونزا الخنازير؟ - د. حسن محمد صندقجى - إسلام أون لاين - (١٣ سبتمبر٢٠٠٩).

- سلاح الفيروسات فى جيوش العالم د. هشام عيسى - مقال علمى - صحيفة «الفجر» - (١١ مايو ٢٠٠٩).

- تحقيق بعنوان «فيروس هجين وفساد شركات تصنيع الأدوية وأزمة مالية، ومقابلة مع الدكتور ليونارد هورويتز - نسرين عز الدين - موقع «إيلاف»).

- إنفلونزا الخنازير.. حرب بيولوجية! - صحيفة الثورة - ترجمة منير الموسى عن موقع « ALTERINFO».

- علاقة الأوبئة بالسياسة من الإيدز إلى أنفلونزا الخنازير - رشا عزب - تحقيق - موقع صحيفة «السياسى» الألكترونية.

- أنفلونزا الخنازير والوباء العالمى: الخطر القائم - ملف خاص - الباحثة الأكاديمية وديعة عمرانى - موسوعة الإعجاز العلمى فى القرآن والسنة.

- «وكالة الجراثيم الأمريكية» - فهد الأحمدى - مقال - صحيفة «الرياض» السعودية.

- الرجل الذى أرعب أميركا - ايفينز انتحر دون أن يتكلم - صحيفة «الشرق الأوسط» - واشنطن - محمد على صالح - ٨ أغسطس ٢٠٠٨م.

- حوادث وأحاديث عن الطاعون - د. عبدالهادى مصباح - صحيفة «الأهرام» - ٢٨يونيو٢٠٠٩.

- «الطاعون قادم من الغرب!» - تحقيق علمى - وجيه الصقار.

- أنفلونزا العقول.. مؤامره دولية وراء أنفلونزا الخنازير! - عبدالله كمال - مجلة «روزاليوسف» - ٢ مايو ٢٠٠٩.

- كتاب: «الأسلحة السرية لوكالة المخابرات المركزية الأميركية» - جوردون توماس - عرض ومناقشة: محمد مخلوف - صحيفة «البيان».

- ملف فيليب شنايدر - (ملفات رحمانوف - Rahmanoof Files) شبكة الإنترنت.

- المخابرات الأمريكية تكشف فضائح الحرب الباردة - اللواء الدكتور على محمد رجب - تقرير - (مجلة خالد العسكرية - أول مارس ٢٠٠٨).

- الحامض النووى.. هندسة الجينات - (قناة الجد الوثائقية).

- الحرب البيولوجية ضد المحاصيل الزراعية - «بى. روجرز» و «إس. وينى» و «إم. داندو - موضوع مترجم - مجلة «العلوم» - مؤسسة الكويت للتقدم العلمى - (ديسمبر ١٩٩٩).

- كتاب «الطاعون القادم» - لورى جاريت.

- كتاب «بيع المرض: كيف تجعل منا شركات الأدوية جميعا مرضى» - راى مونيهان - ٢٠٠٥م.

- جرائم العدوان اليابانى على الصين - البروفيسور جين شى ده.

- السلطات الأميركية تحقق مع مختبرات حكومية وأشخاص فى المؤسسة العسكرية حول الجمرة الخبيثة - وليام برود وجوديث ميلر - صحيفة «نيويورك تايمز».

- أنفلونزا الخنازير: القيامة الوهمية ومصالح الاحتكارات - د. ثائر دورى.

- الهندسة الوراثية وخطرها على الحروب - بيير بودان - مجلة الدفاع الوطنى - باريس - أغسطس ٢٠٠١م.

- عودة مفهوم الأجناس البشرية - ويليام فاف - صحيفة الاتحاد - أبو ظبى - ٢٧ أغسطس ٢٠٠٢م.

- بين مطرقة إسرائيل وسندان أمريكا: مصير معاهدة حظر الأسلحة الجرثومية - د. خيرالدين عبدالرحمن - مجلة الدفاع الخليجى - أبو ظبى - سبتمبر ٢٠٠١م.

- عالم أسترالى: فيروس أنفلونزا الخنازير نتج عن حادث معملى - سيدنى - وكالة الأنباء الألمانية (د ب أ).

- أنفلونزا الخنازير سلاح جرثومى صنعته المخابرات الأمريكية واختبرته فى المكسيك - راضى الغورى - موقع «المدار» على الإنترنت.

- مشروع البنتاغون للفيروسات المعدلة - ويليام إنجدال - مقال - موقع «جلوبال ريسرش» - ١٢ ديسمبر ٢٠٠٨م.

- هل تم استنساخ انفلونزا الخنازير من فيروس الأنفلونزا الإسبانية؟ - تقرير - صحيفة «تورنتو ستار» الكندية.

- أول ظهور لأنفلونزا الخنازير لم يكن فى المكسيك ولكنه كان فى «ويسكونسكن» بالولايات المتحدة - لورى جاريت - مجلة «نيوزويك» الأمريكية - ١١ مايو ٢٠٠٩م.

- كتاب «العناق المميت» - سيباستيان بلفور - ٢٠٠٢م.

- كتاب «التاريخ السرى لأنوال» - خوان باندو - ١٩٩٩م.

- كتاب «الدولة المارقة» - وليام بلوم.

- الحرب البيولوجية - أحمد خضر.

- أسرار أنفلونزا الخنازير - سعيد موسى.

- علاقة الأوبئة بالسياسة من الإيدز إلى أنفلونزا الخنازير - رشا عزب.

- عرف باسم الموت الأسود: الطاعون قادم من الغرب! - تحقيق: وجيه الصقار - جريدة الأهرام - ٢٨ يونيو ٢٠٠٦.

- نظرية فيها مؤامرة شركات في تصنيع فايروس أنفلونزا الخنازير: هل تسربت أنفلونزا الخنازير من مختبر أمريكي؟ - ليليا التميمي - جريدة الصباح.

- الباحث والكاتب ليونارد هورويتز لـ إيلاف حول «تصنيع» أنفلونزا المكسيك: تحالف أنجلو - أميركي هدفه مجزرة جماعية من أجل الربح المادي - إيلاف - ٢٢ مايو ٢٠٠٩م.

- كتاب «بيولوجيا الهلاك» - إيد ريجيس - ترجمة - مازن كراوي - دار الحوار للنشر والتوزيع - دمشق - ٢٠٠٧م.

- مساحيق الجمرة الخبيثة طورت سرا في مختبر للبنتاجون وأحد الباحثيين قد يكون وراء هجماتها الأخيرة - جوبي واريك - واشنطن - لصحيفة «الشرق الأوسط».

- اكتشاف دليل جديد على الجرائم اليابانية في الحرب العالمية الثانية - صحيفة «الشعب» الصينية - ٤ يوليو ٢٠٠٧م.

- محكمة يابانية تعترف بالحرب الجرثومية في الصين وترفض التعويض - نفس المصدر.

المعاصرة - الحمض النووي - الحمض النووي.. هندسة الجينات.

- كتاب «الفيروسات الطائرة» - جال ليبوفيتش.

- مصدر القوة ومكمن الخطر عسكرة الهندسية الوراثية - د. خيرالدين

عبدالرحمن ـ مجلة «الحرس الوطنى» ـ أول أبريل ٢٠٠٣م.

ـ كتاب «الأسلحة السرية لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية» ـ جوردون توماس ـ عرض ومناقشة: محمد مخلوف ـ صحيفة «البيان» ـ ١٧ أكتوبر ٢٠٠٦م.

ـ الفواحش الكيمياوية الأمريكية فى سياق الحرب النفسية ـ أ. د. عبدالكاظم العبودى ـ شبكة البصرة ـ ١١ أغسطس ٢٠٠٨م.

ـ الأوبئة فى خدمة الدولة الصهيونية ـ د. عبد الوهاب ـ ١٤ يوليو ٢٠٠٧م.

ـ تجارب سرية لأسلحة بيولوجية: لا جنون بقر ولا هوس خنازير ـ سعيد موسى.

ـ كتاب «ماركوس كلينغبيرغ.. الجاسوس الأخير» ـ ماركوس كلينغبيرغ ـ ٢٠٠٧ ـ عرض محمود محارب ـ قناة «الجزيرة».

ـ استخدام الحمام والأسماك والفئران فى الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية ـ صحيفة «الجمهور» اللبنانية.

ـ اليورانيوم المستنفد من حرب الخليج إلى أفغانستان ـ إعداد: أمين شحاته ـ الجزيرة ـ ٣ أكتوبر ٢٠٠٤).

■ ■ ■

فهرس المحتويات

بداية نحن لا نؤمن بنظرية المؤامرة في تقييمنا للأحداث .. ولكن ليس علينا أيضا أن نتجاهل احتمالات وجود مؤامرة، ونحن نطالع عددا كبيرا من علماء أمريكا وأوربا واستراليا وهم يكشفون للعالم - تحت وطأة الشعور بعظم الكارثة أو من وخز الضمير - أسرارا رهيبة، من شأنها أن تؤكد أن وباء (أنفلوانزا الخنازير) قد خرج كغيره من أوبئة فتاكة كثيرة، من مختبرات ومعامل الأسلحة البيولوجية السرية الأمريكية.

ومن أخطر ما يكشف عنه هؤلاء العلماء - وربما نسمع عما قريب أن بعضهم قد انتحر، أو قُتل، أو تم اغتياله، كما حدث مع آخرين - كما سنطالع في هذا الكتاب - هو وجود مافيا الدواء العالمية (الشركات الكبرى) في الخلفية تجسيدا للحلف غير المُعلَن بين مختبرات الحرب البيولوجية السرية وهذه الـ (مافيا) التي تستغل تسريب أو تسرب (فيروس الوباء) لجني مليارات أو ربما تريليونات الدولارات من بؤساء العالم ثمنا لأمصال ربما تكون معدة مسبقا!!

في هذا الكتاب نكشف كل ما ساقه العلماء والباحثون الأمريكيون وغيرهم لتدعيم تأكيداتهم بأن فيروس أنفلوانزا الخنازير ما هو إلا (صناعة أمريكية).

كما نستعرض ما حدث بالنسبة لأوبئة أخرى خرجت من المختبرات الأمريكية السرية، التي تجري داخلها تجارب إنتاج الأسلحة الجرثومية.

وأيضا نستعرض في جزء خاص كل ما يتعلق بالحرب البيولوجية، تعريفها، خواصها، أسلحتها، الفيروسات المستخدمة فيها، وكذلك سـ[illegible] الكتاب على ترسانة إسرائيل من الأسلحة البيولوجية، وأشهر عمليات [illegible] الانتحار المرتبطة بعلماء أمريكيين كسروا حاجز الصمت الرهيب وك[illegible] جرائم أمريكا وإسرائيل في مجال الأسلحة القذرة!!

W.Salama 010 15 17 873


I.S.B.N. 978-977-376-512-4
9 789773 765125

